
كتب ثقافية
الأفريقي
وقصص أخرى
تلخيص
عميد الامام

كتب ثقافية

الأفريقي

وقصص أخرى

تلخيص عميد الإمام

الافريقي

للكاتب السيراليوني : وليام كونتون

هذه هي أول رواية طويلة من تأليف أحد أبناء أفريقيا السوداء .. تنتشر على نطاق عالمي .

وقد صدرت منهـــا حتى الآن طبعتان ، بالرغم من أنها لم تنشر لأول مرة الا في شهر فبراير من العام الماضي .

ومؤلف هذه الرواية هـــو وليام كونتون ، الذي يعمل حاليا مديرا للمدرسة الثانوية الحكومية في مدينة بو ، بجمهورية سيراليون .

وقد ولد المؤلف في جامبيا في غربي أفريقية في عام ١٩٢٥ ، وكان والده قسيسا .. وتلقى دراسته في عدد من مدارس غربي أفريقية ، ثم أكملها في جامعة درهام ببريطانيا .

وهو يروي في قصة « الأفريقي » قصة حياة أحد زعماء أفريقيـــة السوداء الشبان ، الذين قادوا بلادهم الى الاستقلال والحرية .

وفي شخصية بطل هذه القصة ملامح من عدد من زعماء أفريقيـــا المعروفين ، الذين فعلوا في الحياة ما فعله هو في القصة ، والذين ولدوا مثله في أحراج بلادهم النائيـــة ، ثم شقوا طريقهم الى أعلى المناصـــب ، وخلصوا أوطانهم من العبودية .

والبلد الذي تدور فيه حوادث القصة ، بلد وهمي لا وجود له فعلا في غربي أفريقية ، حيث وضعه المؤلف .

لكنه في الوقت نفسه يمكن أن يكون أي بلدمن بلاد تلك المنطقة .

ففيه كل خصائص بلاد ذلك الجزء من القارة السوداء ، وليس فيه شيء غير واقعي الا اسمه ! ..

وفي قرية صغيرة تقع بين الأحراج في ذلك البلد الذي كان مستعمرة بريطانية ، يولد بطل القصة كيسيمي كمارا .

وعلى الرغم من أنه ليس الولد الوحيد لأبيه ، سواء من أمه أو من زوجات أبيه الأخريات ، فان أباه يفضله على سائر اخوته ، ويختاره دونهم جميعا ليرسله الى مدرسة القرية الوحيدة التي تديرها بعثة تبشير أمريكية .

والمدرسة لم تكن تتقاضى أية رسوم من طلبتها .. ومع ذلك فقد كان عدد من يدرسون فيها قليلا جدا ، لأن معظم أهالي القرية كانوا يحتاجون الى مساعدة أولادهم لهم في أعمال الزراعة البدائية التي يتعيشون منها .

وكان كيسيمي في حوالي العاشرة من عمره عندما أدخله والده المدرسة ، ولم يكن قد تعلم شيئا بالمرة من قبل .. ولكنه أقبل على الدراسة في حماسة اكسبته اعجاب ومودة المعلمة الوحيدة في المدرسة .

وعندما قررت هذه المعلمة الامريكية دعوة أحد الطلبة للاقامة معها في منزلها مقابل قيامه بأعمال الخدمة المنزلية بعد مواعيد الدراسة ، وقع اختيارها عليه هو .

ورحب هو بهذه الدعوة التي رأى فيها فرصة لزيادة معرفته باللغة الانجليزية ـ لغة أسياد البلاد ـ وللعيش ولو بصفة خادم في منزل نظيف .

كما رحب بها والداه باعتبارها تنقص عدد الأفواه التي يطعمانها واحدا .

ورحب بها أيضا اخوته وأخوانه الذين أصبحوا يحسون أنه بدأ يتعالى عليهم منذ التحق بالمدرسة دونهم ! .

وفي منزل المبشرة الأمريكية ، تعلم كيسيمي أشياء كثيرة غير اللغة الانجليزية .

فقد كانت المبشرة تقيم مع زميلة لها من بلادها تعمل طبيبه في قرية مجورة .. وكان الموظف الانجليزى الوحيد في المنطقة يزور الفتاتين احيانا .

ومن الاحاديث التي كان يسمعها ، ومن العبادات التى كان يرى ممارستها ، تعلم كيسيمى ان اختلاف اللغه ليس هو الحاجز الوحيد الذى يفرق بين البشر ، وأن هناك في هذه الدنيا حواجز اخرى غيره كبيرة .

كما استفاد فائدة أخرى من اقامته مع معلمته ، هي ترشيحهـا له لمواصله تعليمه في المدرسة الثانوية التابعة ايضـا للبعثه التبشيريه التى في عاصمه البلاد « ماجريسا » بعد أن أنهى دراسته الابتدائية في مدرسه القرية .

واصبح للفتى طموح جديد بعد أن دخل مدرسة العاصمة ، هو ان يتخرج منها بتفوق لكي يفوز بالبعثة الدراسية في انجلترا التى تمنحهـا حكومة المستعمرة عددا محدودا من الطلبة الممتازين كل عام .

وكان اهله قد تخوفوا من ارساله الى العاصمة في أول الأمر ، لان عداء تقليديا كان قائما بين قبائل منطقتهم والقبائل الأخرى التى تسـكن العاصمة والمنطقة الساحلية التى تقع فيها ، وكانوا يظنون أن ابنهم لن يكون سعيدا بين أبناء القبائل الأخرى .

ولكن الفتى ما لبث ان اكتشف لدهشـته أنه يمكنه أن يندمج في سهولة مع أبناء بلاده الآخرين ، برغم اختلاف اللغة بينهم .

كما أدرك أن الأسباب التى توجب اتحاد جميع قبائل البلاد ، أهم بكثير من الأسباب التافهة التى فرضت الجفوة بينها .

وبعد دخوله المدرسة ببضعة أشهر ، يلغ مرحلة الشباب .

وكان عليه بموجب تقاليد قبيلته وعاداتها المتوارثة أن يتلقى دراسـة خاصة في هذه المرحلة ، وهي دراسة يتلقاها جميع أبناء وبنات القبيلة على يد جمعية سرية تابعة للقبيلة عندما ينتقلون من مرحلة الطفولة الى مرحلة الصبا .

ولكن المبشرين الذين كانوا يعلمونه على نفقتهم كانوا يمنعون منعا باتا انتماء اى طالب يدرس لديهم لأية جمعية غير علنية ، ولذلك اضطر الى انتظار الاجازة الصيفية ، قبل ان يتلقى — سرا — هذه الدراسة الخاصة

وعندما ذهب لزيارة أهله في الاجازة ، سلموه لمدة ستة أسابيع للجمعية السرية التى لم تعلمه فقط أسرار الجنس ، وانما لقنته أيضا أسرار القبيلة ، وعلمته فنون القتال والرقص وقرع الطبول ، وأطلعته على تاريخ القبيلة وتراثها من الفن الشعبى والحكم والأمثال المتوارثة ، وكذلك على اماكن عبادتها وعلى آثارها المقدسة •• وأخيرا جعلته يقسم على الولاء الأبدى للقبيلة ولآلهتها الخاصة •

وعندئذ فقط ، أصبح رجلا فى نظر قومه •

ثم عاد الى ساجريسا ليواصل دراسته العادية •

وبعد مجهود شاق مضن استمر طوال سنوات الدراسة الثانوية ، اجتاز الامتحان النهائي بتفوق •

وبحكم كونه من أوائل الناجحين ، أصبح من حقه أن يواصل تعليمه في بريطانيا على نفقة الحكومة •

وكان الفتى يظن أن سفره بالباخرة من بلاده الى انجلترا ، سوف يتيح له فرصة الاختلاط بالأجانب ، ويمهد له طريق التعود على الحياة التى سوف يعيشها خارج وطنه •• ولكن التجربة الواقعية سرعان ما خيبت آماله

فبمجرد صعوده الى الباخرة ، تبين أن بقية المسافرين عليها — وغالبيتهم العظمى من البيض — يتحاشونه تماما • وحتى الخدم يعاملونه هو وزميله الآخر المسافر معه •• باحتقار وترفع !

فاقتنع بأن على السود أن يبرهنوا للبيض على امكان تفوقهم عليهم فى كل مجال ، لكى يقتنع البيض بدورهم بأن السود ليسوا أقل منهم ••

غير أنه اكتشف عند وصوله الى بريطانيا أن الانجليز فى بلادهم ،

غيرهم في الخرج •• وان حوادث التفرقة العنصرية قليلة جدا في بريطانيا •• فزال عنه الكثير من المرارة التى ملأته بهـــا رحلة الباخرة ، وأمكنه ان يتفرغ لدراسته الجامعية من غير ان يواجه منغصات جديدة •

وبعد انتهاء العام الدراسي الأول ، سافر الى منطقة البحيرات الانجليزيه ليقضى فيها الاجزة •• وهناك التقى بأول فتاة خفق لها قلبه •

وكانت الفتاة قد جاءت مثله من أفريقية لتتعلم في بريطانيا ، ولكنها لم تكن زنجية وانما من بيض اتحاد جنوبي أفريقية •

غير أنها لم تكن تشارك غالبية قومها تعصبهم العنيف ضد الزنوج ، وكانت تمقت التفرقة وتؤمن باخلاص بأن مستقبل بلادها يتوقف كلية على الغاء التمييز العنصري وتعاون البيض والملونين •

ولكنها كانت مخطوبة لأبيض آخر من جنوبي أفريقية ، كان عـلى عكسها تماما فيما يتعلق بقضية التفرقة العنصرية •

فقد كان شديد الحماسة لسياسة حكومة بلاده التعســفية ، ويكره الملونين كراهية عمياء ، ويعتقد أنهم هم الذين تسببوا في مقتل والده •

وكان خطيبها قد جاء معها ومع شقيقها لقضاء الاجازة المدرسية في منطقة البحيرات ، ولكنهما لم يكونا معها عندما التقت بكيسيمى •

وعندما وجداها معه بعد ذلك ، أهانه خطيبهـــا ، فانتصرت هى له ، وأدى ذلك الى فسخ خطبتها •

ومن يومها ، توثقت علاقتها بكيسيمى •• ومع مضى الأيام أصبحت تبادله الحب ، وأصبح يفكر جديا في الزواج منها ••

ولكن خطيبها السابق لم يترك لهما فرصة الاستمتاع طويلا بغرامهما •

فذات ليلة ظل ينتظرهما الى أن غادرا الحانة الريفية الصغيرة التى كانا يقضيان السهرة فيها ، وداهمهما بسيارته في الظلام ، فقتل الفتاة وأصـاب كيسيمى بجراح خطيرة •

ولم يستطع كيسيمي اقناع سلطات التحقيق بمسئولية الخطيب السابق عن الحادث ، بعد كانت كل الأدلة تشير الى انه وقع قضاء وقدرا .. ثم ان المجرم كان قد احتاط للأمر ، واعد ما يشهد بانه كان فى لندن عند وقوع الحادث .

وظل كيسيمى يتأرجح مدة طويلة بين الموت والحياة ، وكاد يفقد عقله ... ثم شفي اخيرا من جراحه الجسمانية والنفسية معا ، وانكب من جديد على دراسته ليغرق فيها أحزانه وذكرياته الأليمه ..

وبعد أن حصل على شهدته الجامعية ، عاد الى وطنه ، والتحق بوظيفة مدرس فى احدى المدارس الحكومية ، وفى ذهنه أن أفضل ما يمكن أن يفعله ، هو الاهتمام بمستقبله الخاص وتحقيق حياة مريحة لنفسه .. ولا سيما أن فرص النجاح كانت كبيرة أمامه ، بحكم كونه من القلائل الذين تلقوا تعليما عاليا فى بلاده .

ولكن القدر كان يعد له طريقا آخر .

فبينما كان يتصفح احدى الجرائد البريطانية ذات يوم ، قرأ عن مشروع استبدادي جديد لحكومة اتحاد جنوبى أفريقية ، تزيد بموجبه من اضطهادها للملونين من رعاياها .. فأعاد اليه هذا المشروع حماسته القديمة للكفاح من أجل حرية أفريقية التى كان قد ظن أنها مجرد عاطفة شاب غير ناضج .

وأدرك أنه انما كان يخدع نفسه اذ توهم أنه يمكنه أن يتجاهل مشكلات بلاده ومشكلات الزنوج الذين ينتمى اليهم ، ويحصر اهتمامه فى شئونه الخاصة وحدها .

وقرر من تلك اللحظة أن يكرس حياته للعمل السياسى ، على أمل أن يؤدى ذلك الى تحرير وطنه أولا ، والى خلاص بقية البلاد الافريقية من سيطرة البيض الظالمة .

واستقال من وظيفته ، وشرع في تأليف حزب سياسي جديد ينادي بالوحدة الوطنية ويعمل من أجل تحقيق الاستقلال ..

وبعد فترة قصيرة أصبح هـــذا الحزب أقوى الهيئات السياسية في البلاد ، واســـتطاع بعد ســـنوات قليلة ان يرغم بريطانيا على منح البلاد استقلالها ..

وأصبح كيسيمي أول رئيس وزارة في عهد الاســـتقلال .. وبدأ يدعو الى انشاء اتحاد أقطار أفريقية السوداء المستقلة ..

ولكن جنوبي افريقية تدخلت مرة أخرى في حياته ، لتغير مجراهـا من جديد ..

فقد بعث اتحاد الملونين فيها برسائل سرية الى رؤساء حكومات أفريقية السوداء المستقلة ، يطلب منهم فيها ان يشتركوا في منحه قرضا قدره عشرة ملايين من الجنيهات ، لينظم حركة اضراب شـــاملة بين الملونين ، تشل اقتصاديات البيض وترغمهم على الاعتراف للملونين بحق المساواة بهم ..

ويتحمس كيسيمي لهذه الفكرة ، ويقنع بها زملاءه رؤساء الحكومات السوداء الأخرى .. ولكن على أن تتولى احزابهم تقديم القرض وليس حكوماتهم ، تفاديا للاشكالات الدوليه ..

ثم لا يكتفي بذلك بل يقرر أن يذهب بنفســـه الى جنوبي أفريقية ليشارك في تنظيم حركة المقاومة الكبرى المقترحة .. فيتخلى عن رياســة الوزارة لنائبه ، ويختفي من الحياة العامة ، ثم يغادر بلاده خلسة ويتسلل الى جنوبي أفريقية من حدود احدى البلاد المجاورة لها ..

وهو لا يفعل ذلك بدافع من حماسته القـــومية وحدها ، ولكن لأنه أيضا يريد أن ينتقم من خطيب حبيبته السابق ، الذي حرمه اياها وحرمهـا الحياة لمجرد أنها أحبت زنجيا ..

فهو يكتشف أن حقده عليه لم يزل برغم مرور الســنين ، وأن كل ما حققه من مجد شخصي ووطني لم يعوضه عما أضاعه عليه ذلك الرجل .

وقبل أن يتصل بأحد من زعماء الملونين فى جنوبى أفريقية ، يكرس جهده كله للبحث عن قاتل حبيبته ، وفى نيته أن يقتله ..

ولكن عندما يصبح الرجل الأبيض تحت رحمته ، يتبين أنه لم يعد يشعر نحوه بغير الرثاء .. فيتركه ويمضى ليعمل من أجل هدف أسمى من الانتقام ومن كل اعتبار أنانى .. هدف تحرير المضطهدين ورفع الظلم عنهم !

وجه جديد في المرآة

للكاتبة الاسرائيلية : يايل دايان

لموشيه دايان وزير الزراعة الحلى فى اسرائيل ، ورئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلى الأسبق ، ابنة أصـــبحت اليوم فى الثانية والعشرين من عمرها اسمها يايل ..

وقد الفت هذه الفتاة رواية نشرت فى العام الماضى اسمها « وجه جديد فى المرآة » .. قابلتها الصحفة الموالية للصهيونية فى أوربا ـ وفى أمريكا بوجه خاص ـ بتهليل وترحيب كبيرين .. لا لشىء غير أنها من تأليف بنت أحد زعماء الصهيونيين !

فقد أطرت مجلة « لايف » الأمريكية مانى هذه الرواية من واقعية .. وقالت مجلة « هاربر » انهـــا رواية عظيمة وجديرة بكل تقدير .. ووصفتها مجلة « جورنال أمريكان » بأنها حدث أدبى هام جدا .. على حين حيت مجلة « شيكاجو صنداى تريبيون » مواهب مؤلفتها !

أما مجلة « يهـــودى كارولينا » فقـــد أطلقت على يايل دايان لقب « فرانسواز ساجان تل أبيب » !!

وقد ترجمت هذه الرواية الى لغات أوربية عدة ، وصدرت منهـــا بالانجليزية طبعتان حتى الآن !

وكل هذا ، لمجرد أن كاتبتها هى بنت موشيه دايان !

والحقيقة أن لاقيمة أدبية بالمرة لهذه الرواية .. كماأنها خالية حتى من عناصر التشويق والاثارة التى كانت من أسباب رواج الانتاج الأدبى الذى اشتهرت به بعض المؤلفات الشابات الجديدات .

ومع ذلك فقد حرصت الدعاية الصهيونية على أن تضمن لها الرواج والانتشار •• تمشيا مع سياستها المعروفة في تسليط اكبر قدر ممكن من الأضواء دائما ، على كل كتاب يحتوى عـــلى دعاية لاسرائيل وللمبـادىء الصهيونية ، ويلفت الى الدولة المصطنعة انظار الناس •

والدعاية لاسرائيل والصهيونية في هذه الرواية تجيء من ناحيتين لا من ناحية واحدة ••

فمجرد كون مؤلفتها اسرائيلية ، فيه دعاية لاسرائيل وللصهيونية ، ولا سيما اذا أحيطت الرواية بضجة مفتعلة وتحدث عنهـا عدد كبير من الجرائد والمجلات ••

هذا من جهة ••

ومن جهة أخرى فان محتويات الرواية نفسها تتضمن دفاعا مستترا عن العدوان الصهيوني ، وتعمل من جانب خفي على استدرار عطف الرأى العام العالمي على اسرائيل •

***

والرواية هي قصة فتاة اسرائيلية شابة ، تشبه ظروف حياتها ظروف حياة مؤلفة الرواية الى حد كبير !

بل ان اسم بطلة الرواية يشبه أيضا اسم المؤلفة •• فالبطلة اسمها « آريل » !

ووالد البطلة ــ مثل والد المؤلفة ــ هو من كبار قواد جيش اسرائيل !

والرواية تبدأ أحداثها بتجنيد بطلتها وهي في عمها الثامن عشر ، لتؤدى الخدمة العسكرية مدة عامين في الجيش ، مثل سائر فتيات اسرائيل والدعاية المستترة تبدأ أيضا من هذه النقطة ••

فالفتاة ــ وان كانت تكره حياة الجندية وتنفر مما تشتـمل عليه من حرمان ومتاعب ــ إلا أنها تتقبل مصيرها في اذعان ، لأنها تعلم جيدا أنهـا

تنتمي الى « بلد صغير ضعيف يضطر جميع أبنائه وبناته الى حمل السلاح والى الاستعداد الدائم للقتال ، لأنهم — دون سائر البشر — محاطون بأعداء أقوياء يبغضونهم وينتظرون اللحظة المواتية للانقضاض عليهم وسلبهم حق الحياة » !!

وتستمر هذه الدعاية المستترة مع كل سطر من الرواية ، يتناول تجارب بطلتها في الجيش ، أو اتصالها بأبناء ديانتها من مختلف الجنسيات الذين أغرتهم الصهيونية بالهجرة الى فلسطين من جميع أنحاء الأرض ..

ولا تتوقف هذه الدعاية الخبيثة الا عندما تتحدث بطلة الرواية — التي كتبت بصيغة المتكلم — عن مغامراتها الغرامية مع الرجال !

وهي مغامرات بدأت قبل أن تبلغ الفتاة عامها السابع عشر بمدة طويلة واشتملت على رجال كثيرين من مختلف الأشكال والأعمار !!

فبطلة القصة هي فتاة متمردة عنيدة مغرورة ، لا تشعر باحترام أو محبة نحو أحد ، وتمارس حريتها الخاصة الى أقصى حد .. من غير أن يهتم أبواها بالاعتراض !

فأبوها مشغول بمركزه العسكري الكبير من ناحية ، ولا وقت لديه لبيته أو لتربية أولاده ..

وهو من ناحية أخرى انسان بليد العاطفة بطبيعته ، مجرد من مشاعر المحبة والأبوة والحنان ..

وأمها في حزن مقيم وبكاء دائم بسبب اهمال زوجها وبرود معاملته لها .

كما أن نشاطها الاجتماعي يشغل جانبا كبيرا من وقتها ..

ولذلك فهي لا تعبأ كثيرا بأولادها ، ولا بما يفعلون !

ومن هنا نشأت الفتاة بطلة القصة ولا رقابة لأحد عليها ..

كما نشأت محرومة من مظاهر العطف والحنان التي ينمو في ظلها غيرها من الصغار ..

ونتيجة لهذين العاملين ، تحجر قلبهـــا وتبلدت عواطفها ، على حين انفلتت غرائزها بلا رابط أو قيد ..

فراحت تبحث عن المتعة الجنسية وحدها فى علاقاتها مع الرجال ، ولا تفسح مكانا لأية عاطفة في حياتها ..

وأكثر من ذلك ، أصبحت تعتقد أن العواطف الرقيقة والمشاعرالطيبة هى من مظاهر الضعف التى لا تليق بأمثالها من الأقوياء ..

وأصبحت تحتقر من ثم كل من يقع فى غرامها ، أو يحس نحوهــا بما هو اسمى من مجرد الاشتهاء !

وأصبحت تجد لذة كبرى فى السخرية من العواطف التى توهمتهــا ضعفا فى الناس ..

فراحت تستغل جمالها الباهر وذكاءها الحاد وقوة شخصيتها واغـــراء شبابها ، فى استمالة الرجال اليها وفى سلبهم قلوبهم ، لتهزأ بهم بعد ذلك وبما أثارته فيهم من مشاعر ، وتضحك من الألموخيبةالأمل اللذين يبدوان أن عليهم عندما تفاجئهم بخيانتها لهم وبما توجهه اليهم من أعمالالاستغفال والغدر !

ولكن القدر يهيىء لها مفاجأة قاسية ، عندما يجعلها تقع فى غرام رجل يكبرها بثلث قرن !

فبعد عيد ميلادها التاسع عشر بقليل ، وبينما هى لا تزال مجنـدة في الجيش ، تلتقى مصادفة برجل كان صديقا لأسرتها فى أثناء طفولتها وأصبح الآن يبلغ الثانية والخمسين !

ولكنه برغم ذلك يحتفظ بوسامته وحيويته ووقار مظهره ، وبسمعة طيبة بين الناس ..

فتستفز صفاته هذه مشاعر الشر فى نفس الفتاة ، وتقرر أن تتسلى بتحطيم كل ما فيه وكل ما يبدو عليه من ثقة كبيرة بنفسه وبالحياة ، عن طريق ايقاعه فى غرامها ، ثم الغدر به !

ويتردد الرجل فى مغازلتها فى أول الأمر ، بحكم فارق السن الكبير بينهما ، برغم تشجيعها الجرىء له ، وبرغم أنه أحس نحوها — بعد أن تعدد لقاؤهما — بحب عنيف لم يحس بمثله لأية امرأة من قبل ..

ولكنها تتغلب على تردده وعلى مقاومته ، اخيرا .. وتستقر معه فى منزله ، وهى تنوخى توريطه اكثر وأكثر فى حبها ، الى أن يصبح غير قادر على العيش من غيرها .. فتنزل به الضربة القاضية بعد ذلك ، بأن تهجره وتهزأ به وتكشف له عن سأمها منه واحتقارها له ! ..

ولكنها تكتشف — لدهشتها البالغة — أنها أصبحت عاجزة عن تنفيذ خطتها ، وان المشاعر التى كانت تنظر اليها بمنتهى الازدراء ، قد تسللت الى قلبها ، واستقرت فيه ! ..

فقد أحست أنها أحبت الرجل فعلا ، وباتت تنفرمن خيانته أو الحاق الأذى به !

وهى تثور على هذه المشاعر الجديدة عليها ، وتقرر تحطيمها ، ولا تتورع فى سبيل ذلك عن أى شىء ..

ولكنها تضطر الى الرضوخ لسلطان الحب فى النهاية ، فتجعلها هذه العاطفة تدرك لأول مرة فى حياتها معانى الطيبة والخير ..

وعندئذ تجد لنفسها وجها جديدا فى المرآة ! ..

وبذلك تنتهى هذه القصة التافهة ، التى صورتها الدعاية الصهيونية — لأغراضها السياسية — وكأنها عمل أدبى ضخم جليل الشأن ! ..

الزوج الخالد

للكاتب الروسى : فيودور دستويفسكى

بلغ من ضخامة الشهرة التى اكتسبتها بعض روائع الكاتب الروسى العظيم فيودور دستويفسكى ، انها كادت تحجب غيرها من مؤلفاته التى لم تحقق شهرة مماثلة ، وان كانت بدورها من مستوى ممتاز لا تكاد تصل اليه أية أعمال أدبية أخرى ..

فقد طبقت شهرة « الاخوة كرمازوف » الآفق ، وكذلك شهرة « الجريمة والعقاب » و « بيت الموتى » و « الابله » و « الماخـــود » .. ووضعت مؤلفها بين أعظم أدباء التاريخ جميعا ..

ولكن رواياته الاخرى تأثرت من جراء هذه الشهرة المدوية ، وكاد بريق زميلاتها يحول الأنظار تماما عنها .

ومن بين هذه الروايات القليلة الحظ ، رواية « الزوج الخالد » .

وفى أول هذه الرواية نلتقى برجل أعزب فى الاربعين من عمره يدعى الكسيس فلتشانينوف ، يعيش وحده فى العاصمة الروسية حياة الطبقة المتوسطة .

وهو يمر بحالة ضيق لأنه يشعر بأن صحته ليست على ما يرام ، من ناحية .. ولأنه مضطر لأن يبقى فى سانت بطرسبرج من ناحية ثانية ، لحين انتهاء المحاكم من نظر قضية خاصة به ، على حين أنه يتلهف على مغادرة العاصمة الى أحد المصايف ..

كما أن شيئا آخر غريبا يضايقه ويبعث فيه قلقا مبهما .. وهو تكرار رؤيته فى الأيام الأخيرة لرجل يطيل النظر اليه كلما تلاقت طريقاهما ، دون أن يستطيع هو أن يتذكر اذا كان يعرف هذا الشخص أو لا ..

ولكن شعوره الغامض بالضيق كان يزداد كلما وقعت عيناه مصادفة على الرجل المجهول ، الى أن أصبح هذا الشعور يلازمه طوال نهاره وليله ..

بل تسلل هذا الشعور أيضا الى أحلامه ، فبعد مرور حوالى الاسبوعين على رؤيته الرجل الغريب لأول مره ، حلم بأن هذا الرجل يقتحم عليه بيته ويهدده على نحو غير واضح ..

فاستيقظ من نومه مذعورا ، وأحس بأنه فى حاجة الى استنشاق الهواء .. ففتح نافذة غرفة نومه ، واذا به يجد ـ والدهشة تكاد تشل حركاته ـ أن الرجل الغريب يقف على الرصيف المقابل لمنزله ، ولا يحول أنظاره عن المنزل ..

ولكنه ما لبث أن استرد سيطرته على نفسه ، وأحس بالخجل لخوفه الصبيانى .. وعندما رأى الرجل يدخل باب المنزل ، أيقن أنه لابد أن يكون صاعدا اليه فى الدور الثانى ، فتوجه الى باب بيته ، ووقف ينتظر وراءه ..

وسمع خطوات الرجل وهو يصعد السلالم ، ثم وهو يتجه الى باب بيته ، وتوقع أن يسمع رنين جرس الباب بين لحظة وأخرى ، ولكن الزائر الغريب لم يرن الجرس ولم يطرق الباب ، وانما حاول أن يفتحه بادارة الاكرة كما لو لم يكن مغلقا بالمفتاح .. فانتظر ألكسيس برهة ، ثم فتح الباب فجأة ، ليجد الرجل الآخر واقفا أمامه وكأنما قد تحول الى تمثال ..

وظل كل من الرجلين ينظر الى الآخر فى صمت لبضع لحظات ، ثم فجأة تعرف ألكسيس على الزائر وتذكر من هو ..

فصرخ فيه سائلا : ألست انت بافل تروسوتسكى ؟

فابتسم الآخر فى ارتياح لتعرف ألكسيس عليه وقال : نعم .. وقد تعارفنا منذ تسع سنوات ..

ثم اضاف فيما يشبه العتاب : ولعلك تذكر أننا كنا صديقين فى تلك الايام ..

فقال الكسيس : طبعا .. ولكن الساعة الآن الثالثة صباحا . وأنت تحاول منذ عشر دقائق أن تعرف اذا كان بابى مغلقا أو لا ..

فارتبك بافل وقال انه لم يكن يدرى أن الوقت متأخر الى هذا الحد .. وهم بالانصراف قائلا انه سوف يحضر ثانية فى وقت آخر ..

ولكن آلكسيس الذى لم يزايله شعوره بالقلق والضيق وبتوقع حدوث شيء كريه ، لم يدعه يذهب .. وأصر على أن يدخله الى البيت لينبئه بسبب مجيئه اليه ..

وبدأ بافل حديثه بقوله انه حضر الى العاصمة من مدينته الصغيرة التى عرفه فيها ، منذ ثلاثة أسابيع ، وذلك لقضاء بعض أعماله الخاصة .. وأنه يبحث عنه منذ حضوره لحاجته الماسة الى صديق وفى بسبب ظروفه ..

فسأله الكسيس : ولماذا لم تجيء الى مباشرة بدلا من أن تتبعنى فى الشوارع وتحوم حول منزلى فى الليل ؟

فرد بافل قائلا : انه منذ بضعة أشهر لايدرى ما الذى يفعله ، بسبب ماهو فيه من بؤس وشقاء .

واستطرد يشرح سبب بؤسه فقال ان زوجته نتاليا التى قضت معه عشرين عاما ، قد توفيت منذ بضعة أشهر ، وانه من ذلك اليوم أصبح بلا هدف أو غاية فى الحياة .

وأحس ألكسيس بحزن حقيقى لسماع نبأ موت نتاليا ، ولكن قلقه زاد أيضا .. فقد كان على علاقة آثمة بنتاليا منذ عشرة أعوام ، وبسبب تعلقه بها قضى عاما كاملا فى مدينتها الصغيرة ، مع أنه لم يكن قد ذهب اليها فى أول الامر الا لقضاء بضعة أسابيع ..

وأخذ يتساءل بينه وبين نفسه عما اذا كان بافل قد عرف أخيرا بأمر

هذه العلاقة ، برغم مرور تسعة أعوام على انتهائها ، وعما اذا كان هذا هو سبب ملاحقة بافل له ..

وراح يحاول استدراج بافل الى البوح بحقيقة الدوافع التى ساقته اليه ، ولكن الآخر لم يشف قط غليله . فقد كان مخمورا من ناحيـــة ، ويتعمد الغموض من ناحية أخرى ..

وعندما غادره أخيرا « تركه أكثر قلقا وضيقا مما كان قبل حضوره ».

وراح ألكسيس يستعرض علاقته بنتالياوزوجها ، بعد انصراف زائره .. فتذكر أولا كيف نشأت العلاقة الغرامية بينه وبين نتاليا فى ســـهولة تامة ، ثم كيف تدله فى حبها بعد ذلك ، ولم يعـــد يطيق البعد عنهـا . فعرض عليها أن تهرب معه ، ولكنها رفضت وقطعت علاقتها به ، وأصرت على أن يغادر مدينتها .. فعاد حزينا الى سانت بطرسبرج .

ثم تذكر كيف أنه لم يستطع فهمها على حقيقتها الا بعد أن هدأت حرارة عواطفه نحوها ، فأدرك أنها من ذلك النوع الخاص من النساء الذى تجرى الخيانة مع الدماء فى عروقه ، ومن المستحيل أن يخلص لرجـل واحد .

وبرغم أنها لم تكن عظيمة الجمال فقد كان لها من قوة الشخصية ومن الجاذبية الخفية ما يجعلها قادرة على أسر الرجال واذلالهم .

وأصبح ألكسيس يعتقد بعد أن عرف نتاليا على حقيقتها ، بأن الطبيعة قد خلقت لهذا النوع من النساء ، نوعا خاصا من الأزواج ! .

فبمجرد أن يتزوج أى من هؤلاء الرجال ــ الذين يسميهم ألكسيس « الأزواج الخالدين » ــ يصبح فورا مجرد تابع لامرأته ومجرد عنصر مكمل لها .. ومهما ارتكبت زوجته من خيانات ، فهو لا يمكن أن يشـك فيها ..

وكان ألكسيس يؤمن بأن بافل قد خلق ليكون « زوجا خالدا » .. فقد كانت جميع تصرفاته توحى بذلك ! ..

ولم يخش الكسيس قط في أثناء علاقته بنتاليا أن يشك بافل في أمرهما ، لأنه لم يكن اكثر من ظل باهت لزوجته ..

ولكن زيارته المفاجئة وحديثه معه وملاحقته السابقة له ، بعد مرور تسعة أعوام على اخر لقاء بينهما ، أثارت قلقه وأقنعته بأن في الأمر سرا ..

فصمم على معرفة هذا السر ، وبمجرد أن طلع النهار توجه لزيارة بافل في الفندق الصغير الذي قال له انه ينزل فيه ..

وهناك اكتشف لدهشته أن مع بافل طفلة عمرها فوق الثماني سنين بقليل ، قدمها اليه على أنها بنته التي ولدت بعد عودته الى سانت بطرسبرج

وصعق الكسيس لرؤية الطفلة .. وبمجرد أن وقع نظره عليها أدرك أنها بنته هو ، وليست بنت بافل ..

فبرغم ان الطفلة كادت تكون صورة طبق الأصل من أمها ، الا أن بعض ملامحها مع ذلك كانت موروثة عنه هو ، بلا أدنى شك .

وتذكر ألكسيس أن الحجة التي تذرعت بها نتاليا لحمله على مغادرة مدينتها ، كانت أنها حملت منه ، وتريده أن يتغيب عن المدينة بضعة أشهر خوفا من أن تثور شكوك زوجها ..

ولكنه ظن في ذلك الوقت أنها تكذب عليه لتتخلص منه .. وأيد هذا الظن لديه ، أنها بعثت اليه برسالة وحيدة الى سانت بطرسبرج بعد ذلك ، أنبأته فيها بأنها كانت مخطئة وأنها ليست حاملا ، كما أبلغته بأنها وقعت في غرام شخص آخر ، وتريده أن ينسى علاقته السابقة بها ..

وعند رؤية الطفلة أدرك ألكسيس أن نتاليا كانت صادقة في أول الأمر وأنها حملت منه فعلا .. ولكن لأنها أرادت أن تبقى مع زوجها ، كذبت عليه بعد ذلك وأنكرت الحمل ، لتقطع كل صلة بينها وبينه وتضمن عدم عودته اليها ..

ولاحظ ألكسيس أن بافل يسيء معاملة الطفلة ، وأنها مريضة ومذعورة

ومنهارة الأعصاب ، فأدرك أن الزوج المخدوع لابد قد عرف بطريقة ما حقيقة نسب البنت ••

وادرك كذلك أن بافل ما جاء الى العاصمة الا ليريه الطفلة ، ويجعله يشاهدها تتعذب أمامه ••

فقرر على الفور ان يحول بين بافل وبين المضى في هذا الانتقام الوحشى •• وعنفه بشدة على اهماله للطفلة وعلى حبسه لها في الفندق وحدها معظم ساعات الليل والنهار على حين أنه يسكر فى الخارج •• واستعان بصاحبة الفندق التى كانت ترثى لحالة الطفلة في اقناعه بضرورة نقلها الى منزل بعض معارفه فى الريف ، لتتوافر لها العناية التى تحتاج اليها ••

واضطر بافل الى الموافقة على مضض على هذا الاقتراح ، ولاسيما بعد أن هدده ألكسييس بأنه سوف يعده مسئولا عن وفاة الطفلة لو حدث لها شيء نتيجة اهماله لها •

وأخذ ألكسييس البنت فعلا الى منزل أصدقائه ، ولكن مرضها اشتد بعد أيام قليلة ، وماتت ••

وكاد ألكسييس يجن خلال هذه الأيام ، فقد أحس بحب عميق نحو الطفلة التى جنى هو عليها ••

وكانت الطفلة تطلب فى اصرار رؤية من تظن أنه والدها فى أثناء مرضها الأخير ، وتؤكد لألكسييس أنه كان دائما يعبدها ، ولم تتغير معاملته لها الا بعد وفاة أمها ••

وحاول ألكسييس كثيرا أن يحضر بافل اليها ، غير أن بافل كان يرفض زيارتها ، واختفى من فندقه ليتحاشى الحاح ألكسييس ••

وحتى عندما ماتت ، تهرب من الاشتراك فى تشييع جنازتها ••

***

وعاد ألكسييس الى سانت بطرسبرج وكله حقد على بافل وفى نيته أن يقتله عندما يعثر عليه •• ولكن فترة طويلة من الوقت مرت قبل أن

يلتقى به من جديد ، خفت خلالها ثورته عليه ، وتحول بغضه له الى رثاء لحاله ..

والتقى به مصادفه بعد ذلك فى اثناء عودته من زيارة قبر الطفلة ، فأراد ان يتجاهله .. ولكن بافل تقدم منه وشكره على عنايتـــه بالبنت فى أيامها الاخيرة ، ورجاه ان يصفح عن تصرفاته الشاذة على أساس أن حزنه على الأم وعلى البنت جعله فى حالة أشبه بالجنون لم يكن يعرف معهـــا ما يصنعه ..

وأضاف انه قرر أن يعود الى مدينته قريبا .. وأنه حريص على أن يفترقا كصديقين اكراما لذكرى الطفلة الميتة التى أحبها كلاهما ، ولذكرى صداقتهما القديمة أيضا ..

فصدق ألكسيس أن بافل قد ندم على ما فعله بالطفلة ، واعتقد أن وفاتها قد غسلت الحقد والرغبة فى الانتقام من قلبه ..

وأحس بعطف عميق على الرجل الذى ظلمه هو ، وسبب له ألما كثيرا دون أن يقصد ، فدعاه لتناول العشاء معه ..

وحدثه بافل كثيرا عما ينوى عمله فى المستقبل ، فقال انه ســـوف يتزوج من جديد بمجرد أن تمر فترة الحداد ..

ثم أحس ألكسيس بمغص حاد بسبب مرض معدته المزمن ، فأصر بافل على تمريضه بنفسه وعلى أن يقضى الليل معه ..

ولكن بعد أن استغرق ألكسيس فى النوم بفترة قصيرة ، هب من نومه فجأة ليجد بافل هاجما عليه وفى يده موسى حلاقته ..

واستطاع ألكسيس أن ينتزع الموسى من بافل بعد صراع قصير جرحت فيه يده .. ولدهشته البالغة تبين بعد ذلك أن بافل نادم حقا على محاولة الاعتداء عليه ، وأنه لم يفعل ما فعله الا تحت ضغط فكرة جنونية طرأت عليه فجأة عند رؤية موسى الحلاقة ..

ففتح له باب البيت وتركه يذهب ..

وفى الصباح توجه الى الفندق الذى ينزل فيه ، فاكتشـــف أنه قد سافر فى ساعة مبكرة وترك له رسالة باسمه ..

وفض ألكسيس ظرف الرسالة فوجد أن بافل قد وضع فيه خطـابا بخط زوجته المتوفاة ، كانت قد كتبته له اثر مغادرته لمدينتها ، ولكنهاعادت وغيرت رأيها فلم ترسله اليه وانما بعثت بدلا منه بالرسالة الأخرى التى قالت له فيها انها ليست حاملا .

أما هذه الرسالة فقد كانت تؤكد له فيها أنها حامل ، وأن الولد غير الشرعى الذى سيولد لهما سيظل رابطة قوية بينهما ، على الرغم من أنها لم تعد تحبه وأحبت شخصا آخر ! ..

وكان بافل قد عثر على هذه الرسالة بعد وفاة زوجته .. وعندئذفقط عرفها على حقيقتها ..

* * *

ومر عامان على سفر بافل من سانت بطرسبرج ، لم يسمع ألكسيس خلالهما عنه شيئا .

ثم التقى به مصادفة فى أحد المصايف ومعه زوجته الجديدة ..

ووجد معهما أيضا شابا ، كان من الواضح أنه عشيق الزوجة .. ولكن الشك فيه كان أبعد ما يكون عن ذهن بافل ! ..

فأيقن ألكسيس أنه لم يكن مخطئا فى وصفه القديم لبـــافل ، بأنه « زوج خالد » !

جاتسبي العظيم

للكاتب الامريكي : ف . سكوت فيتزجيرالد .

كنت قد تخرجت من جامعة « نيوهيفن » في عام ١٩١٥ ، والتحقت بالجيش بعد ذلك بقليل ، ونقلت إلى فرنسا مع القوات الأمريكية التي ذهبت الى هناك .. فلما عدت الى مدينتي الصغيرة في غربي أمريكا بعد انتهاء الحرب ، لم أدر ما أفعله فيها ، ووجدتها نائية بعيدة راكدة خالية من النشاط ، فقررت أن أهاجر الى شرقي بلادي وأبدأ في شق طريقي في الحياة من نيويورك .

ولكنني لم اتمكن من تحقيق رغبتي الا في ربيع عام ١٩٢٢ ، بعد أن وافق والدي أخيرا على أن يتحمل نفقاتي مدة عام في نيويورك ، ريثما أثبت أقدامي في مهنة بيع السندات التي قررت أن أزاولها .. _

وكان أول ما فكرت فيه عند وصولي الى المدينة الضخمة ، هو وجوب العثور على سكن رخيص يتفق مع ظروفي المالية .. ولكن ربيع ذلك العام كان حارا ، وكنت قد جئت لتوي من منطقة الغرب الفسيحة المليئة بالسهول والأشجار ، فبدت لي أحياء نيويورك مقبضة خانقة لشدة ازدحامها وكثافة المباني فيها .. ولذلك فضلت الاقامة في احدى الضواحي البعيدة ..

وأخيرا عثرت على منزل قديم في ضاحية « وست اج » .. وضاحية « وست اج » هذه تبعد عشرين ميلا عن نيويورك ، وتشكل مع ضاحية أخرى مجاورة لها تدعى « ايست أج » منظرا فريدا ..

فالضاحيتان المتجاورتان هما جزيرتان بيضاويتا التكوين ، تمتدان

في البحر بالقرب من الشاطىء ، ولا يفصل بينهما الا شريط رفيع من الماء ..

وهما تبدوان من الجو متشابهتين تماما .. ولكنهما في الحقيقـة مختلفتان الى حد بعيد ..

فضاحية « ايست اج » كانت ضاحية الطبقة المترفة » وكانت لا تضم غير المنازل الفخمة التي يسكنها الأثرياء ..

أما الضاحية التي كنت أسكنها أنا ، فكانت أكثر تواضعا .. فبجانب مساكن أصحاب الملايين ، كان فيها منازل رخيصة يسكنها أمثلى من ذوى الدخل المحدود ..

وكان المنزل الذى استأجرته يقع قريبا من طرف الجزيرة المطل على البحر ، وكان لا يفصله عن البحر غير بناء قديم ضخم ، بنى على غرار أحد قصور أوربا الشهيرة وأحاطت به حدائق واسعة ..

وعلمت أن صاحب هذا القصر رجل يدعى جاتسبى ..

وكنت أستطيع أن أرى من منزلى جزءا من البحر ، وجزءا من حدائق جارى الثرى ، وكذلك بعض البيوت الجميلة الأنيقة التى تمـلأ الضاحية المجاورة ..

* * *

والحقيقة أن قصة ذلك الصيف التى أرويها هنا ، قد بدأت بذهابى ذات مساء الى أحد تلك البيوت ، لأتناول فيه العشاء بدعوة من توم بوكنان وزوجته ديزي ..

فقد كانت تربطنى بديزى صلة قرابة بعيدة ، وكان زوجها زميلا لى في الجامعة .. وكانت آخر مرة رأيتهما فيها ، بعد انتهاء الحرب مباشرة عندما كانا يقيمان في شيكاجو ..

ولست أدرى ما الذى أتى بهما الى نيويورك .. ولكنني كنت أعرف

أنهما أمضيا عاما فى فرنسا ، قبل أن يستقرا فى « ايست اج » •• وأنهما تنقلا فترة بين أنحاء أمريكا أيضا ، قبل ذلك ••

فقد كان توم ينتمى الى اسرة واسعة الثراء •• وكان شديد الاسراف حتى منذ أيام الدراسة •• ولم يكن يشغله شىء غير متابعةالمباريات الرياضية الهامة ، والجرى وراء متع الأغنياء حيثما وجدت ••

ووجدت منزله فى « ايست اج » أكثر فخامة حتى مما توقعت ، وكانت حديقته تمتد الى الشاطىء ••

وعندما وصـــلت كان توم ينتظرنى بملابس ركوب الخيل على الشرفة الواسعة الممتدة أمام المنزل ••

وتبينت أن مظهره قد تغير عما كان عليه أيام الدراسة •• فقـــد أصبح الآن رجلا قوى البنية فى الثلاثين من عمره ، تبدو عليه أمارات الخشونة والتعالى •• وكان فمه قد أصبح قاسيا ، وكذلك نظراته ••

ورحب بى توم فى حرارة ، ثم أدخلنى الى غرفة الجلوس حيث كانت زوجته فى انتظارنا ، ومعها فتاة أخرى جميلة ، عرفت أنها جوردان بيكر بطلة التنس المعروفة ••

وأخذت ديزى تسألنى عن أمور كثيرة بصوتها الخفيض الجذاب الذى كان يسحر الرجال الذين شغفوا بها •• فقد كان لها صوت فريد ليس من السهل على من يســمعه أن ينساه •• وكانت كل كلمة تخرج من فمها ــ مهما كانت عادية أو حتى سخيفة ــ تبدو وكأنها موســـيقى رائعة ، مشبعة بالمعانى الخفية المثيرة ! ••

وكان وجهها بارع الحسن ، وعليه مســحة حزن قائمة ، ولكن عينيها كانتا تلمعان ببريق باهر ، وكذلك فمها الدقيق الجميل •

وقد فرحت فرحا حقيقيا عندما قلت لها ان عـــددا من معارفنا قد سألونى عنها فى شـــيكاجو ، ثم أصرت على أن ترينى بنتها التى كان عمرها ثلاثة أعوام ••

وقالت لى جوردان بيكر فى لهجة تنم عن الاســـتخفاف : أنت تسكن « ويست اج » أليس كذلك ؟ •• انى أعرف أناسا يقيمون هنـاك

وعندما قلت لها انى لا أعرف أحدا من سكان ضاحيتى ، قاطعتنى قائلة : لابد أنك تعرف جاتسبى ••

فقالت ديزى : جاتسبى ! •• أى جاتسبى ؟! ••

ولكن قبل أن يرد أحد عليهـا ، أعلن كبير الخدم أن العشاء قـد أعد فى الشرفة ، فانتقلنا جميعا الى هناك ••

وقبل ان ننتهى من عشائنا ، جاء كبير الخدم وهمس ببضع كلمات فى أذن توم ، فنهض من مقعده ودخل البيت •• وبعد ذلك بقليل وقفت ديزى فى عصـــبية ، وبعـد أن تمتمت ببعض كلمات الاعتذار ، دخلت وراءه ••

ووصلت الينا فى الشرفة أصوات مناقشـــة حادة بين الزوجين ، فسألت جوردان عما هنالك •• فسألتنى فى دهشة : « ألا تعرف ؟ •• كنت أظن أن الدنيا بأسرها تعرف ! » •• ثم اســـتطردت قائلة ان لتوم عشيقة فى نيويورك •• ولا بد أن تكون هى التى طلبته فى التليفون ••

وبعد قليل عاد الزوجان الى المائدة ، وتوتر الأعصـــاب ظاهر على كليهما •• وظل التوتر عموما يسود السهرة حتى نهايتها ••

وفى الساعة العاشرة ، استأذنت جوردان وصعدت لتنام ، وبعدهـا بقليل استأذنت بدورى وانصرفت ، بعد أن علمت من ديزى أن جوردان من مدينة لويفيل مثلهـــا ، وأنهما أمضيتا فترة طفولتهما وصباهما معـا

وعند وصولى الى منزلى ، تبينت أن جارى المدعو جاتسبى لا يزال سهران فى حديقة منزله ، يرنو ببصره الى النجوم !

***

وبعد ذلك بأيام ، التقيت مصـادفة بتوم بوكنان ، فى القطار الذاهب الى نيويورك ••

وعند محطة صغيرة في منتصف الطريق ، توقف القطار لحظة .. ففوجئت بتوم يشدني من يدي ، ويصر على أن أنزل معه في تلك المحطة .. وعندما سألته عن السبب ، قال انه يريد ان يعرفني بصديقته التى تقيم هنا .. وامام اصراره لم يعد أمامي سوى الامتثال ..

ومشيت وراء توم الى أن بلغنا مبنى قديما يقف وحده على الطريق العام ، يتألف الدور الأرضى منه من ثلاثة دكاكين ، أحدها كان مطعما ، والثانى كان خاليا كتب عليه « للايجار » على حين كان الثالث جراجا كتب عليه « جراج جورج ويلسون ـ لتصليح وبيع وشراء السيارات » .

ودخل توم الجراج ، فدخلت خلفه .. وعند نهاية الجراج رأيت غرفة مكتب صغيرة خرج منها عند دخولنا صاحب الجراج وهو رجل نحيل ضعيف البنية ، بدا عليه السرور عند رؤية توم ، وسأله على الفور : متي تنوى أن تبيعنى تلك السيارة ؟ ..

فرد عليه توم قائلا : فى الأسبوع القادم ، عندما يتم اعدادها .. ثم راح يجيل نظره فى أنحاء الجراج فى قلق وضيق صدر ..

وعندئذ سمعت وقع أقدام تنزل درجا ، ثم خرجت من المكتب امرأة ممتلئة الجسم فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمرها ذات جمال شهوانى مثير ..

وبينما تقدم منها توم ليصافحها ، طلبت من زوجها أن يحضر بعض المقاعد ، فدخل الى المكتب .. وفى هذه الأثناء قال لها توم فى صوت منخفض : أريد أن أراك .. اركبى القطار القادم ..

فأفهمته باشارة من عينيها أنها موافقة ..

وبعد دقائق خرجنا أنا وتوم من الجراج ، ووقفنا ننتظر زوجة ويلسون فى المحطة ..

وسألت توم : ألا يلاحظ زوجها شيئا ؟ ..

فأجابني في سخرية : هذا الأبلة ؟! ... كلا انه لا يلاحظ شيئا ولا يشك في شيء ... وهو يظن أن امرأته تذهب الى نيويورك لزيارة أختها المقيمة هناك ! ....

***

كانت الموسيقى تصدح في منزل جاري جاتسبي في كل مساء من امسيات ذلك الصيف ، وكنت أرى حدائقه تغص بالضيوف من الجنسين ..

وذات يوم تلقيت دعوة لحضور احدى حفلاته التي لا تنتهي .. ولم أكن قد تعرفت به بعد ..

وعند وصولي الى قصره في المساء ، وجدت الحدائق قد امتلأت بالمدعوين والمدعوات .. ولكنني لم أر أثرا لصاحب القصر .. فأخذت أبحث عنه بين المقاصف العدة التي أقيمت في الحدائق ، الى أن رأيت جوردان بيكر ، فجريت نحوها وأنا أشعر بسعادة جارفة ، لعثوري أخيرا على انسان أعرفه وسط هذا الجمع ..

وعرفتني جوردان بالمجموعة التي جاءت معها .. فسمعت من أفرادها كلاما عجيبا عن صاحب الدعوة ، كما سمعت مثل هذا الكلام من الأشخاص الكثيرين الذين تعرفت بهم خلال السهرة ..

واكتشفت أن حكايات أشبه بالأساطير تحاك حول شخصية ذلك الرجل الغامض المدعو جاتسبي ، الذي يملك هذا القصر ، والذي يقيم فيه حفلات أشبه بالتي تتحدث عنها « ألف ليلة وليلة » ..

فهناك من كان يقول انه من أصل ألماني ، وأنه من أقارب قيصر ألمانيا المخلوع ! ..

وهناك من كان يقول انه كان يعمل جاسوسا لألمانيا في أثناء الحرب ! ..

وكان غيرهم يقول انه مبعوث غير رسمي لحكومة أجنبية ، تزوده بسيل لا ينقطع من المال ! ..

وأخيرا وجدت نفسى جالسا مع جوردان وشاب وسيم فى مثل عمرى ، الى احدى الموائد •• ومن خلال حديثنا ، تبين اننا كنا قد خدمنا فى فرقة عسكرية واحدة فى أثناء الحرب ••

وفهمت من حديثه أنه من سكان الضاحية ، فأخذت أقص عليه كيف حضرت هذه الحفلة قبل أن أتعرف بصاحبها ، وكيف عجزت عن العثور عليه حتى الآن ••

فبدت الدهشة على وجه الشاب ، ثم قال لى وقد أشرق وجهه بابتسامة كبيرة : أنا جاتسبى •• فصافحته فى حرارة ، ولكن قبل أن نتمكن من استئناف حديثنا ، جاءه أحد خدم قصره مسرعا ليبلغه أن مكالمة من شيكاجو تنتظره على التليفون ••

وبعد أن استأذن وقام ، قلت لجوردان ان آخر ما كنت أتوقعه هو أن يكون جاتسبى الذى سمعت عنه كل ما سمعت ، شابا وسيما لا يزيد عمره عن الثلاثين الا سنة أو سنتين •• ثم طلبت منها أن تخبرنى بما تعرفه عنه •• فقالت وهى تضحك ان كل ما تعرفه عنه هو أنه يقيم حفلات كبيرة بلا انقطاع ! ••

وبعد ذلك بفترة قصيرة ، جاءنا كبير خدم قصر جاتسبى ، وانحنى أمام جوردان وهو يقول ان مستر جاتسبى يرجوها أن تسمح له بأن يحادثها على انفراد •• فاتسعت عيناها دهشة وسألته فى استغراب : أنا ؟ •• وعندما أكد لها أنها هى المقصودة ، قامت وتبعته وهى تنظر الى فى حيرة ••

وظللت وحدى فترة أتنقل بين مجموعات الضيوف المختلفة ، الى أن اقتربت الساعة من الثانية صباحا ، فدخلت القصر لآخذ قبعتى وأنصرف •• وبينما أنا واقف فى الصالة الكبيرة فى انتظار قبعتى ، فتح باب المكتبة وخرج منه جاتسبى ومعه جوردان ••

وكان الانفعال يبدو واضحا فى وجه جاتسبى وهو يتحدث الى

جوردان ، ولكن وجهه استرد مظاهر الهدوء بمجرد أن تقدم منه بعض مدعويه ليودعوه ..

وقبل أن تنصرف جوردان مع المجموعة التى كانت قد حضرت معها همست فى أذنى قائلة : لقد سمعت شيئا عجيبا جدا .. ثم اتفقنا على أن أتصل بها تليفونيا لنلتقى فى موعد قريب ..

***

فى الساعة التاسعة من صـــــباح أحد أيام يوليو ، وقفت أمام باب منزلى سيارة جاتسبى الفاخرة .. وكان بداخلها صاحبها ..

وكانت تلك هى أول مرة يزورنى فيها ، على الرغم من أنى كنت قد ركبت معه طائرته المائية وسبحت فى شاطئه الخاص ، وحضرت اثنتين من حفلاته الاسطورية التى يحضرها أبرز شخصيات مجتمع نيويورك ، والتى يحضرها أيضا جميع هواة الحفلات سواء أكانوا مدعوين اليها أم لا

وعرض جاتسبى أن يحملنى فى ســـيارته الى نيويورك .. وفى الطريق قال لى انه سوف يطلب منى طلبا كبيرا فى ذلك اليوم .. ثم تردد لحظة وأضاف أنه علم أنى سوف أتناول الشاى مع جوردان بيكر عصر اليوم .

فظننت أنه مغرم بجوردان ، وأنه يريد أن يطلب منى ألا أقابلها . غير أنه استطرد قائلا بسرعة ان جـــــوردان قد تكرمت وقبلت أن تنقل الى طلبه منى ..

وأدهشنى كلامه ، وحاولت أن أستوضحه الأمر ، ولكنه رفـض أن يتفوه بكلمة أخرى واحدة عن هذا الموضوع ..

وبعد الظهر ، التقيت بجوردان بيكر ، وذهبنا الى فندق بلازا لنأخذ الشاى فى حديقته الجميلة ..

وهناك قصت على جوردان القصـــة التالية .. فأتيح لى أخيرا أن أعرف شيئا عن ذلك الرجل الغامض الغريب ! ..

قالت جوردان انها فى صباح أحد أيام أكتوبر من عام ١٩١٧ ، كانت تسير فى أحد شوارع لويفيل •• وكانت فى السادسة عشرة من عمرها فى ذلك الوقت ••

وقادتها قدماها الى الشارع الذى كانت تقيم فيه قريبتى ديزى التى كانت تكبرها بعامين ، والتى كانت أيضا أجمل وأغنى فتيات لويفيل ، وأبرز بنات مجتمعها ••

وكان بجوار المدينة معسكر ، كان جميع الضباط الشبان فيه ، يتنافسون على كسب ود ديزى ••

وعندما أصبحت جوردان أمام منزل ديزى ، رأت سيارتها البيضاء واقفة أمام الباب ، ورأتها جالسة فيها مع ضابط شاب لم تكن قد رأته من قبل ••

وكانت ديزى منهمكة فى حديث هامس مع صديقها ، الى حد لم تر معه جوردان الا بعد أن أصبحت على بعد خطوتين من السيارة ••

وكان الضابط الشاب ينظر الى ديزى فى وله ، وكانت ديزى تبادله النظرات نفسها وكان واضحا أن الشابين غارقان حتى أذنيهما فى الغرام ••

وكان ذلك الشاب هو جاتسبى الذى لم تره جوردان مرة ثانية الا بعد مرور أكثر من أربع سنوات على ذلك اليوم ••

وأضافت جوردان أنها لم تتذكر جاتسبى عندما رأته من جديد فى نيويورك •• وحتى عندما عرفت اسمه ، لم يخطر ببالها انه الشخص الذى كانت قد رأته مع ديزى من قبل ••

وسكتت جوردان برهة ، ثم استطردت قائلة إنها لم تر ديزى كثيرا بعد ذلك اليوم ، برغم الصداقة القوية التى كانت تربط بينهما منذ الطفولة •• فقد كبرت هى بدورها ، وأصبح لها أصدقاؤها الخصوصيون من الشبان ••

ولكن برغم ابتعاد طريقها عن طريق ديزى فقد كانت تسمع عن ديزى شائعات كثيرة ، كانت حديث المدينة فى ذلك الوقت ..

ومن هذه الشائعات أن والدة ديزى ضبطتها ذات ليلة من ليالى الشتاء وهى تعد حقيبتها استعدادا للسفر الى نيويورك ، لتكون فى وداع جندى مسافر الى أوربا .. فمنعتها أمها من السفر بطبيعة الحال ، ولكنها ظلت تخاصم أهلها مدة طويلة بعد ذلك ، كما انقطعت بعد هذا الحادث عن الاختلاط بضباط المعسكر المجاور وعن الاشتراك فى النزهات والحفلات .

ولكن عندما حل الخريف التالى ، كانت ديزى قد استردت مرحها وأصبحت مرة ثانية فتاة المجتمع البارزة التى لا تفوتها حفلة ..

وفى شهر فبراير ، شيع أنها قد خطبت لرجل من نيوأورليانز غير أنها تزوجت فى شهر يونيو شابا ثريا من شيكاجو ، هو توم بوكنن وكانت حفلة زواجها هى أضخم حفلة شاهدتها مدينتها فى تاريخها كله .

وقد استأجر توم قطارا خاصا لنقل المدعوين الى حفلة زفافه من شيكاجو الى لويفيل .. وفى اليوم السابق لحفلة الزفاف ، أهدى الى ديزى عقدا من اللؤلؤ قدر ثمنه بأربعمائة ألف دولار .

وكانت جوردان احدى وصيفات الشرف فى حفلة زفاف صديقتها ديزى .. وقبل موعد العشاء الكبير الذى أقيم بهذه المناسبة بنصف ساعة ، صعدت جوردان الى غرفة نوم ديزى ، فوجدتها مستلقية على سريرها فى ثوب الزفاف الأبيض الرائع ، وهى فى حالة يرثى لها من السكر !

وكانت تحمل زجاجة من الخمر فى احدى يديها ، وخطابا فى اليد الأخرى .. وعندما رأت جوردان صاحت بها : هنئينى .. انى لم أذق الخمر فى حياتى ، ولكنك لا تستطيعين أن تتصورى كم أستمتع بها الآن .

وجزعت جوردان لما رأته ، فلم تكن قد رأت انسانة سكرانه من

قبل .. وحاولت أن تسأل ديزى عما جرى لها .. ولكن ديزى لم ترد على أسئلتها ، وانما مدت يدها الى سلة مهملات كانت تضعها الى جوارها فى السرير ، وأخرجت منها عقد اللؤلؤ الذى أهداه اليها خطيبها وقالت لها : انزلى بهذا الى تحت ، ورديه الى أصحابه ، وقولى لهم ان ديزى قد غيرت رأيها وعدلت عن الزواج ! ..

ثم أخذت تبكى فى حرقة وبلا انقطاع .. فجرت جوردان واستدعت احدى الخادمات ، وبعد أن أغلقت باب الغرفة ، تعاونت مع الخادمة فى حمل ديزى الى الحمام ، وأرغمتاها على الاغتسال فى الماء البارد لكى تصحو من السكر ..

غير أنهما لم تفلحا فى حملها على التخلى عن الخطاب الذى كانت تحمله ، فظلت ممسكة به فى يدها الى أن كاد يذوب فى الماء ..

ولكن ديزى لم تتفوه بكلمة واحدة بعد ذلك .. واستطاعت جوردان والخادمة أن تعيداها الى حالتها الطبيعية ، وأن تلبساها ثوب الزفاف وعقد اللؤلؤ ، وأن تنزلا بها الى العشاء دون أن يلاحظ عليها أحد أى شىء غير عادى ..

وفى اليوم التالى سافرت ديزى مع وزجها الى البحار الجنوبية فى رحلة طويلة استغرقت ثلاثة أشهر ..

ورأتها جوردان بعد عودتهما فى مدينة سانتا بربارا ، فخيل اليها أن ديزى هى أسعد الزوجات ، وأنها تحب زوجها حبا جنونيا لا تطيق معه أن تبتعد عنه لحظة واحدة .. كما كان يبدو عليه هو أيضا أنه يعبدها

ولكن بعد أن غادرت جوردان سانتا بربارا بأسبوع ، قرأت فى الصحف أن حادث سيارة وقع لتوم ذات مساء ، أصيبت فيه الفتاة التى كانت ترافقه بكسور .. ولم تكن هذه الفتاة زوجته ، ولكنها كانت احدى خادمات الفندق الذى كان هو وزوجته ينزلان فيه ! ..

وفى شهر أبريل التالى ، ولدت ديزى بنتها .. ثم سافرت الى فرنسا بعد ذلك مع زوجها ، ومكثا هناك مدة عام ..

وبعد عودتهما الى أمريكا ، انغمسا فى حياة المجتمع الغنى اللاهية ولكن برغم كثرة لفضائح التى تملأ هذا المجتمع وكثرة الشائعات التى تتردد فيه ، فان اسم ديزى لم يقترن بأية فضيحة ولم تحم حوله أية شائعات .

واستطردت جوردان قائلة ان ديزى لم تسمع من جديد اسم جاتسبى طوال هذه السنوات ، الا منذ حوالى ستة الاسابيع .. وكان ذلك عندما سألتنى جوردان فى بيتها اذا كنت أعرف جاتسبى الذى يقيم فى الضاحية التى أسكنها .

وقالت جوردان ان ديزى دخلت عليها غرفتها بعد انصرافى فى ذلك المساء وأيقظتها من نومها وسألتها عن جاتسبى الذى ذكرت اسمه فوصفته لها جوردان وهى نصف نائمة ، وعندئذ قالت لها ديزى فى صوت غريب انه لابد أن يكون جاتسبى الذى كانت تعرفه .

وهنا فقط أدركت جوردان أن جاتسبى هذا والضابط الشاب الذى كانت قد رأته مع ديزى فى سيارتها ، هما شخص واحد .

وبعد أن فرغت جوردان من سرد قصتها ، ساد الصمت بيننا برهة، ثم قطعته أنا بقولى : إنها لمصادفة غريبة ! .

فردت جوردان قائلة : ولكنها ليست مصادفة بالمرة ، فجاتسبى لم يشتر قصره الا لأنه لا يفصل بينه وبين ديزى ، غير ذلك الشريط الرفيع من الماء ! .

وعندئذ فقط أدركت أن النجوم لم تكن هى التى يقضى جاتسبى الليل فى التطلع اليها من حديقة قصره ، كما خيل الى .. وبدأت أفهم الى حد ما ، شخصيته الغريبة التى كانت تبدو لى - وللناس جميعا - مغلفة بالغموض .

واستطردت جوردان قائلة ان ما يريده منى جاتسبى هو ان أدعو ديزى الى منزلى بعد ظهر أى يوم أختاره ، وأن أسمح له بالحضور أيضا . وأنه قد كلفها بتوجيه هذا الطلب الى .

فهزتني تواضع ذلك الطلب وامتــلأت عجبا لهذا الرجل الذى ظل ينتظر خمسة أعوام ، واشترى قصرا فتح أبوابه لكل من هب ودب وجعل لياليه ســلسلة متصلة من الحفلات ثم لايطلب بعد هذا كله الا أن يسمح له بالقيام بزيارة عابرة لبيت رجل غريب ! .

وسألت جوردان فى دهشة : وهل كان من الضرورى أن أعرف كل ما حدثتنى به ، قبل أن يطلب منى هذا الطلب البسيط ؟ .

فقالت : انه خائف بعد أن انتظر كل هذا الوقت الطويل .. وقد خشى أن يجرح شعورك بهــذا الطلب ، ولذلك أرادك أن تعرف كل الظروف المحيطة به ..

فسألتها : ولكن لماذا لم يطلب منك أنت أن تدبرى له مقــابلة مع ديزى ؟ ..

فقالت : لأنه يريدها أن ترى قصره ، ومنزلك أنت يجاور القصر .

ثم استطردت قائلة : يبدو أنه كان يأمل فى أن تحضر ديزى احدى حفلاته مصادفة وبلا دعوة ، كما يفعل كثيرون من الناس ، فصيت حفلاته قد ملأ المنطقة ، وعشرات من الذين يحضرونهــا لا يعرفونه ولا يعرفهم وانما يجيئون الى حدائق قصره مثلما يذهب الناس الى الحدائق العامة ، فالأنوار المتلألئة فى القصر وفى الحدائق ، والموسيقى التى تصــدح طول الليل ، تثير فضول من يمرون بضاحيتكم وتســتدرجهم الى دخول القصر بلا دعوة أو استئذان .. ولكن أمله هذا لم يتحقق ، ولم تدخــل ديزى حدائقه قط ..

فأخذ بعد ذلك يسأل الناس عنها فى تحفظ .. وشاءت المصادفات أن أكون أنا أول واحدة يسألها عنها ، ويتبين أنها تعرفها .. وكان ذلك فى تلك الليلة التى استدعانى فيها الى مكتبة قصره .. وقد أضاع أكثر من ساعة وهو يلف ويدور حول الموضوع دون أن يوجه الى أى سؤال مباشر عنها .. الى أن عرف منى فى النهاية انى أعرفها ..

فسألت جوردان : وهل تريد ديزى أن تراه ؟ ..

فردت علي قائلة انه لا يريد أن تعرف ديزي شـــيئا عن المقابلة المطلوبة ، ويريدك أن تدعوها الى الشاي دون أن تخبرها بشيء ..

* *

وعندما عدت الى بيتي في الساعة الثانية من الصباح ، وجدت أن جاتسبي كان ينتظر عودتي في حديقة منزله .. فما كدت سيارةالاجرة التي أقلتني تقترب من باب منزلي ، حتى عبر حديقته وجاء الي ..

وكنت ادرك لهفته لمعرفة ردي علي طلبه ، برغم تظـــاهره بالهدوء .. فقلت له انني سوف ادعو ديزي لشرب الشاي عندي بعد غد .

وفي الصباح ، اتصلت بديزي في التليفون .. ووجهت اليها الدعوة ، وحرصت على ان أطلب منها الا تصطحب معها توم ..

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم المحدد ، جاءني جاتسبي وقد ظهر عليه الاضطراب والشحوب ، وبدا وكأنه لم ينم منذ ايام .. وكان ينظر في ساعته في كل دقيقه ، ويحاول عبثا أن يداري ما هو فيه من قلق وانفعال .. وعندما اقتربت الساعة من الرابعة دون أن تحضر ديزي نهض من مقعده في عصبية ، وقال في صوت متهدج انه يبدو أنها لن تأتي ، وانه لن ينتظرها بعد الآن ..

ولكني أجبرته على الجلوس من جديد .. وبعد دقائق قليلة سمعنا صوت سيارة تقترب من الباب ، فنهضنا معـــا بسرعة ، وخرجت أنا الى الحديقة لأستقبل ديزي التي سألتني مازحة : هل في بيتك أن تغازلني ولذلك طلبت مني أن أجيء وحدي ؟ ..

فطلبت منها أن تصرف سائق سيارتها ، وأن تطلب منه العـــــودة بعد ساعتين .. ثم قدتها الى داخل المنزل ، ولشـــدة دهشتي فوجئت بأن جاتسبي قد اختفى منه ! ..

ولكن لم تكد تمر ثوان حتى سمعت طرقا على الباب الخارجي ، فذهبت وفتحته لأجد جاتسبي واقفا هناك وقد علا وجهه شحوب الأموات ..

وتركني جاتسبي عند الباب وتقدم وحـــده الى غرفة الجلوس •• فتلكأت برهة قبل أن أتبعه سمعت خلالها صوت ديزى وهي تقـــول في اضطراب وفي رنة غير صادقة انها سعيدة جدا لرؤيته ثانية ••

ثم دخلت الغرفة فوجدت ديزى جالسة في قلق على حافة مقعدها ، على حين وقف جاتسبي بجوار المدفاة متظاهرا بالهدوء وعدم المبالاة ••

وقال لى جاتسبي في صوت بان كأنه حشرجة : اننا نعرف بعضنا من قبل ••

وسادت فترة صمت قلق ، قطعتها ديزى بقولها : ولكننا لم نلتق منذ عدة أعوام ••

فرد عليها جاتسبي قائلا : في نوفمبر القادم ، ستكون خمسة أعوام كاملة قد مرت على لقائنا الأخير ••

واستعادت ديزى رباطة جأشها بسرعة ، وأخذت تتحدث الى في صوت عادى •• ولكن جاتسبي ظل ينقل نظراته الحزينة بينها وبيني دون أن يستطيع أن ينطق كلمة واحدة ••

وعندما انتهينا من شرب الشاى ، انتهزت أول فرصة لأنسحب الى المطبخ •• ولكن جاتسبي تبعني على الفور هناك وقال لى في يأس أن فكرته كانت غلطة فظيعة • ثم أخذ يردد كلمتى « غلطة فظيعة » في ألم وبلاوعى •

فقلت له ان كل ما في الأمر هو أنه مضطرب ، وديزى مضطربة مثله وان عليه أن يعود اليها في الحال •• فانتعشت آماله لســـماع أن ديزى مضطربة ، وعاد الى غرفة الجلوس ••

وخرجت أنا من باب المطبخ الى الحديقة ، مثلما كان جاتسبي قد فعل في أثناء استقبالى لديزى ، ومكثت هناك حوالى نصف الساعة ، ثم عدت الى البيت ••

ووجدت ديزى وجاتسبي جالسين على مقعدين متقاربين وقد اختفى اضطرابهما وتوتر أعصابهما وخيم عليهما الهدوء •• وكانت الدموع تملأ

عيني ديزى عند حضورى ، ولكن جاتسبى كان يشع بهجة وحبورا ، ويبدو عليه أنه سعيد الى أبعد حد ..

وقال جاتسبى انه يريد أن ترى ديزى منزله ، وأنه يريدنى ان أذهب معهما .. فدخلت ديزى الحمام لتصلح زينتها ، وسألته فى غيابها اذا كان حقا يريدنى أن أرافقهما ، فأصر على ضرورة مجيئى .. ثم سألنى : ألا يبدو منزلى جميلا حقا ، بموقعه الرائع والحدائق المنسقة المحيطة به ؟

فطمأنته الى جمال منزله .. وعندئذ قال لى ان الأموال التى اشتراه بها ، قد كسبها خلال ثلاثة أعوام ..

فسألته عن العمل الذى يمارسه ، فأجابنى بدون وعى وفى غلظة لم أتوقعها ان هذا شانه وحده .. ولكنه احس بخطئه فاستدرك قائلا انه يعنى انه قد مارس اعمالا مختلفة ومتعددة ، وانه كان يمتهن فى وقت ما تجارة الأدوية وتجارة النفط ، ولكنه كف عن هاتين التجارتين الان ..

وانضمت الينا ديزى وذهبنا الى قصر جاتسبى .. وكان لا يرفع عينيه عن وجهها طوال مدة طوافنا بحدائق قصره وبحجراته الفخمة ، فقد كان يريد أن يقرأ فى وجهها أمارات الاعجاب بقصره ، وكان يسر سرورا لا حد له كلما رآها مبهورة بما تشاهده ..

وعندما وصلنا الى غرفة نومه ، ألقت ديزى برأسها على ظهر مقعدها فجأة ، وانخرطت فى بكاء حار ..

ثم نزلنا ويدها فى يده وطفنا بالحدائق وبالشاطىء ، وكنا نريد أن نتفرج على الطائرة البحرية ، ولكن المطر نزل فجأة ، فعدنا ثانية الى القصر ..

وجلسنا فى احدى الردهات الضخمة .. واستدعى جاتسبى رجلا كان ينزل ضيفا عليه بصفة دائمة ، وطلب منه أن يعزف لنا بعض المقطوعات على البيانو ..

وتأملت وجه جاتسبى وهو جالس بجوار ديزى ، ويدها فى يده ،

فرأيت ان سروره قد تحول الى دهشة وان نظرة حيرة غريبة قد ملأت عينيه ..

وسألت نفسي : ترى هل يطرق اليه شك في سعادته الحالية ، بعد ان ظل يحلم بهذه السعادة نرابة خمس سنوات ؟ .. لا بد ان شيئا من خيبة الامل قد اصابه بعد ان التقى بديزى بعد هذا الفراق الطويل ـ لا بسبب ديزى نفسها ـ ولكن لان الوهم الذى عاش فيه هذه المدة الطويلة كان قد تضخم في خياله الى حد ، أصبحت معه كل حقيقة تبدو ضئيلة بالقياس اليه !

ولكن امارات السعادة الغامرة عادت الى وجهه بمجرد أن همست ديزى شيئا في اذنه .. واظن ان صوتها كان هو أكثر شيء يشده اليها ، فقد كان هذا الصوت أروع من أن يتفوق عليه أى حلم أو اى وهم ..

وبعد برهة لاحظت أنهما قد نسيا وجودى تماما .. فقمت وتسللت من القصر ، وتركتهما معا هناك .

* *

بعد ذلك ، مرت عدة أسابيع دون أن أرى فيها جاتسبى أو حتى أسمع صوته في التليفون .. فقد كنت أقضى أكثر وقتى فى نيويورك ، بصحبة جوردان بيكر التى أخذ اهتمامى بها يتزايد يوما بعد يوم ..

ولكنى زرته أخيرا ، بعد ظهر أحد أيام الأحد .. ولم تمر دقيقتان على دخولى منزله ، حتى وصل اليه توم بوكنان مع شخصين آخرين ..

وكان الثلاثة يرتدون ملابس ركوب الخيل ، فقد كانوا يقومون بجولة فى المنطقة على أحصنتهم ، وعندما وصلوا الى منزل جاتسبى ، اقترح صديقا توم اللذان كانا قد زارا جاتسبى من قبل ، أن يعرفاه بتلك الشخصية الغريبة وان يرياه حياة الملوك التى يعيشها ، فلم يمانع توم ..

أما جاتسبى فقد هزه حضور توم الى بيته ، وأثار فيه انفعالات عنيفة .. ولكنه لم يلبث أن تمالك نفسه ، وقال له فى أدب خلال الحديث انه قد سبق له ان تشرف بمعرفة زوجته ..

ويبدو أن هذا النبأ لم يعجب توم ، اذ قال لى فى صوت منخفض وهو يصافحنى عند انتهاء الزيارة : ترى اين تعرف هذا المخلوق بديزى ؟ ••
واستطرد قائلا : قد أكون مبالغا فى المحافظة ، ولكن الحرية التى تمارسها السيدات فى هذه الأيام لا تروقنى ، وخروجهن وحدهن يجعلهن يلتقين بأشكال والوان من الناس ! ••

ويظهر ان خروج ديزى وحدها بدأ يقلق توم فعلا •• لأنه جاء معها مساء السبت التالى الى حفلة جاتسبى ••وخلال الحفلة سألنى : من هو جاتسبى هذا ؟ •• هل هو أحد كبار المهربين ؟ ••

فقلت له باختصار : لا •• ولكن ردى المقتضب لم يسكته ، فقد استطرد قائلا : على اية حال لا بد أن يكون قد أرهق نفسه كثيرا لكى يجمع ما يمكنه من أن يعيش هذه الحياة ! ••

وفى نهاية السهرة ، أثار توم الموضوع ثانية فى حضور ديزى ، وقال انه يود ان يعلم ما هو عمل جاتسبى ، وأنه سيقوم بتحريات لمعرفة هذا الأمر ••

فقالت له ديزى ان فى امكانها أن توفر عليه عملية القيام بالتحريات، وأن تنبئه فورا بعمل جاتسبى •• وأضافت انه كان يملك عددا كبيرا من مخازن الأدوية ، أنشأها بنفسه ••

وغادر توم وديزى الحفلة فى حوالى الثالثة صباحا ، ولكن جاتسبى لم يتركنى اذهب معهما ، وأصر على أن أبقى معه حتى نهاية الحفلة ••

وبعد ان غادر آخر الضيوف الحفلة مع خيوط الفجر الأولى ، قال لى فى حزن ويأس انه يجد صعوبة فى حمل ديزى على الفهم ••

ثم أوضح لى ما يقصده •• فتبين أنه يريد من ديزى أن تقول لزوجها انها لم تحبه قط فى أى يوم من الأيام ، وأن تطلب منه الطلاق ! ••

وبعد أن تمحو بهذه الكلمات أربعة أعوام كاملة من حياتها ، كان يريد منها أن تعود الى منزل أسرتها فى لويفيل ، ليتم زفافها اليه هناك •• تماما كما لو كان هذا الأمر قد حدث منذ خمس سنوات ••

وعاد يقول : ولكن ديزى لاتفهم •• لقد كانت تفهمنى فى الماضى •• كنا نمضى ساعات ••

غير أنه لم يكمل كلامه وأخذ يذرع أحد ممرات الحديقة جيئة وذهابا وهو فى حالة انفعال شديد •

وأخيرا تشجعت. وقلت له : لو كنت مكانك لما توقعت منها كثيرا ، فالماضى لا يمكن استعادته ••

فصاح فى استنكار : لا يمكن استعادته ! •• بل يمكن جدا •• ولابد أن يعود ! ••

ثم استطرد قائلا فى تصميم : سوف أعيد كل شىء الى ما كان عليه•• وسوف ترى ديزى أن ذلك ممكن ! ••

***

وبعد ذلك ببضعة أيام ، اتصلت بى ديزى تليفونيا ودعتنى الى تناول الغداء فى منزلها فى اليوم التالى •• وقالت ان جوردان ستكون موجودة، وكذلك جاتسبى ••

ورحب زوجها توم بجاتسبى دون أن يظهر عليه شىء من نفوره منه، وجلسنا جميعا نحتسى الشراب فى انتظار حلول موعد الغداء •• ثم خرج توم ليتحدث فى التليفون ، فنهضت ديزى من مكانها ، وقبلت جاتسبى أمامى وأمام جوردان ، وقالت له فى صوتها الموسيقى : أنت تعلم أننى أحبك ••

وفى أثناء جلوسنا الى المائدة ، اقترحت ديزى أن نذهب جميعا الى نيويورك بعد الغداء •• فاعترض توم قائلا ان الجو شديد الحرارة •• ثم التقت عينا ديزى بعينى جاتسبى فى نظرة طويلة طافحة بالعواطف الجياشة ، لاحظها توم فوقعت عليه وقوع الصاعقة ، وأدرك أخيرا ما بين زوجته وبين جاتسبى من غرام ••

وأذهلته المفاجأة ، فظل برهة فاتحا فمه كالمشدوه •• ثم استرد أخيرا رباطة جأشه وقال فى عصبية انه يوافق على فكرة الذهاب الى نيويورك ••

وخرجت ديزى وجوردان لتصلحا زينتهما ، وذهب توم ليحضر زجاجة ويسكى نأخذهـــا معنا الى نيويورك •• فقال لى جاتسبى : اننى لا أستطيع أن أقول له أى شيء فى منزله ••

واقترح جاتسبى أن نستقل جميعا سيارته الكبيرة ، ولكن توم أصر على أن نذهب فى سيارتين •• سيارته هو ، وسيارة جاتسبى الصـــــفراء المكشوفة ، وطلب من جاتسبى أن يسمح له بقيادة سيارته ••

فأعطاه جاتسبى مفتاحها ، وهو يقول ان ما فيها من بنزين قليل •• فقال له توم انه سوف يملؤها بالبنزين فى الطريق ••

ودعا توم زوجته الى الركوب معه فى سيارة جاتسبى ، ولـــكنها طلبت منه أن يأخذنى أنا وجوردان معه ، وقالت انها سوف تركب فى السيارة الأخرى مع جاتسبى !

وقبل أن يستطيع توم أن يقول أى شيء ، اتجهت ديزى الى السيارة الثانية ، وشدت جاتسبى معها ••

فجلست أنا وجوردان الى جانب توم الذى سألنا فى ذهول وهـــو يدير محرك السيارة : هل رأيتما ؟

فسألته : رأينا ماذا ؟ ••

فنظر الى نظرة حادة ، وأدرك أن ما اكتشفه لساعته ، لم يكن سرا بالنسبة لجوردان أو لى ••

وعند جراج ويلسون ، وقف توم ليملأ السيارة بالبنزين ، فسأله صاحب الجراج مرة أخرى متى ينوى أن يبيعه سيارته •• فقال له توم انه سوف يرسلها اليه فى الغد ••

فقال ويلسون انه بعد أن يشترى سيارة توم ، سوف يسافر الى بلدته الأصلية •• فسأله توم فى دهشة وضيق : ولماذا تســـافر ؟ •• فقال ويلسون انه قد سمع أنباء أزعجته فى الأيام الأخيرة ، ولذلك قرر أن يأخذ زوجته ويبتعد عن نيويورك •

ووقع نظرى مصادفة على نافذة المنزل الذى يعلو الجراج ، فرأيت زوجة ويلسون تطل منها علينا ، ونظراتها مسمرة على جوردان بيكر ..

وأذهلتنى فى أول الأمر نظرات الحقد والغيرة التى كانت توجهها لجوردان ، ولكنى ما لبثت أن أدركت أنها تظنها زوجة عشيقها ..

وواصلنا السير الى نيويورك فى سرعة مخيفة ، فقد أصبح توم فى حالة غير طبيعية بعد أن أدرك خلال ساعة واحدة أن زوجته وعشيقته على وشك ان تفلتا من بين يديه .. وكان أيضا يريد أن يلحق بديزى وجاتسبى اللذين كانا قد سبقانا بسبب توقفنا عند الجراج .

وقبل أن ندخل نيويورك ، وجدنا السيارة الأخرى فى انتظارنا ، فطلب توم من جاتسبى أن يتبعه الى فندق بلازا ، ولكنه ظل يلتفت وراءه طول الطريق ، كأنما كان يخشى أن يغافله جاتسبى ويهرب بديزى ! ..

وفى الفندق استأجرنا صالونا خاصا ، وجلسنا نحتسى المشروبات المرطبة .. وكانت أعصاب الجميع متوترة ..

وفجأة قال توم انه يريد أن يسأل جاتسبى سؤالا .. ثم التفت اليه وقال : اية مشكلة تريد أن تحدثها فى بيتى ؟ ..

فصاحت فيه ديزى قائلة : أنت الذى تريد خلق المشكلات ، وأرجوك أن تتمالك أعصابك ..

ثم حاولت أن تحول الحديث الى اتجاه آخر ، ولكن جاتسبى قاطعها قائلا انه هو أيضا يريد أن يقول شيئا لتوم ..

وأدركت ديزى مايريد أن يقوله ، فصاحت فيه : أرجوك .. لاتقل شيئا ..

ثم اقترحت أن نغادر المكان ونعود الى منازلنا .. ولكن زوجها قال انه يود أن يسمع مايريد جاتسبى أن يقوله له ..

فقال له جاتسبى : ان زوجتك لاتحبك . وهى لم تحبك أبدا .. انها تحبنى أنا ! ..

فقال له توم : أنت مجنون ! ••

فصاح جاتسبى وقد استبد به الانفعال : انها لم تحبك أبدا •• ألا تسمعنى ؟ انها لم تتزوجك الا لأنى كنت فقيرا ولأنها تعبت من انتظارى •• ولقد كانت غلطة فظيعة ، ولكنها فى قرارة نفســـها لم تحب أحدا غيرى ! ••

فالتفت توم الى ديزى وقال لها فى صوت هادىء : ما الذى حدث ؟ انى أريد أن أعرف كل شىء ••

فرد عليه جاتسبى قائلا : لقد قلت لك أنا ما حدث •• وقد استمر ما حدث هذا خمسة أعوام •• دون أن تدرى أنت ! ••

فسأل توم زوجته فى حدة : هل كنت تقابلين هذا المخلوق خـلال الخمسة الأعوام الماضية ؟ ••

فقال جاتسبى : كلا لم نكن نتقابل ، ولكن كلا منا كان يحب الآخر طوال الوقت ••

فصاح توم : أنت مجنون ! •• ثم استطرد قائلا : أنى لا استطيع أن أتحدث عما يجرى قبل خمس سنوات ، لأنى لم أكن قد التقيت بديزى بعد فى ذلك الوقت •• ولكنى مع ذلك لا أستطيع أن أتصور كيف توصل مخلوق مثلك الى مجرد رؤية ديزى وليس الى ما هو أكثر من ذلك ! •• أما كل شىء آخر قلته ، فهو كذب محض •• فقد كانت ديزى تحبنى عندما تزوجتها ، وهى لا تزال تحبنى الى الآن ••

فقال جاتسبى وهو يهز رأسه : لا !

غير أن توم مضى يقول : بل هى تحبنى ، وان كانت بعض الأفكار السخيفة تتسلل الى رأسها فى بعض الأحيان •• وأنا أيضا أحبها ، وان كنت أرتكب بعض الهفوات الصغيرة أحيانا •• ولكنى أعود اليها فى النهاية دائما ، وفى قرارة نفسى لا أكف عن حبها قط ••

فقالت ديزى موجهة الكلام الى توم : انك تثير الاشمئزاز ••

ثم التفتت الى وقالت : أتدرى لماذا رحلنا من شيكاجو ؟ •• ان ذلك كان بسبب احدى ما يسميها هفواته الصغيرة •

فاتجه جاتسبى اليها ، وقال لها : ان كل هذا قد مضى يا ديزى ، ولم تعد له أية أهمية •• قولى له انك لم تحبيه أبدا ، فينمحى الماضى بأكمله ••

فنظرت ديزى الى جوردان والى فى حيرة ، وكأنما أدركت أخيرا ما الذى تفعله •• ثم قالت فى النهاية وكأنها مكرهة : انى لم أحبه قط !••

فسألها توم فجأة : حتى ولا فى جزر البحار الجنوبية ؟ ••

فقالت له : كلا ! ••

فسألها وفى صوته نبرة حنان عميقة : حتى ولا يوم حملتك الى الصخرة ، لكيلا تبتل قدماك ؟ ••

فقالت له ديزى : أرجوك أن تسكت ••

ولكن المرارة كانت قد زالت من صوتها ••

ثم أشعلت سيجارة فى عصبية ، ولكنها ما لبثت أن رمتها على الأرض وصاحت فى جاتسبى : انك تطلب كثيرا جدا •• انى احبك الآن ، أفلا يكفى هذا ؟! ••

ثم انفجرت باكية واستطردت قائلة : اننى لاأستطيع أن أغير ما مضى، ولقد أحببته فترة •• ولكننى كنت أحبك أنت أيضا ! ••

فسألها جاتسبى فى مرارة : كنت تحبيننى أيضا ؟! ••

فصاح توم : حتى هذا غير صحيح ••انها لم تكن تعلم ان كنت حيا أو ميتا •• ان بين ديزى وبينى أشياء لا يمكنك أن تعلمها أبدا ، أشياء لا يمكن أن ينساها أى منا ••

ثم التفت الى زوجته وهو يقول : فى المستقبل لن أفعل أى شىء يغضبك ••

فقال له جانسبى فى ذعر : فى المستقبل ؟! •• ان ديزى لن تعيش معك بعد اليوم •• انها سوف تتركك ! ••

فقال توم فى هدوء : كلا انها لن تتركنى •• وخصوصا من أجل نصاب مجرم مثلك ! ••

فصاحت ديزى : انى لا أستطيع أن أحتمل أكثر من هذا•• أرجوكم •• دعونا نذهب ••

غير أن توم استطرد قائلا لجانسبى : من أنت على أى حال ؟! •• انى أعرف أنك مجرم حقير ، وأعلم أن مخازن الأدوية التى تزعم أنك كنت تملكها ، لم تكن الا دكاكين حقيرة ، تباع فيها سرا المخدرات ! •• كما أعرف أن لك نشاطا اجراميا آخر ، لم أهتد اليه بعد ، ولكنى سوف أكشفه حتما ، وأظهرك على حقيقتك أمام الناس ! ••

فظهر فزع حقيقى على وجه جانسبى ، وأخذ يدافع عن نفسه ويؤكد لديزى أن كل ما سمعته غير صحيح •• ولكن ديزى لم تكن تستمع اليه ، وانما كانت تنكمش شيئا فشيئا داخل نفسها ، الى أن أحس أنه لم يعد فى امكانه أن يصل اليها•• فكف أخيرا عن الكلام ••

وقالت ديزى لتوم : أرجوك ياتوم •• •• اننى لا أستطيع أن أحتمل أكثر من هذا ••

وكانت عيناها الخائفتان تؤكدان أن أية نوايا أو شجاعة كانت لديها من قبل ، قد تخلت عنها نهائيا •• فقال توم الذى أحس أنه أصبح سيد الموقف : فلنعد اذن الى بيوتنا •• عودى أنت مع مستر جانسبى فى سيارته، وسوف نلحق بكما فى السيارة الأخرى ••

وعندما نظرت اليه ديزى فى فزع ، استطرد قائلا فى سخرية وزهو : اركبى معه •• انه لن يضايقك ، فلابد أنه أدرك الآن أن أوان مغازلته الوقحة لك ، قد انتهى الى غير رجعة ••

فمشت ديزى مع جانسبى ، دون أن يتفوه أى منهما بأية كلمة ••

أما ما حدث بعد ذلك ، فقد رواه فى التحقيق صاحب المطعم المجاور لجراج ويلسون ..

قال انه دخل جراج جاره فى حوالى الساعة السادسة بعد الظهر وقف يتحدث معه برهة .. وفجأة سمع صوت ضوضاء آتيا من فوق ، فقال له ويلسون انه قد حبس زوجته فى المنزل ، ولن يدعهـا تخرج الا عندما يسافران معا بعد يومين ..

واندهش صاحب المطعم ، وحاول أن يسأل جاره عما حدث بينه وبين زوجته ، ولكن ويلسون لم يخبره بشيء ، وانما تمتم ببعض عبارات فهم منها الآخر أنه قد أصبح يشك فى سلوك زوجته ..

وعندئذ رأى صاحب المطعم بعض العمال قادمين الى محله ، فترك الجاراج وعاد الى مطعمه .. وبعد الساعة السابعة بقليل ، وقف على باب المطعم ، فسمع صوت شجار فى الجراج بين ويلسون وزوجته.. ثم رآها تندفع خارجة من الجراج وهى تلوح بيديها وتصرخ ..

وقبل أن يتحرك من مكانه ، كان كل شيء قد انتهى .. فقد كانت تعبر الطريق فى تلك اللحظة سيارة صفراء مكشوفة كبيرة تسير بسرعة، صدمت زوجة صاحب الجراج فقتلتها في الحال .. وظلت مندفعة فى طريقها ..

* * *

وعندما وصلنا ــ جوردان وتوم وأنا ــ الى الجراج ، رأينـا أمامه عددا من السيارات وجمعا من الناس .. فنزلنا لنستفسر عمـا جرى ، فسمعنا أن سيارة صفراء مسرعة قد قتلت زوجة صاحب الجراج ..

وكان ويلسون يبكى فى حرقة .. فشق توم طريقه اليه وأمسك به من كتفه وقال له: تشجع ياصديقى.. ثم هزه قليلا وقال له: اسمع .. لقد وصلت الآن فقط من نيويورك ومعى سيارتى التى كنت تريد أن تشتريها .. أما السيارة الصفراء التى رأيتنى فيها بعد الظهر ، فلم تـكن سيارتى ، ولم أرها منذ ساعات ..

وواصلنا سيرنا بعد ذلك •• وفجأة لاحظت أن الدموع تسيل على خدى توم ، وسمعته يقول وهو ينتحب : يا للكلب الجبان ! •• انه حتى لم يتوقف بعد أن قتلها ! ••

* * *

وعندما وصلنا الى منزل توم ، رفضت أن أدخل ورجوته أن يطلب لى بالتليفون سيارة أجرة لتقلنى الى منزلى •• فقد كنت فى حالة نفسية سيئة ، وكنت اريد بعد أحداث ذلك اليوم الصاخبة ، أن أقضى السهره بمفردى ••

وتوجهت نحو باب الحديقة لأنتظر سيارة الأجرة هناك ، ولكنى لم أكد أقطع عشرين خطوة حتى سمعت صوت جتسبى ينادينى ، ورأيته يخرج لى من بين الأشجار ••

فسالته : ماذا تفعل هنا ؟ •• فلم يرد على ، ولكنه سألنى بعد لحظه صمت : هل رأيتم آثار أى حادث على الطريق ؟ •• فقلت له : نعم •• فتردد برهة ثم سالنى : هل ماتت ؟ •• فقلت : نعم •• فقال : هذا هو ما ظننته ، وهذا هو ماقلته لديزى ، فالأفضل لها أن تتلقى الصدمه مرة واحدة وليس على دفعات ••

وكدت أنفجر غيظا لسماع كلامه •• فقد كان يتحدث عن الحادث، وكأنما الشيء الوحيد الخطير فيه ، هو تاثيره على ديزى ! •• ولكنه لم يلاحظ غيظى واستطرد قائلا : لقد ذهبت الى منزلى من طريق فرعى وتركت السيارة هناك •• ولا أظن أن أحدا قد رآنا ولكن من يدرى ؟! ••

ثم سألنى من هى تلك المرأة ؟ •• فقلت له انها زوجة صاحب الجراج ، وسألته كيف وقع الحادث •• فقال انه حاول أن يمسك بعجلة القيادة •• ولكنه لم يكمل كلامه •• فأدركت الحقيقة أخيرا ، وسألته : هل كانت ديزى هى التى تقود السيارة ؟ ••

فقال : نعم •• ولكنى لن أقول ذلك طبعا ، وانما سوف أقول انى أنا الذى كنت أقودها ــ لقد كانت ديزى فى حالة عصبية عنيفة عندما غادرنا

نيويورك ، وظنت أن قيادة السيارة سوف تهدىء أعصابها .. ثم خرجت تلك المرأة أمامنا فجأة ، وكان يبدو عليها أنها تريد أن تتحدث الينا اذ ظنتنا أناسا تعرفهم .. وكانت هناك سيارة أخرى آتية من الاتجاه الآخر ، فأرادت ديزى أن تتفاداها ، ولكنها فقدت سيطرتها على السيارة وصدمت المرأة .. ثم استمرت فى السير بسرعة أكبر .. وطلبت منها أن تقف ، ولكنها لم تستطع فأوقفت أنا السيارة بعد ذلك ، ثم واصلنا السير ..

وصمت برهة ثم استطرد قائلا : ان آثار الصدمة سوف تزول عن ديزى غدا .. وقد رأيت أن أنتظر هنا خوفا من أن يضايقها زوجها نتيجة لما جرى بعد ظهر اليوم .. انها قد صعدت الى غرفتها وأغلقت عليها بابها ، ولو حاول أن يلجأ الى العنف معها ، فسوف تطفىء نور الغرفة ثم تضيئه ثانية .

فقلت له : انه لن يمسها ، فهو لايفكر فيها الآن ..

فقال انه لايثق به .. وعندما سألته الى متى ينوى أن ينتظر ، قال انه سوف ينتظر حتى الصباح اذا لزم الأمر .. أو الى أن يناموا جميعا على الأقل ..

وهنا قفز الى ذهنى خاطر جديد ، وسألت نفسى : ترى لو علم توم أن ديزى كانت هى التى تقود السيارة ، أليس من الممكن أن يشك فى أنها تعمدت قتل عشيقته ؟ ..

فقلت لجاتسبى : انتظر هنا ، وسوف أذهب لأرى ماذا يجرى فى البيت ..

وتوجهت نحو البيت وصعدت الى شرفته الخارجية .. ثم سرت بمحاذاة غرفه الى أن رأيت نورا فى احداها .. ونظرت الى الداخل ، فرأيت توم وديزى جالسين وأمامهما مائدة عليها طعام وشراب .. وكان توم يحدثها وهو منفعل على حين وضع يده فوق يدها .. وكانت هى تنظر اليه من حين لآخر وتهز رأسها بالموافقة ..

ولم تكن السعادة بادية عليهما •• ولكنهما في الوقت نفسه لم يكونا يبدوان تعسين •• وكان منظرهما أشبه بمنظر متآمرين يضعان معا خطة مؤامرة ••

فعدت الى حيث كان جاتسبي ينتظرني ، وقلت له ان الهدوء التام يسود البيت ••

وطلبت منه أن يعود معي الى بيته •• ولكنه قال انه يريد أن ينتظر الى أن تطفيء ديزي نور غرفتها ، فيعرف أنها قد نامت ••

فتركته يحملق في نور الغرفة الخالية ، التي كان يظن أنها تضم بين جدرانها أعز المخلوقات لديه ! ••

* * *

ولم أستطع أن أنام في تلك الليلة •• وعند الفجر سمعت صوت سيارة تتجه نحو بيت جاتسبي فقفزت من سريري وارتديت ملابسي وذهبت اليه ••

وقال لي انه لم يحدث شيء في بيت ديزي •• وانها جاءت الى النافذة في حوالي الساعة الرابعة وظلت واقفة هناك حوالي الدقيقة ، ثم أطفأت النور ••

فقلت له انه يجب عليه أن يسافر ، لأنه من المؤكد أنهم سوف يتعرفون على سيارته ، ويوجهون تهمة قتل السيدة اليه ••

فسألني في دهشة : أذهب •• الآن ؟! •• ثم أضاف أنه لن ينتقل من هنا قبل أن يعرف ما الذي تنوي ديزي أن تفعله ••

وكان من الواضح أن الرجل يتشبث في يأس بما تصور أنه الأمل الأخير •• فلم أجد لدي الشجاعة الكافية لكي أبين له أن هذا الأمل قد ضاع ••

وفى الساعات الاولى من ذلك الصباح ، روى لى جاتسبى قصته كاملة ..

كان الرجل يريد أن يتحدث عن ديزى التى لم يحب غيرها فى حياته .. فقال لى انها كانت أول فتاة « محترمة » عرفها ، وقد سلبت لبه منذ اللحظة الأولى التى وقع فيها نظره عليها ..

وكان أهلها قد دعوه الى بيتهم مع عدد من زملائه الضباط ، عندما كان يقيم فى المعسكر المجاور لمدينتها .. ثم عاود زيارتهم كثيرا وحده ..

وتعلق بها الى حد لم يعد يحتمل معه أن يبتعد عنها .. ولكنه كان يعلم مع ذلك ان هوة سحيقة تفصل بينهما .. فهى غنية ومن عائلة عريقة ومعتادة على حياة البذخ والترف على حين أنه فقير وعائلته متواضعة ومستقبله مجهول ..

وذات ليلة استسلمت له ديزى ، فأحس أن كل الفوارق التى تبعد بينهما قد زالت عندما احتواها بين ذراعيه ، وصمم على أن يحتفظ بها الى الأبد ، وأن يفعل المستحيل ليوفر لها كل ما اعتادت عليه ..

وعندما حان موعد سفره الى ميدان القتال ، وعدته ديزى بأن تنتظر عودته .. ولكنها لم تستطع الانتظار ..

وعندما عاد اخيرا من فرنسا ، كانت هى قد سافرت فى رحلة شهر العسل مع الرجل الذى تزوجته ..

ولكن جاتسبى رفض أن يعترف بأن علاقته بديزى قد انتهت ، بعد أن أصبح حبه لها وحلمه فى أن يعيش معها ، هما الشيئان الوحيدان اللذان يعيش من أجلهما .

وظل ينتظر عودتها ، ولا يفكر الا فيها ، ولا يتصور أية سعادة أو هناء من غيرها .. الى أن قابلها ثانية بعد حوالى خمس سنوات ..

وكان فى هذه الأثناء قد جمع ثروة كبيرة ، بأساليب لم يفصح عنها ، ولكن يبدو أنها لم تكن متمشية مع أحكام القانون ! ..

وتركت جاتسبى فى التاسعة صباحا ، لأذهب الى عملى فى نيويورك
•• ولم أكن أدرى انى أراه للمرة الأخيرة ••

وكانت كلماته الأخيرة لى هى أنه سوف يظل جالسا بجوار التليفون،
فى انتظار اتصال ديزى به ••

ولكن ديزى لم تتصل به ، وانما رحلت مع زوجها من نيويورك ••
أما هو فقد قتله فى ذلك اليوم جورج ويلسون صاحب الجاراج ،
الذى ظن أنه هو الذى قتل زوجته ، وأنه هو أيضا الذى كان عشيقها!••

السقوط

للكاتب الفرنسى : ألبير كامو

لو أن الموت أمهل كاتب فرنسا الوجودى العظيم البير كامو بعض الوقت ، فلربما كانت حياته اتخذت اتجاها جديدا تماما ، ولربما كان تحول من الالحاد الى الايمان ..

فقد كان الكتاب الذى أصدره فى عام ١٩٥٦ ـ قبل وفاته فى حادث سيارة بفترة قصيرة ـ والذى منح بعد صدوره جائزة « نوبل » للآداب عام ١٩٥٧ .. كان هذا الكتاب مفاجأة كبرى للنقاد والقراء على السواء ، وظهرت فيه آراء للمؤلف لم يسبق له أن أبدى مثلها من قبل ..

واجمع النقاد على ان هذا الكتاب ربما كان نقطة تحول فى حيـــاة وافكار الكتب الكبير ، ينطلق بعدها فى طريق مختلف عن ذلك الذى أمضى ما ضيه كله سائرا فيه ..

والكتاب اسمه « السقوط » .. والأسلوب الذى كتب به أسلوب شاق وغير مألوف ، ولو أن كاتبا أقل وزنا من كامو حاول أن يستخدمه ، لما كان استطاع أن ينتج عملا أدبيا ناجحا عن طريقه ..

ولكن عبقرية كامو مكنته من أن يقدم بهذا الأسلوب الفنى الصعب عملا أدبيا رائعا ، يستحق أن يوضع بين الأعمال الأدبيـــــة العصرية العظيمة ..

**

و « السقوط » روايةطويلة ، تكاد تكون خالية تماما منأية شخصيات غير شخصية بطلها ..

وهى تروى على لسان هذا البطل ، فى صورة حديث يوجهه الى مستمع لا نعرف عنه شيئا ، ولعل المقصود به أن يرمز الى القارىء ..

وفي أذن هذا المستمع المجهول ، يصب البطل قصة حياته كلهـــ ، ونصه العذاب المقيم الذى يعانى منه ••

وهدا العداب ليس فى الواقع عذاب البطل وحده ، ولكنه العداب الذى تعيش فيه جميع المخلوقات ، والذى يبدو وكأنما ليس لأحــــد مفر منه ••

والعجيب فى كتاب كامو ــ وهو عجيب لأنه صادر منه هو بالذات، وهو المفكر الوجودى الذى لايؤمن باى دين ــ العجيب فيه انه لايعزو عذاب البطل ــ او عذاب الانسانية ــ الى اى سبب من تلك التى ترجع اليها الفلسفة الوجودية غير المؤمنة محنة الانسان ، ولا لأى سبب آخر من تلك التى يبرر بها علم النفس شقاء بنى البشر ••

ولكنه يعود الى الفلسفة المسيحية لتفسير اللعنة التى تلاحق بطل قصته ــ ومعه سائر البشر ــ ويذكر ان هذه اللعنة هى لعنة ادم ، او الخطيئة الاساسية التى يتحمل وزرها ــ وفقا للتفكير المسيحى ــ جميـع أبناء ادم وحواء ••

فبطل القصة ــ مثل كل انسان آخر ــ يرث هذه اللعنة بمجرد ولادته، ويقضى عمره وهو يقاسى آثارها •• فلا يعرف فى دنياه غير العــــذاب المستمر ••

ولكن اتجاه آلبير كامو الى الفلسفة المسيحية ، ينتهى عند هـــــذا الحد ••

فهو يتفق مع المسيحية على منبع الشر فى حياة الانسان •• ولــكنه لايتفق معها على الوسيلة التى يتخلص بها الانسان من هذا الشر ••

فبينما تبشر المسيحية بامكان الخلاص عن طريق التفكير وعن طريق اللجوء الى رحمة الله التى تسع كل شىء •• نرى كامو يكفر بهذه الرحمة ولا يقتنع بوجود أى طريق للخلاص ••

ولهذا فان بطل قصته فى جحيم أبدى لا رجاء له فى الخلاص منه بأى حال ••

ولهذا السبب وصف النقاد قصة « السقوط » بانها قد تكون نقطة تحول في حياة وتفكير البير كامو ..

فعلى الرغم من انه لا يساير فيها الفلسفه المسيحيه حتى نهـــايه الشوط ، الا انه يقبل فيها لاول مرة ، التفسير المسيحي لشـــــقاء الانســان ..

وبذلك ينتقل من طريق التفكير الملحد ، ويقف في منتصف الطرق بين مختلف الاتجاهات ..

وفي القصه اكثر من اشارة تنبىء بانه كان من المحتمل ان يسير بعد ذلك في طريق المسيحيه ، لو امتدت به الحياة ..

ومن هذه الاشارات ، الاسم الذى اختاره لبطل القصة ، وهـــو جان ــ باتيست كلامانس ..

فاسم جان ــ باتيست بالفرنســــية يكاد يكون هو الترجمة الحرفية لاسم يوحنا المعمدان ..

ومن المستبعد أن تكون المصـــادفة المحض هي وحدها التي دفعت كامو الى اختيار هذا الاسم الذى كان يحمله الرسول الذى جاء قبل المسيح مباشرة ، والذى استهدفت رسالته التبشير بقدوم المسيح ..

والأقرب الى الاحتمال أن يكون كامو قد استخدم هذا الاسم ، كرمز لاقترابه أخيرا من الايمان ..

واسم الرواية نفسه قد يكون اشـــارة أخرى الى تحول المؤلف الى طريق الدين .. فالسقوط الذى يصف في الرواية انحدار بطلها في هاوية العذاب ، قد يرمز في الوقت نفسه الى سقوط الجنس البشرى بأجمعه في هذه الهاوية نتيجة لسقوط آدم وارتكابه للخطيئة الأساسية .

**

ومسرح قصة « السقوط » هو احدى الحانات الحقيرة التي يرتادها البحارة حول ميناء أمستردام في هولندا ، ومنطقة الميناء نفسها التي يغلفهـــا الضباب بصفة شبه دائمة ..

ففى هذه الحانة يلتقى جان ـ باتيست كلامنس بمستمع القصة المجهول ، ويأخذ فى سرد قصة حياته عليه ..

بل هو فى الواقع يأخذ فى تعرية روحه أمامه ، وفى الكشف عن أدق احاسيسه واعمق نوازعه ..

فالحوادث لا اهمية لها فى السيرة التى يرويها ، وهى تكاد تكون معدومة فيها بالمرة ..

ولكن النفس البشرية تظهر فيها وهى تكاد مجردة من كل قناع ، بعد أن ينزع عنها المؤلف جميع الأغطية التى تحجب حقيقتها ، الواحدبعد الآخر ..

* * *

ويقدم جان ـ باتيست نفسه الى الآخر على أنه « قاض تائب » .. وعندما يبدو على المستمع المجهول أنه لا يفهم معنى هذا الوصف ؛ يستطرد جن ـ باتيست قائلا انه لكى يعرف ما الذى يقصده بهذه التسمية ، يجب أن يتركه يروى له الظروف التى قادته اليها ..

ثم يخبره بأنه كان محاميا ناجحا فى باريس ، وكان يعتقد دائما أنه انسان طيب ..

فقد كان لا يتردد فى أن يترافع مجانا عن الفقراء ، ولا سيما الأيتام والأرامل ..

وكان يحسن الى المحتاجين ، ويمد يد العون الى الملهوفين ، ويحرص على أن يساعد كل ضرير يصادفه فى الطريق على اجتياز الشارع ! ..

ولكنه لم يلبث أن تبين أن الاحسان ما هو الا التعبير المادى عن أعظم الغرور .. وأن الأخلاق الحميدة ما هى الا ثمرة الأنانية والنفعية !

فعندما حاول أن يحلل الدوافع التى تجعله حريصا على أن يكون طيبا ومهذبا وكريما ، تبين أنها جميعا دوافع أنانية وخسيسة ، مبعثها

حبه لنفسه وايثاره لمصلحته الخاصة وراحته ، ورغبته فى أن يقنع الناس بفضائله ..

فبدأ ينفر من نفسه ، ويثور على صـــفاته وعاداته التى كانت من قبل مصدر اعجابه وزهوه ، ويندم على كل عمل ـ كبيرا كان أو صغيرا ـ قام به فى حياته ..

وبلغ شعوره بالندم قمته ، اثر حادث وقع ذات مساء بينما كان يسير فوق أحد الجسور العدة على نهر السين ..

فقد مر بفتاة تنحنى فوق سور الجسر ، واستهواه منظر جسمها المنحنى، فأخذ يفكر فى التحرش بها ومحاولة مغازلتها ..

ولكنه جبن عن ذلك ، واستمر فى سيره ..

وبعد أن ابتعد عنها كثيرا ، وقطع الجسر وبدأ يسير فى الشـــارع المحاذى للنهر ، سمع صوت سقوط شىء ثقيل فى الماء من فوق الجسر .. فاستدار نحو الجسر ، ولكنه لم يستطع أن يتبين شيئا لكثافة الضباب كما أنه لم يتمكن من أن يرى أى شىء فى الماء ..

فأقنع نفسه بأن الصوت الذى سمعه لم يكن صوت وقوع جســـم انسان فى الماء .. واستمر فى طريقه ماضيا نحو رفاهية بيته ودفء فراشه .

ولكنه اضطر بعد ذلك الى أن يعترف بينه وبين نفسه ، بأن الصوت الذى سمعه بجانب النهر ، كان صوت سقوط الفتاة التى رآها تقف عـلى الجسر فى الماء ..

فلا بد أن الفتاة التى لم يثر فيه مرآها غير الشهوة ، كانت تفكر فى الانتحار عندما مر بها ، ولا بد أنها نفذت فكرتها بعد ابتعاده عنها ..

وربما كان فى امكانه أن ينقذ حياتها ، لو ألقى بنفســـــه فى الماء وراءها .. ولكنه آثر أن يتجاهل الأمر ، وأن يدير ظهره لمأساتهـــا ، وعمل عامدا على اقناع نفسه بأن ما سمعه لم يكن صوت محاولة انتحار

وانما صوت مجهول المصدر لا يعنيه أن يكلف نفسه عناء البحث عن حقيقته •• لكي يتفادى واجب محاولة انقاذ الفتاة ••

ومنذ اللحظة التي واجه فيها هذه الحقيقة ، لم يعد يطيق الحياة ..

وكلما تذكر حادث انتحار الفتاة ، رنت في أذنيه ضحكات عالية ساخرة كأنما تهزأ بما يزعمه لنفسه من فضائل ، وتفضح زيفه ونفاقه وجبنه وضعف نفسه وفقر اخلاقه ، وتغلب الشهوات لديه على كل نزعة خيرة ••

واستبد به العذاب الى حد رهيب أخذ يتساءل معه اذا كان من الممكن أن يخلصه الانتحار من محنته ••

ولكنه عدل عن فكرة الانتحار عندما تذكر أن الناس سوف يستغلون فرصة قتله لنفسه ، لينسبوا هذا العمل الى دوافع حقيرة أو بلهاء ••

وتساءل اذا كان الالتجاء الى الله يمكن أن ينقذه ••

ولكنه وجد أن الايمان قد أصبح « مودة » قديمة ! ••

وحاول ان يعزى نفسه بالأمل في أن يجد أمامه فرصة أخرى ••

ولكنه تبين أن آدم قد استنفد فرصة الانسان الوحيدة !

فالعالم كما يراه كامو ــ الوجودي الملحد ــ هو مزيج من السخافات والذنوب ••

وبما أنه لا يعترف بالرحمة الالهية ، فهو لا يرى وسيلة لخلاص المذنب من سجن ذنوبه •• كما لا يرى مفرا للانسان من ارتكاب الذنوب ! ••

وعندما يزداد احساس بطل الرواية بذنبه ، وييأس تماما من الخلاص من العذاب •• يقرر أن يغلق مكتبه ، وأن يفر من محيطه ، وأن يجعل من نفسه « قاضيا تائبا » ! ••

ويختار لممارسته هذا العمل الجديد ، منطقة الميناء فى أمستردام التى يغلفها الضباب وتحيط بها المياه ••

ولعل المؤلف اراد ان يرمز بهده المنطقة ، الى « البرية » التى كان يبشر فيها يوحنا المعمدان ••

اما طريقة بطل القصة فى مزاولة عمله ، فهى ان يقص على كل من يلتقى به قصته ويعترف له بذنوبه •• وبذلك يستحق صفة «التائب»

كما انه فى الوقت الذى يكشف فيه عن خبايا نفسه ، ويستعرض نواحى ضعفه وشره ، انما يفعل ذلك أيضا بالنسبة لمن يستمع اليه •• فاعترافاته هى بمثابة مراة تعكس لمن يسمعها حقيقة ما يختبىء فى نفسه ، وتظهر ذنوبه وخطاياه ••

فذنوب البشر واحدة ، وكذلك نواحى الضعف فيهم •

ومن هنا يصبح جان ـ باتيست قاضيا وتائبا فى وقت واحد •• أو قاضيا تائبا كما يحب أن يسمى نفسه !

وفى نهاية القصة نسمعه يصرخ من أعماق عذابه ، مخاطبا الفتاة التى انتحرت بقوله :

« أيتها المرأة الشابة •• اقذفى بنفسك ثانية فى الماء ، حتى تتاح لى فرصة أخرى لكى أنقذك وأنقذ نفسى » ••

ولكنه يستطرد قائلا للمستمع :

« لقد فات الأوان على ذلك الآن •• وسوف يظل دائما فائتا » !!

امـوك !

للكاتب النمساوى : ستيفان تسفايج

« اموك » كلمة تطلق فى بعض جزر الشرق الأقصى على حالةسكر خاصة لا تظهر الا فى تلك البلاد ، ولم يصل الطب بعد الى تحديد أسبابها .. وان كان العلماء يرجحون انها ترجع فى الغالب الى جو تلك الجزر الثقيل الخانق الذى يضغط على أعصاب الناس بشدة الى أن تنفجر فجأة ..

وهى لا تشبه حالات السكر العادية فى شىء ، ولكنها حالة جنون هائج يفقد من يصاب بها عقله تماما فى أثناء استحواذها عليه ، ويصبح أشبه بوحش كاسر يبطش بكل من يلقيه سوء الحظ فى طريقه ..

وهذه الحالة تفاجىء من تستولى عليه بلا مقدمات بالمرة .. وكل انسان من أهالى تلك البلاد معرض لها ، مهما كان وديعا أو مسالما بطبيعته ..

فقد يكون الشخص جالسا يحتسى شرابه فى هدوء ، وقد سلبته حرارة الجو نشاطه وقدرته على القيام بأية حركة .. ثم فجأة يدب فيه نشاط خارق فيقفز واقفا ويخطف مديته ويندفع جاريا الى الشارع ..

وهو يجرى دائما الى الأمام دون أن يعرف له وجهة ، ويطعن بمديته كل مخلوق يمر به فى طريقه .. سواء كان انسانا أو حيوانا ..

وتزيده رائحة الدم عنفا وتعطشا الى البطش ، فيواصل جريه المحموم والزبد يغطى شفتيه ، دون أن يتلفت يمينا أو يسارا ، على حين تنطلق من فمه صرخات مرعبة ..

ويعرف أهالى قرية تلك الجزر أنه لا توجد قوة تستطيع ايقاف المصاب بهذه اللوثة الدموية ، فيستولى عليهم الرعب عندما يرون الملتاث جاريا نحوهم ، ويسارعون الى الفرار من طريقه وهم يصرخون بأعلى صوتهم ليحذروا غيرهم : « أموك .. أموك » ! ..

أما المجنون فلا يسمع شيئا ولا يرى شيئا ويظل يجرى ومديته تقطر دما فى يده ، قاتلا كل من يقابله .. الى أن يتكاثر عليه الناس ويصرعوه ، أو يستبد به الاعياء فى النهاية ، فيهوى الى الأرض وهو يتلوى ، والزبد يغطى وجهه ..

وقد اختار الكاتب النمساوى الكبير ستيفان تسفايج كلمة « أموك » عنوانا لاحدى رواياته الشهيرة .. لأن بطل هذه الرواية يصاب — بلا سكر — بحالة لا شبيه لها الا حالة « الأموك » !

* * *

والرواية مكتوبة بصيغة المتكلم ، ولكن القارىء لا يعرف شيئا عن شخصية الرجل الذى يقص أحداثها ، فدوره فيها لا يعدو دور الراوية ..

وهو يبدأ حديثه بقوله ان حادثا غريبا وقع منذ بضع سنوات فى ميناء نابولى الايطالى ، أثناء رسو احدى البواخر الضخمة هناك .. وان الصحف أفاضت فى ذلك الوقت فى وصف هذا الحادث وفى تعليله ولكن ما نشرته كان يتضمن من الخيال أكثر مما يتضمن من المعلومات الصحيحة ! ..

ويستطرد قائلا ان هذا الحادث وقع فى المساء ، وهو لم يشهده بنفسه على الرغم من أنه كان من بين ركاب الباخرة .. ففى ذلك الوقت كان عمال الميناء يفرغون حمولة الباخرة من البضائع ، وكان جميع الركاب قد نزلوا منها ليتفرجوا على المدينة ..

غير أنه مع ذلك يعتقد أنه يعرف التفسير الصحيح لما حدث ،

نتيجة لاجتماع خاص تم قبل وقوع الحادث الغريب بمدة قصيرة ، وكان هو أحد طرفيه ..

ثم يقول انه كان يقوم برحلة في الهند ، وأراد أن يعود الى أوربا فحجز لنفسه قمرة على تلك الباخرة التى كانت قادمة من أستراليا ..

وأثناء الرحلة أصابه الأرق ذات ليلة ، فصعد الى ظهر الباخرة الذى كان خاليا تماما من الركاب فى تلك الساعة المتأخرة ، وأخذ يمتع نفسه بمنظر المياه الهادئة والسماء الصافية والنجوم المتلألئة ..

وبهره جمال تلك الليلة الى حد لم يشأ معه أن يعود الى قمرته قبل أن تنتشى نفسه تماما بسحر المنظر الرائع المحيط به ، فأخذ يبحث عن مقعد يجلس عليه ، ولكن خدم الباخرة كانوا قد أزالوا جميع المقاعد عند منتصف الليل .. وأخيرا رأى كوما من الحبال فى احدى زوايا السطح ، فتوجه نحوه وأراح جسمه فوقه ..

وطالت جلسته فوق الحبال ، ويبدو أنه نام قليلا دون أن يشعر . ثم تنبه فجأة ليجد شعلة سيجارة تتحرك فى الظلام الى جواره .. فأحس بالذعر للوهلة الأولى ، ولكنه لم يلبث أن تبين أن رجلا يجلس خلف الحبال فى الزاوية المظلمة ، وأدرك أن هذا الرجل لابد كان جالسا فى مكانه قبل حضوره ..

وشعر بشيء من الخجل لاقتحامه على الرجل خلوته ، فحياه فى ارتباك وأشعل بدوره سيجارة على أمل أن يتيح له اشتعال عود الثقاب التعرف على جاره ، ولكن الوجه الصارم الكئيب الذى شاهده للحظة خاطفة بدا له غريبا تماما عليه ، وتيقن أنه لم يلمحه من قبل بين ركاب الباخرة ..

وكان الرجل قد رد على تحيته بصوت جاف وفى نبرة لا تشجع على مواصلة الحديث ، ثم ظل جالسا فى مكانه فى صمت تام ، فأحس صاحبنا بعد برهة بأن الصمت الذى يخيم عليهما ثقيل ومرهق مثل هواء المناطق

الاســـتوائية .. فنهض من مكانه وحيـــا جاره المجهول مودعا ومشى مبتعدا عنه ..

ولكنه لم يكد يقطع خطوات قليلة حتى ســـمع الرجل الغامض يتبعه ويستوقفه ، ثم يرجوه فى صـوت لاهث متلعثم الا يخبر أحدا بأنه قد رآه هنا ..

فتستولى دهشة كبيرة على صاحبنا .. ولكنه يعده بالامتثال لرغبته ثم يصافحه ويعود الى قمرته ..

وفى اليوم التالى يجد أنه لا يســـتطيع الكف عن التفكير فى ذلك الرجل ..

وعندما يتقدم الليل ويخلو سطح الســـفينة ، يصعد اليه ويتوجه نحو الزاوية المظلمة التى التقى فيها بالرجل الغامض فى الليلة السابقة .

غير أنه يراجع نفسه قبل أن يصل الى هناك ، ويشعر بالخجل من فضوله ، فيهم بالعودة من حيث أتى .. ولكن قبل أن يستدير ليرجع ، يلمح شيئا يتحرك فى الركن المظلم ثم يتقدم منه ، ويسمع صوت الرجل يدعوه فى الحاح لأن يجلس معه ..

ويقول له الرجل انه لم يفتح فمه بكلمة واحدة منذ عشرة أيام ، وأنه يشعر الليلة بحاجة ملحة لأن يتحدث ..

ثم يستطرد قائلا فى عبارات متقطعة ، انه فى حالة نفسية فظيعة ، تحتم عليه أن يتحدث الى أى انسان .. فسكوته الطويل قد جعله أشبه بالمرضى .. ويأخذ فى الاعتذار للآخر عن الحاحه عليه فى أن يجلس معه ويستمع الى حديثه ..

فيقول له صاحبنا ان لا حاجة به للاعتـــذار ، وان من واجب أى انسان أن يحاول تخفيف آلام الغير اذا كان ذلك فى استطاعته ..

فيسأله الرجل فى ذهول : اذن أنت أيضا تعتقد أن الانسان ملزم بالقيام ببعض الأعمال ، وأن عليه واجبات لا يسعه الا أن يؤديها ؟! ..

ثم يستطرد قائلا : لا بد أنك تظنني ثملا أو مجنونا •• ولكني لست كذلك •• لست كذلك بعد •• غير أن كلمة الواجب التى ذكرتها قد هزتني لأنها هي لب الموضوع الذى يعذبنى •• فأنا أريد أن أعرف اذا كان من واجب المرء •• اذا كان من واجبه ••

ويتردد الرجل كثيرا قبل أن يتحدث عن مشكلته ، ويظل مدة طويله يردد كلاما غير واضح عن الواجب وحدوده •• على حين يشرب فى نهم من زجاجة خمر يحملها •• الى ان يروى أخيرا قصته كاملة ••

ويتضح منها أنه طبيب ألمانى ، وأنه قد عمل خلال السنوات السبع الماضية فى قرية نائية فى احدى جزر الشرق الأقصى الخاضعة للاستعمار الهولندى ••

أما قبل ذلك فقد كان طبيبا ناجحا فى أحد مستشفيات مدينة ليبزج الألمانية ، وكان الجميع يتكهنون له بمستقبل باهر ••

ثم دخلت حياته امرأة وضعت حدا لنجاحه ، وقضت على مستقبله !

فقد جاءت الى المستشفى ذات يوم شابة دفعت عشيقها السابق الى الجنون والى اطلاق الرصاص عليها ••

فأنقذ حياتها ، وعالجها •• وبعد فترة أصبح هو أيضا مجنونا بحبها ••

وكانت هذه المرأة من النوع المتكبر الوقح الشديد البرود العظيم الاعتداد بنفسه •• وكان هو ضعيفا دائما أمام هذا النوع من النساء الذى يستفزه ويثير فيه الرغبة فى اخضاعه ••

وكانت نتيجة هيامه بها وتصديه لاستفزازها ، أنه سرق أموال المستشفى •• ولم يعد فى استطاعته مزاولة مهنته فى بلاده ••

وسمع بعد ذلك أن الحكومة الهولندية تطلب أطباء للعمل فى مستعمراتها فى الشرق الأقصى ، فوقع معها عقدا مدته عشرة أعوام ، تعهد

بموجبه بقضاء هذه المدة الطويلة فى تلك الجزر النائية التى تتفشى فيها الحمى بصورة رهيبة ..

وارسلته الحكومة الهولندية الى قرية صغيرة فى احدى الجزر ، خالية من جميع وسائل الترفيه المتمدينة ، ومن كل ما يمت الى الحضارة بصلة ..

وفى اول الأمر كان لا يزال لديه بقية من النشاط الذى حمله معه من أوربا ، فأقبل على عمله الجديد بحماسة .. وأخذ يواصل دراساته وأبحاثه ..

وحدث أن انقلبت سيارة نائب الحاكم العام للجزيرة فى أثناء قيامه بجولة تفتيشية قريبا من قريته ، وانكسرت ساقه ، فأجرى له بمفرده عملية جراحية سريعة ، جعله نجاحها شهيرا فى الجزيرة ..

ولكن حماسته لعمله خبت ، ونشاطه نضب ، بعد مدة وجيزة بتأثير الطقس المرهق والمحيط القاسي والوحدة الموحشة .. فانطوى على نفسه وأصبح يشرب كثيرا ويتحاشى الأوربيين القلائل الذين كانوا يعملون معه فى القرية ، ويقضى أيامه ولياليه وهو يحلم باليوم الذى يعود فيه الى أوربا ..

وأوشك هذا اليوم أن يحل ، اذ لم يعد أمامه غير عامين اثنين .. ولكن الأقدار كانت تعد له مفاجأة جديدة ! ..

فذات يوم جاءت اليه سيدة أوربية بارعة الجمال شديدة الكبرياء والبرود والاعتداد بالنفس ، لتطلب منه فى لهجة آمرة أن ينقذها من ورطة وقعت فيها ..

وقد طلبت منه المرأة أن يجهضها وأن يغادر الجزيرة فورا بعد ذلك .. وفى مقابل هذا تدفع له مبلغا ضخما يعوضه عن المعاش الذى سيفقده بتركه العمل قبل انتهاء المدة التى ينص عليها عقده ..

ولكنه قال لها انه لن ينفذ لها رغبتها الا اذا منحته نفسها ، لأنه

أحس بأن كبرياءها وبرودهـا وثقتها بنفسهـــا تستفزه ، وتتحداه أن يذلها ••

فأعرضت عنه المرأة في احتقار ، وغادرت منزله وهي تنــذره بأنه سوف يندم اذا حاول أن يتبعها أو أن يعرف من هى ••

وظل مشدوها برهة بعد خروجهـــا ، ثم ركب دراجته وجرى وراءها •• ولكنه لم يستطع أن يلحق بها برغم انه كان يتعين عليهـــا أن تقطع مسافة كبيرة على قدميها ، لأنها كانت قد أوقفت سيارتها بجوار محطة السكة الحديد ، بعيدا عن منزله ، لكيلا يعرف أحد أنهـــا كانت فى زيارته ••

فعندما احست بأنه يقترب منها ، آمرت الخادم الذى كان يرافقهـــا بالوقوف فى طريقه •• فأمسك الخادم بالدراجة ولم يترك الطبيب يواصل سيره برغم أن الطبيب انهال عليه باللكمات ، الا بعد أن كانت سيدته قد استقلت سيارتها ومضت ••

ومع ذلك فان الطبيب لم يجد صعوبة فى معرفة شخصية السيدة •

فقد سأل فى دار الحكومة المجاورة للمحطة عن صـــاحبة السيارة التى كانت واقفة هناك ، وعرف أنها ســيدة انجليزية متزوجة من تاجر هولندى كبير واسع الثراء يقيم فى العاصمة ••

كما عرف أيضا أن زوجها غائب فى أمريكا منذ بضعة أشهر ، وأن عودته متوقعة بعد أيام ••

وأحس فجأة بأن عليه واجبا تجاه هـــذه المرأة ، وبأنه مطالب بأن يساعدها مهما كلفه الأمر ••

***

وتوقف الطبيب لحظة عن الحديث ليسأل الرجل الذى يســـتمع اليه اذا كان يعرف ما هى حالة « الأموك » •• فرد عليه الآخر بالايجاب

•• فســـــتطرد الطبيب قائلا ان ما جرى له بعد أن عرف مشكلة المرأة مباشرة ، لا يمكن ان يشبه الا بتلك الحالة ! ••

فقد ضاع صوابه تماما منذ تلك اللحظة ، واصبح يتصرف على نحو ليس له أى تفسير معقول ••

فقد استبدت به فكرة واحدة ، استبعدت كل شيء عداها •• وهى ضرورة أن يصل الى تلك المرأة فى أقرب وقت ، ليضع نفسه فى خدمتها ويساعدها على الخروج من المأزق الذى وجدت نفسها فيه ••

ولم يعد يرى شيئا فى الوجود أمامه غير هذا الهدف ، ولم يعـــد يحس بغير اللهفة العارمة للوصول اليه ••

ومثلما يجرى المصاب بحالة « الأموك » الذى تدب فيه قوة ونشاط غير عاديين ، جرى هو الى بيته ووضع فى حقيبة صـــغيرة أدواته الطبية وبعض الثياب والنقود ومسدسه ، ثم عاد جاريا الى المحطة واســتقل أول قطار مسافر الى العاصمة ••

وبعد ثمانى ساعات قضاها فى صبر نافد وقلق مرهق ، وصل القطار الى العاصمة •• فغادره بسرعة واتجه مباشرة الى منزل المرأة ••

ولكنها رفضت بطبيعة الحال أن تستقبله ••

فظل يحوم حول المنزل أكثر من ساعة ، وأخيرا ذهب واســتأجر غرفة فى أحد الفنادق ••

وبعد أن شرب كمية كبيرة من الخمر ، اســتطاع فى النهاية أن ينام ••

وفى اليوم التالى ، استفسر عن موعد عودة زوجهـــا ، فعرف أن الباخرة التى تحمله سوف تصل بعد ثلاثة أيام ••

فازداد رعبه من أن يصل الزوج قبل أن يتمكن من انقاذ المرأة من ورطتها •• فأخذ يطاردها بلا انقطاع ، على حين راحت هى تعمل بـــكل وسيلة على تحاشيه ! ••

فقد كانت لا ترى فيه الا مجنونا يلاحقها بقصد أن يذلها •• على حين لم يكن يرمى هو الا الى مساعدتها ولو اضطر الى القتل فى سبيل ذلك

ومر يومان دون ان يتمكن من الوصول اليها خلالهما ، على الرغم من أنه لم يفعل فيهما أى شيء غير الجرى وراءها ••

ولم يعد امامه غير يوم واحد لانقاذها قبل وصول الزوج ، فاستبد به أعنف اليأس ، وكتب لها رسالة محمومة شكا اليها فيهــا عذابه لعجزه عن التكفير عن الذنب الذى اقترفه فى حقهــا ، وقال لها انه مجرم وانه مجنون ، وتوسل اليها ان تصفح عنه وان تثق به ، وأقسم لها أنه سوف يغادر المدينة والمستعمرة كلها بمجرد أن تسمح له بأن يساعدها قبل فوات الأوان ••

وأضاف أنه مستعد أيضا لأن يغادر هذا العالم كذلك ، اذا شاءت!••

وختم رسالته بقوله انه سوف ينتظر ردها فى الفندق حتى الساعة السابعة مساء •• فاذا لم ترد عليه حتى ذلك الوقت ، فسوف يطلق الرصاص على نفسه ! ••

وكان مصمما فعلا على الانتحار ، اذا لم يتلق منها ردا ••

وجلس يعد التوانى فى انتظار الساعة السابعة •• وأخيرا جاءه خادم السيدة برسالة مقتضبة تطلب منه فيها أن يذهب اليها مع الخــادم فــورا ••

فقاده الخادم الى الحى الصينى فى المدينة ، حيث وجد السيدة ملقاة بين الحياة والموت على سرير قذر فى أحد المنازل الفقيرة فيه ••

وأدرك أن خشيتها من الفضيحة قد منعتها من الالتجــاء الى أى طبيب ، وقادتها الى امرأة صينية عجوز لاتعرف من هى لتجهضها ، ولكن الصينية أساءت التصرف ، فأصيبت المرأة المسكينة بنزيف حاد ••

واقترح نقلها الى المستشفى فورا ، ولكنها توسلت اليه أن يأخذها الى منزلها ، قائلة انها تفضل الموت على أن يعرف أحد ما حدث لها ••

فنقلها الى المنزل بمساعدة خدمها الأمين •• ونجحا فى أن يوصلاها الى غرفتها دون ان يرى بقية الخدم الحالة التى نقلت وهى فيهـــا الى هناك •

واستمات الطبيب فى محاولة وقف النزيف ، ولكن جهوده ضاعت عبثا ، فقد ظلت حالتها تزداد سوءا ، وماتت بعد ساعات ••

ولكنها استطاعت ان تفتح عينيها قبل أن تموت لترجوه مرة ثانيـه أن يحرص على ألا يعرف أحد سرها ••

فقطع لها على نفسه عهدا بأنه لن يسمح مطلقا بتسرب السر ••

❋ ❋ ❋

ومثلما كان همه الوحيد من قبل أن يخلصها من جنينها ، أصبح همه الوحيد بعد موتها أن يبقى سبب وفاتها سرا ••

فاغلق عليها باب غرفتها ، وأرسل فى استدعاء طبيب الحـــــكومه ليحرر لها شهادة الوفاة • •

ولكنه لم يترك ذلك الطبيب يقترب من جثتها ، وظل يتحايل عليه الى أن حمله على ان يذكر فى شهادته أن الوفاة جاءت نتيجة لنوبة قلبية مفاجئة ••

وبينما هو ينتظر حضور التابوت بجوار جثتها ، جاءه الخادم لينبئــه بأن بالباب شخصا يريد أن يلقى نظرة أخيرة على السيدة الميتة ••

وفهم الطبيب من نظرات الخادم أن هذا الشخص لابد أن يكون هو الرجل الذى حملت منه •• فسمح له بادخاله ••

وتبين أنه ضابط وسيم صـــــغير السن •• وأنه لا يعرف سر وفاة عشيقته ، ولا أنها كانت حاملا ••

فكتم عنه أيضا هذا السر ••

وبعد أن تيقن أن التابوت قد أغلق على الجثة غادر البيت مع الضابط

وأقام معه بضعة أيام فى منزله .. فقد أحس كلاهما بأن رابطة قوية تجمع بينهما .. رابطة الاشتراك فى حب المرأة الميتة ..

ووصل الزوج ، وأخذ يبحث عن الطبيب الذى قضى بجوار امرأته ساعاتها الأخيرة ليستفسر منه عن سبب وفاتها المفاجئة ..

ولكن الطبيب ظل مختبئا فى بيت الضابط ، ولم يستطع الزوج الاهتداء اليه ..

وبعد ذلك حجز الضابط للطبيب مكانا على ظهر الباخرة المسافرة الى أوربا ، باسم مستعار .. فقد كانت السلطات الرسمية تبحث عنه بسبب فراره المفاجىء من مقر عمله .. وتحت جناح الظلام تسلل الى الباخرة ، كما لو كان لصا أو مجرما بعد أن ترك وراءه جميع ممتلكاته .

ولكن فى اللحظة التى وصل فيها الى الباخرة ، تبين أن بحارتها ينقلون اليها التابوت الذى يضم جثة تلك المرأة .. وكأنما أصبحت هى التى تطارده ، مثلما كان هو يطاردها ! ..

ووراء التابوت صعد الى الباخرة زوجها ..

ولم يعرف الطبيب اذا كان الزوج قد نقل جثتها ليدفنها فى بلادها ، أو أنه أراد أن يشرح الجثة فى أوربا ليتيقن من أسباب الوفاة ..

* * *

والتفت الطبيب الى الرجل الذى كان يروى له قصته وسأله :

ـ هل عرفت الآن لماذا أتحاشى رؤية أى انسان على ظهر هذه الباخرة ؟ .. اننى لا أستطيع احتمال رؤية أحد لأن عينى لا تريان غير تلك الميتة التى أعرف ماذا تريد منى .. انها تريد منى أن أدافع عن سرها ، وأن أنقذه من الاكتشاف ..

وكان الليل قد أوشك على الانتهاء فى هذه الأثناء ، فقام الرجلان وتوجه كل منهما الى قمرته ..

ولم يلتق صاحبنا بالطبيب مرة أخرى الى أن وصلت الباخرة الى نابولى على الرغم من انه بحث عنه فى كل مكان •

وفى ذلك الميناء ، وقع الحادث الغريب الذى تحدثت عنه الصحف كثيرا فى حينه ، والذى لم يشاهده الراوية بنفسه بسبب نزوله الى المدينة ولكن الذى يعرف هو وحده سره ••

فقد ذكرت الصحف انه بينما كان عمال الباخرة ينزلون الى أحد « اللنشات » تابوتا يحتوى جثة سيدة ثرية توفيت فى احدى جزر الشرق الأقصى • وقع عليهم من أعلى الباخرة جسم ثقيل جر معه الى الماء التابوت والبحارة وزوج الميتة الذى كان واقفا معهم ••

وخرج البحارة والزوج من الماء بسهولة •• ولكن التابوت الثقيل غاص فى الماء وهبط الى الأعماق واستقر فى قاع البحر ، ولم يتيسر انتشاله ••

وراحت كل صحيفة تفسر الحادث بعد ذلك على هواها •• ولكن واحدة منها لم تعرف بطبيعة الحال السر الحقيقى وراءه ••

كما أن أحدا لم يربط بين هذا الحادث وبين نبأ صغير نشرته الصحف فى اليوم نفسه يقول ان عمال الميناء قد انتشلوا من الماء بالقرب من الشاطىء جثة رجل غريق مجهول ، فى حوالى الأربعين من عمره ! ••

أجر الخوف!

للكاتب الفرنسى : جورج أرنو

فى منطقة صحراوية نائية فى جواتيمالا ، تقع الآبار الضخمة التى تستخرج منها احدى الشركات الأمريكية الكبرى ، النفط ..

أما مكاتب الشركة فى جواتيمالا فهى فى « لاس بيدراس » .. وهى مدينة ساحلية صغيرة قريبة من حدود هندوراس ، وتبعد مســـافة ثلثمائة ميل عن منطقة الآبار ..

والنفط ينقل بوساطة أنابيب من الآبار الى ميناء تلك المدينـــة .. ولذلك فلم تهتم الشركة كثيرا باصـــلاح الطريق البرى الردىء الذى يربط بين المدينة ومنطقة الآبار ، مادامت لا تستعمله الا فى نقل المــؤن والمهمات الى تلك المنطقة على فترات متباعدة .

وذات يوم .. يشب حريق كبير فى احدى الآبار ، ويبلغ النبــأ تليفونيا الى المدير المحلى للشركة فى « لاس بيدراس » .. فيسافر على الفور الى منطقة الآبار ومعه عدد من الفنيين والخبراء ..

وتســـتغرق الرحلة فى سيارة الجيب حوالى عشر ســـاعات بسبب رداءة الطريق وامتلائه بالحفر ، وتنوع الأراضى التى يخترقها ..

فهو يصعد الى مناطق جبلية وعرة محاذية للبحر ، أولا .. ويظل يتنقل فيها بين المرتفعات والمنخفضات الى أن يبلغ المنطقة الصــحراوية ، فيهبط مرة أخرى ليواصل سيره المتعب بين الرمال ..

وبعد أن يعاين الخبراء والفنيون البئر المحترقة ، يقررون أن الطريقة

الوحيدة لوقف الحريق ، هى نسف مدخل البئر بمواد متفجرة قوية •• فبتلك الطريقة ، يردم المدخل وينطفىء الحريق ••

فيقول المدير انه يوجد بمقر الشركة طن من مادة «نيتروجليسرين» الشديدة الانفجار •• ويتفق الخبراء على أن نصف هـــذه الكميه يكفى لاطفاء النار ، ولكنهم ينبهون الى ضرورة وصولها الى منطقة الآبار خلال أيام قليلة ، قبل أن يتغير اتجاه الرياح ويمتد الحريق ••

وبذلك تنشأ مشكلة جديدة تشغل تفكير المدير طوال مدة عودته الى « لاس بيدراس » •

فان الـ « نيتروجليسرين » هو سائل سريع الالتهاب الى حد رهيب، ونقله من أى مكان الى اخر يحتاج الى حيطة شديدة •• فأى اهتزاز قد يتسبب فى انفجاره ، وكذلك أى ارتفاع فى حرارة الجو ••

ولكى يصبح فى الامكان نقله من « لاس بيدراس » الى منطقة الآبار، فوق الطريق الوعر الوحيد الذى يربط بينهما ، يجب أن تتوافر عربات نقل مجهزة تجهيزا خاصا ، بحيث لا تتأثر حمولتها باهتزاز عجلاتهـــا فى أثناء اجتيازها للحفر وعبورها المنخفضات والمرتفعات ، وبحيث لاتؤثر فى هذه الحمولة حرارة الشمس الاستوائية المحرقة ••

ومثل هذه العربات غير موجودة لدى الشركة فى جواتيمـــالا ، واستيرادها من أمريكا يستغرق وقتا طويلا قد يمتد خلاله الحريق الى آبار أخرى •

وازاء ذلك يجد المدير نفسه مضطرا لأن يحصر تفكيره فى كيفية نقل السائل الرهيب الى منطقة الحريق ، بالوسائل غير المناسبة التى لايوجد أمامه غيرها •

فيقرر أخيرا وضع طن النيتروجليسرين فى براميل كبـــيرة عادية تملأ الى آخرها ، لكى لايهتز السائل بداخلها وينفجر ، ونقل هـــذه البراميل فى سيارتى نقل عاديتين الى منطقة الآبار •

وهو يعلم أن احتمالات وصول المادة المتفجرة الى نهـــاية الطريق ضئيلة جدا ، فالخطر العظيم يكمن فى كل شبر من الثلثمائة ميل التى عليها أن تقطعها .. ولكن لو ان الحظ حالفه وحدثت المعجزة ، ووصلت سيارة واحدة فقط من السيارتين الى آخر رحلتها ، فسوف ينجح فى اخمـــد الحريق قبل استفحال ضرره ..

وسيارات النقل العادية موجودة بكثرة لدى الشركة .. ولكن أين هم السائقون الذين يقبلون نقل هذا الحمل الرهيب ؟! ..

غير ان هذا السؤال لا يقلق المدير طويلا ، فهـــــو يعلم ان فى « لاس بيدراس » الفقيرة ، أناسا عديدين مستعدين للاقدام على أية مخاطرة مهما كانت ، فى سبيل الحصول على مبلغ محترم من المال .

ولذلك فهو يأمر بتعليق لافتات على أبواب مقر الشركة الذى يكاد يشغل نصف المدينة ، تعلن عن حاجة الشركة الى سائقين مهرة يقومون بمهمة خطرة مقابل أجر كبير .. وهو واثق من أن كثيرين من المغامرين سوف يعرضون عليه خدماتهم على الفور ..

وهو يقرر أن يخصص سائقين اثنين لكل من عربتى النقل ، لأنه من المحتم عليهما أن يسيرا ببطء شديد تفاديا للاهتزازات .. وسوف تستغرق الرحلة تبعا لذلك وقتا طويلا جدا لا يستطيع سائق واحد أن يقطعـــه بمفرده .

وفى « لاس بيدراس » ـ بحكم قربها من الحدود ـ عدد من الأجانب من مختلف الجنسيات الذين جاءوها لأسباب مريبة .. ولكن كلهم ـ على اختلاف دوافع وجودهم فى « لاس بيدراس » يشتركون فى صفة واحدة .. هى اللهفة على الحصول على المال بأية وسيلة ! ..

ومن بين هؤلاء الأجانب بالذات الذين يتستر معظمهم وراء أســـماء مستعارة ولا يعرف أحد على وجه التحديد حقيقتهم ، يقرر مدير شركة النفط أن يختار السائقين الذين يريدهم ..

فهو يتفادى بذلك الدخول فى أية اشكالات مع حكومة جواتيمالا

لو تسبب فى موت بعض رعاياها نتيجة تكليفهم بالقيام بأعمال خطرة •• كما يعفى الشركة من دفع اية تعويضات لأقارب القتلى ، لان احدا لايعرف لهؤلاء الاجانب المشبوهين اقارب ! ••

ويجد هؤلاء الأجانب فى اعلان الشركة فرصة العمر التى ينتظرونها •• كما يجد فيه ذلك أيضا ، عدد من أبناء البلاد المغامرين الفقراء ••

ولكن موظفى الشركة يرفضون مقدما طلبات أبناء البلاد ـ تنفيـــذا لأوامر المدير ـ ويدخلون عليه فى مكتبه العشرين أجنبيا الذين جذبهم الاعلان الغامض ، وحدهم ••

ولكن حتى هؤلاء اليائسين ، يستهولون المغامرة الرهيبة التى ينطوى عليها عرض الشركة وينسحب سبعة أو ثمانية منهم بمجرد أن يشرح لهم المدير طبيعة المهمة المطلوب منهم أداؤها ، على الرغم من أنه يعلن أن أجر الرحلة هو ألف دولار لكل سائق ••

أما الباقون فهم لايبالون بأى شىء ، وكل ما يخشونه هو ألايكونوا بين الأربعة الذين يختارهم مدير الشركة ••

ويجرى لهم مدير الشركة اختبارا قاسيا فى قيادة سيارات النقل ، يفوز فيه اسبانى شيوعى ، كان قد هاجر الى المكسيك اثر انتصار فرانكو فى بلاده ، ثم اضطر الى الهرب منها الى جواتيمالا بعد أن اختلف مع زملائه فى الحرب لأسباب عقائدية ••

ومجرم ايطالى هارب من العدالة ••

وشاب رومانى الأصل كان قد هاجر الى هندوراس ثم فر منهـــا بعد أن قتل صديقا له فى أثناء مشاجرة ثملة بينهما ••

ومغامر فرنسى يحترف التهريب ويسعى الى الحصول على ثمن مركب صغير يحقق بوساطته أطماعه ••

وجميعهم يكادون يجنون فرحا لاختيارهم للقيام بالمهمة الخطرة . برغم ادراكهم لما تنطوى عليه من مغامرة ، وذلك لتحرقهم على الحصول على

المال الذى يستطيع كل منهم أن يواجه به الحياة مرة أخرى ، على طريقته الخاصة ..

فمن غير هذا المال ، يشعر كل منهم أنه مدفون وهـــــو حى فى « لاس بيدراس » وأن أمله فى النجاة يتناقص مع مرور كل يوم !

ولكن سرور الفائزين يتوارى بمجرد أن يبدأ تنفيـــذ مهمتهم .. ولا يعودون يشعرون بشىء غير الخوف الشديد ..

وتبدأ السيارة التى يقودها الاسبانى والايطالى رحلتها قبل الســيارة الثانية بمدة ساعة ، حتى اذا حدث لها أى شىء ، لاتنفجر معها الســـيارة الأخرى ..

وبعد مرور الساعة ، يصعد الفرنسى والرومانى الى سيارتهمـــا ، ويبدآن سيرهما الكئيب ..

وهما يقودان السيارة بسرعة لاتزيد على عشرة أميال فى الساعة ، خوفا من الاهتزاز .. ولكنهما مع ذلك لا يغفلان لحظة واحدة عن الموت القابع وراءهما فى البراميل ، والذى قد ينقض عليهما بلا انذار فى أية ثانية برغم كل ما يتذرعان به من حذر ..

بل ان الخوف يصبح هو الشىء الحقيقى الوحيد الموجود معهما .. أما كل ما عداه فيبدو لهما غير حقيقى ! ..

والرحلة تبدأ فى المساء تفاديا لحرارة الشمس الشديدة ، ولذلك فان صعوبة الرؤية تضاف الى مجموعة المصاعب الأخرى التى تــكتنف الرحلة ..

وبعد طلوع النهار بساعات قليلة يضطران الى التوقف، لأن مواصلة السير تصبح مستحيلة تحت وهج شمس خط الاستواء التى تسطع فوقهما.

وبعد قليل ، يسمعان صوت انفجار مروع ، فيدركان أن السيارة الأولى قد لاقت حتفها .. فيزداد رعبهما ، ويواصلان السير فى مزيد من الحذر الى أن يبلغا مكان الانفجار فلا يجدان أثرا للسيارة غير بعض قطع

منها تناثرت على مسافات بعيدة •• ويتبينان أن الانفجار قـــد خلف حفرة عميقة فى الطريق ضاعفت من خطر اجتيازه ••

ويقود الفرنسى السيارة ، على حين يقف الرومانى على حافة الطريق ليرشده خطوة بخطوة ••

وفى احدى اللحظات الحرجة التى تتأرجح فيها السيارة على حافة الفناء ، تصدم الرومانى وتكسر له ساقه •• فيحمله زميله الى السيارة ، ويجتاز بالسيارة وحده أخطر مراحل الطريق بفضل عناده وتصميمه الذى لا يتزعزع ••

وهو يقود السيارة وهو فى حالة أشبه بالغيبوبة ، بعد أن حطمـــه السهر والمجهود العنيف والخوف •• ولكنه ينجح فى النهاية ، وبعد مرور يومين كاملين على بداية الرحلة ، فى الوصول بالسيارة سالمة الى منطقــة الآبار ••

غير أن الرومانى يكون قد أسلم الروح فى هذه الأثناء ! ••

ويقرر كبير مهندسى الشركة المقيم فى منطقة الآبار أن يـــكافىء الفرنسى على المجهود الجبار الذى بذله ، فيعطيه مع الايصال باستلام المادة المتفجرة ، شهادة تفيد بأن الرومانى قد مات فى منطقة الآبار ، وأوصى بأجره لزميله الفرنسى ••

فيعود الفرنسى الى المدينة وهو يكاد يطير فرحا ونشوة ، ولا يكف عن التفكير فى المشروعات التى سيحققها بالمبلغ الذى غامر بحياته على أقسى نحو من أجل الحصول عليه ••

ولكن قبل أن يصل بمسافة قصيرة ، يختل توازن السيارة بسبب خلل مفاجىء طرأ عليهـــا عند أحـــد المنحنيات الخطرة فى الطريق •• وتهوى بسائقها الى البحر ! ••

هذه هى القصة العنيفة المثيرة الطافحة بالمرارة التى كتبهـــا المؤلف الفرنسى جورج آرنو ، والتى كانت موضوعا لأحد الأفلام الفرنســـية التى حققت نجاحا ساحقا .

على الطريق..

للكاتب الأمريكى : جاك كيرواك

فى عدد من البلاد الأوربية وفى أمريكا ، ظهر فى أعقاب الحرب العالمية الأخيرة بين ابناء الجيل الجديد ، فريق لايعرف كيف ينسجم مع الظروف التى تسود عالمه •• فريق ولد أعضاؤه أيام الحرب على ازيز الرصاص ودوى القنابل ، أو قبلها بقليل ، وفتحوا أعينهم على دنيا ممزقة يستبد بها العنف ويظللها الخوف وتشوهها الأحقاد والضغائن ••

ثم تاهوا فى عالم ما بعد الحرب ، فلم يعرفوا ما الذى يعتنقونه من المبادىء المتصارعة فيه وما الذى ينبذونه••ولم يعرفوا أى القيم يقدسونها ، وأيها يكفرون بها ، ولا أى القضايا يتحمسون لها وأيها يحتقرونها ••

وجدوا أنفسهم ضائعين عاجزين فى عالم كئيب قاس ، لايعلمون شيئا عنه على وجه التأكيد ، غير أنه مهدد بالزوال فى أية لحظة ، نتيجة لانفجار قنبلة نووية ••

فدفعهم الاحساس بالحيرة وبالضياع وبالفراغ الروحى والمادى الى التمرد على جميع الأوضاع السائدة فى دنياهم ، والى الاحتجاج على ما يجدون نفسهم فيه من تيه بلا نهاية ، عن طريق رفض جميع النظم المرعية وجميع قواعد السلوك التى يتبعها الغير ••

وحتى شكلهم ، عملوا على أن يجعلوه مختلفا عن شكل سائر الناس

فأطال بعضهم شعر رأسه ، وأطلق بعضهم الآخر لحاهم أو أطالوا سوالفهم ، وتعمدوا أن يتحدوا كل ما هو متعارف عليه بكل وسيلة فى أيديهم ••

وعرف هذا الفريق من أبناء الجيل الجديد باسم « الوجوديين » في أوربا •• على الرغم من أنه لا علاقة بالمرة بين معظم أفراده وبين النظريات المعروفة للفلسفة الوجودية ••

أما في أمريكا فقد عرف باسم جيل « البيتنيكس » •• وهي كلمة لايعرف أحد معناها بالضبط ، ولا كيف دخلت اللغة الانجليزية ، ولكنها تطلق على أية حال على أولئك الشبان والشابات الذين لا يكادون يختلفون في شيء عمن يدعون « الوجوديين » في أوربا ••

ومن بين أبناء هذه الفئة الامريكية كتاب وشعراء عديدون ، يكتبون بأسلوب خاص بهم مائة في المائة ، ولا يخضعون لأية قاعدة أدبية معروفة

غير أن أبرزهم جميعا هو الروائي جاك كيرواك الذي ينظر اليه زملاؤه على أنه المتحدث الأول باسمهم ، والمبشر الأكبر بأفكارهم وآرائهم ••

والعمل الأدبي الأشهر لهذا الكاتب هو مؤلفه الاول « على الطريق» الذي أصبح يسمى انجيل جيل « البيتنكس » ! ••

و « على الطريق » رواية عجيبة حقا •• فهي لا يمكن أن تعد عملا أدبيا ممتازا ، ولا هي مستوفية للحد الأدنى من الشروط التي ينبغي أن تتوافر في القصة الطويلة الجيدة ••

وحتى الأسلوب الذي كتبت به ، ليس أسلوبا شائقا أو مغريا بالقراءة في حد ذاته ••

ومع ذلك فهي رواية تثير اهتمام قارئها ، وتدفعه الى متابعة فصولها بشغف •• وبما يسبب تصويرها الصادق للمشاعر المتأججة التي تملأنفوس شخصياتها من أبناء الجيل الحائر الضائع ، ولنبضها الحار بالانفعالات التي تتحكم فيهم ••

وأبناء هذا الجيل ، كما تصفهم كلمات الناطق الأكبر باسمهم جاك كيرواك ، هم : « اولئك الذين يتلهفون على أن يعيشوا ، ويتلهفون

على أن يتحدثوا ، ويتلهفون على أن يجدوا الخـــلاص •• أولئك الذين يريدون كل شيء في آن واحد ، والذين لا يتثاءبون أبدا ولا يقولون شيئا عاديا ، وانما يحترقون ويحترقون ويحترقون » ! ••

وهم ـ كما تصورهم رواية « على الطريق » يحترقون فعـــلا •• بلا انقطاع ! ••

فهي تروى قصة مجموعة من الشبان والشابات ، لايعرفون ما الذى يريدونه من الحياة ولا يستقرون على حال مطلقا ، وانما يجرون بلا توقف وراء هدف غير معروف ! ••

وهم يقضون معظم وقتهم على الطريق ـ ومن هنا استمدت الرواية اسمها ـ فهم لا يكفون عن الانتقال من مكان الى آخر بصفة مستمرة ، لا لشيء الا لأنهم لا يجدون أبدا الشيء المبهم المجهول الذى يبحثون عنه في أى مكان ، فيغيرون باستمرار أماكن اقامتهم على آمل أن يجدوا في المكان التالى الذى يقصدونه ، ما يسعون اليه ! ••

وخلال هذه الحركة القلقة المستمرة ، لايهــــدأ أبدا ظمؤهم الى الاستمتاع بكل ما في الحياة من ملذات أو تجارب يستطيعون ممارستها ••

وهم لا يترددون في محاولة ارواء هذا الظمأ عن أى طريق وبأية وسيلة ••

فهم يستبيحون كل مغامرة جنسية يمكن أن يقدموا عليها ، ويشربون الخمر ليلا ونهارا ، واذا لم يجدوا معهم ثمنها فلا مانع لديهم من سرقتها أو سرقة ثمنها •• كما أنهم يدخنون الماريخوانا بلا انقطاع ـ وهى المخدر الشبيه بالحشيش المنتشر في أمريكا ـ وعندما لا يجدون سقفا يبيتون تحته فلا يضايقهم أبدا أن يناموا فى محطات السكك الحديدية أو في العراء !••

كما أنهم لا يتوقفون عن الحديث أبدا ، فهم فى منـــاقشات حارة متواصلة ، تتناول كل شيء •• ولا تنتهى الى شيء ! ••

بل هم يقضون الساعات الطوال فى مناقشة بديهيات لا تحتمـــل

المناقشة ، لمجرد انهم لا يقبلون على علاته أى رأى سبقهم غيرهم اليه ! ••

ويدققون فى كل ما تقع عليه عيونهم كما لو كان ظاهرة خارقة لم تحدث من قبل ، على أمل أن يجدوا فى أى شىء معنى جديدا لم يكتشفه أحد قبلهم فيه •• أو نورا يساعدهم على تفسير الحياة وفهم الانســـان ومصيره ••

وغرامهم بموسيقى الجاز الصاخبة عنيف جدا ، لأنهم يجدون فى ضجيجها وشذوذها صدى لما فى نفوسهم •• ويضعون المــــاهرين من عازفيها فى مصاف القديسين والأنبياء ! ••

ورواية « على الطريق » هى قصة هذا القلق المتصل ، والتيه المزمن •• ولا شىء غير ذلك ! ••

فالحبكة الروائية تكاد تكون معدومة فيها ، ولا تكاد أحداثها تخرج عن سفر بطلها وأصدقائه وصديقاته عبر آلاف الأميـــال بين نيويورك وسان فرانسيسكو أكثر من مرة خلال بضعة أشهر ، واقحامهم لأنفسهم فى مغامرات صغيرة لاحد لها على الطريق •

وبطلها الذى تتمثل فيه روح « البيتنيكس » أكثر من بقية اخوانه ، يكاد يكون مجنونا تماما ••

فكلامه فى معظم الأحيان عبارة عن هذيان محموم ، وجمع تصرفاته تخلو من أى منطق أو اتزان ، و « البهدلة » فى شكله وملبسه تزيد حتى عن « بهدلة » سائر زملائه ••

ولذلك ينظر اليه أصدقاؤه كما لو كان زعيما أو بطلا ، ويخصـونه بتقديرهم العظيم ! ••

وهو يسرق السيارات لمجرد اشباع هوايته للقيادة السريعة ، ثم يتركها فى المكان الذى يفرغ فيه وقودها •• ويصاب بحالات نشوة عارمة شبيهة بالاغماء عندما يستمع الى موسيقى الجاز •• ولا يكف عن مناقشة النظريات والأفكار الفلسفية والأدبية مناقشة خالية من كل منطق ومن كل

فهم •• كما يحرص دائما على البحث عن معان وتفسيرات جديدة لـــكل ما يصادفه ! ••

وهو يتزوج ثلاث فتيات فى مدة تقل عن سنتين ، وينجب طفلا من كل منهن •• ولكنه لايشعر بأية مسئولية تجاه زوجاته سواء فىأثناء ارتباطه بهن أو بعد تركهن ، ولا نحو الأطفال الذين يجىء بهم الى الدنيا ••

وهو متقلب جدا فى عواطفه ، فالمرأة التى يعبدها اليوم ، لا يحتمل رؤيتها غدا •• ثم لايلبث أن يحن اليها بقوة بعد أسبوع ، ويطاردها فى كل مكان •• ليعود ويملها من جديد بعد أيام ! ••

والمبادىء الأخلاقية لا تعنيه فى شىء ، ولا تتدخل بالمرة فى علاقاته النسائية ••

فهو يواصل اتصاله الجنسى بزوجاته بعد طلاقه منهن ، ولا تحمل اليه كلمة الخيانة أى معنى ••

فالزوجة التى يقترن بها فى الصباح ، يخونها فى بساطة تامة فى المساء ••

ولا يتورع عن محاولة اغواء أية أنثى يلتقى بها ، ولو كانت زوجة أو أما لأقرب الناس اليه ! ••

وفى نهاية الرواية نراه يحمل حقيبته المحطمة وكتبه الممزقة من جديد ، ليقطع مرة أخرى المسافة الشاسعة بين نيويورك وسان فرانسيسكو التى يقطعها القطار فى خمسة أيام ، من غير أن يكون معه دولار واحد•• معتمدا على أنه سوف يسرق طعامه وشرابه ومخـــدراته فى الطريق أو يحصل عليها بأية وسيلة •• وعلى أنه سوف يستقل السيارات المسافرة فى اتجاهه نفسه كلما سمح له اصحابها بذلك ! ••

وهدفه من هذه الرحلة بالاضافة الى الاستمتاع برؤية معـــالم قارته الجميلة وايجاد متنفس لقلقه الرهيب •• هو العودة الى زوجته الثانيـــة التى طلقها منذ مدة، من غير أن يطلق زوجته الثالثة التى يتركهـــا فى نيويورك ! ••

الغـــريب !

للكاتب الامريكى الزنجى : ريتشارد رايت

ريتشاردرايت هو أعظم كاتب بين زنوج أمريكا •• وقد نفى نفسه منذ سنوات عدة من وطنه الأصلى ، الذى لاتتحقق فيه المساواة بين البيض والملونين ، وأقام بصفة دائمة فى فرنسا ••

وروايته الأولى « ابن البلاد » قد وضعته فى مصاف كبار كتاب العالم •• وكتابه « الولد الاسود » الذى روى فيه قصة حياته فى قالب روائى ، يعد من أهم الأعمال الأدبية فى هذا العصر ••

وآخر انتاج له هو رواية « الغريب » •• وهى أكثر مؤلفـــاته طموحا ! ••

ففى رواية « الغريب » يتعرض المؤلف لمناقشة جميع النظم السياسية والآراء الفلسفية التى تتحكم فى عالمنا فى الوقت الحاضر •• كما يقـــدم أفكارا جديدة كثيرة ، يحاول أن يستنبط منها تفسيرا مبتـــكرا للعوامل المختلفة التى ساهمت فى توجيه الفكر البشرى عبر القرون ، وأن يشرح على ضوئها أحداث العصر الحديث وطبيعة أبنائه •

وبطل هذه الرواية ـ وهو « الغريب » ـ ليس غريبا بحكم أنه زنجى أمريكى ولد فى مجتمع يضطهد ويعزل أمثاله ، ولكن لأنه من طراز خاص من المخلوقات البشرية لايندمج فى أى مجتمع اطلاقا ، ولا ينتمى فى الحقيقة الى الأسرة الانسانية برمتها ، وان كان يعيش بينها كأحد أفرادها •

فهو لايؤمن بأى شىء مما يؤمن به الناس ، ولا يحترم فى قرارة نفسه أى نظام من تلك التى تسير عليها المجتمعات البشرية ، ولا يحس بأنه ينبغى عليه أن يخضع بمشيئته لأية قاعدة من التى يقبلها غيره ••

انه لا يكفر بالخالق وبالأديان فقط ، ولكن بكل عقيدة وبكل مذهب وكل فكرة وكل شريعة ..

انه ـ باختصار ـ يكفر بكل شيء ، ولا يعرف معنى مقنعا أو سببا أو هدفا لوجوده أو لوجود الكون بأسره .. ويسخر من كل تفسير توصل اليه البشر بشأن الحياة وماضيها ومستقبلها ..

كما أنه يسخر من جميع المثل العليا والأماني والآمال التي يتطلع اليها الناس ويحلمون بتحقيقها .. ويعتقد أنها جميعا مجرد شباك نصبها لهم في وقت أو آخر ، أفراد أذكياء ، عملوا على اصطيادهم بها ليحققوا مطمعهم في السيطرة عليهم وتوجيه مصائرهم .

فالرغبة في السيطرة هي في اعتقاده العامل الأساسي وراء وجود كل مذهب وكل مثل أعلى ، وخصوصا في هذا القرن الذي انهارت فيه المثل العليا والمعتقدات القديمة ـ نتيجة لتقدم العلم والصناعة وما صاحب ذلك من تطور ـ ولم يجد الانسان ما يعوضه عنها ، فأصبح يتخبط في حيرة قاسية ، لا يعرف معها ما الذي يؤمن به وما الذي ينبذه ! ..

فالأذكياء ذوو الطموح الذين يدركون هذه الحيرة ، يعملون على استغلالها في فرض سيطرتهم على البشرية ، عن طريق استدراج الناس الى التحمس للمبادىء السامية والشعارات البراقة التي يلوحون لهم بها .. في حين لا يؤمنون هم في الحقيقة بأي منها ، ولا ينظرون اليها الا على أنها وسائل تمكنهم من الاستيلاء على السلطة ومن فرض ارادتهم الخاصة على الناس .

هذه الآراء والأحاسيس هي التي تسيطر على ذهن بطل الرواية ومشاعره .. ولكنه لا يجرؤ على مصارحة أحد بها ، بل ويتهيب في البداية حتى أن يعترف بها بينه وبين نفسه ..

والى أن تقوده الظروف الى مواقف يضطر فيها الى مواجهة حقيقته ومراجعة عواطفه ومعتقداته ، فهو ينحي هذه الآراء والأحاسيس جانبا ، ويعيش حياة عادية مثل بقية المخلوقات .

وحياته ـ مثل غيره ـ لا تخلو من المشكلات ، فى بداية الرواية ..

غير ان هـذه المشكلات لا تلبث أن تتعقد نتيجة تصرفاته وللشذوذ الأصيل فى طبيعته ، بحيث يبدو المستقبل أمامه مظلما الى أقصى حد ..

فهو يجد نفسه فجأة معرضا لدخول السجن ، لأنه اتخذ لنفسه عشيقة قاصرا حملت منه .. فى الوقت الذى له فيه زوجة وثلاثة أولاد !

كما يجد نفسه فى أزمة مالية خانقة .

ويبلغ به اليأس من حل مشكلاته حد التفكير جديا فى الانتحار ..

ولكن الظروف توحى له بلا مقدمات بمخرج غريب من ورطته ، لا يتردد فى الالتجاء اليه ..

فبينما هو يركب احدى عربات المترو الذى يسير تحت الأرض فى مدينته شيكاجو ، يحدث تصادم بين القطار الذى يستقله وبين قطار آخر يموت فيه عدد كبير من الركاب وينجو هو منه بأعجوبة ..

وتتهيأ له فرصة التسلل من نفق المترو ، من غير أن ينتبه اليه أحد .. فيقرر أن يختفى عن الأنظار الى أن يظن الناس أنه قد مات مع من ماتوا فى الحادث ، ثم يسافر بعد ذلك الى نيويورك ويستأنف حياته هناك بشخصية جديدة ، بعيدا عن المشكلات التى تراكمت عليه ..

وتنجح خطته فعلا ، ويذاع اسمه ضمن ضحايا الحادث ، وتتسلم أسرته جثة زنجى آخر ضاعت معالم وجهه فى الحادث ، على أنها جثته هو .. وتتولى دفنها على هذا الأساس !

وكل هذا على حين أنه مختبىء فى أحد الفنادق ذات النشاط المريب باسم مستعار !

ولكن قبل أن يغادر الفندق ، ليستقل القطار الذى ينقله بعيدا الى نيويورك التى لا يعرفه فيها أحد .. يلتقى مصادفة فى أحد ممرات الفندق برجل من معارفه ، جاء الى الفندق ليلتقى فيه سرا باحدى العاهرات !

ويذهل الرجل لرؤيته بعد أن كان قد حضر جنـــازته في اليوم السابق •• على حين يوقن انه مضطر الى التخلص من هذا الرجل تحاشيا لافتضاح أمره ••

فيدخل مع الرجـــل غرفته بحجة أنه يريد أن يشرح له كل شيء ثم يقتله على الفور بدفعه من النافذة ••

ويفر هاربا الى نيويورك ••

ومن حسن حظه تقع جثة القتيل فوق سطح العمارة المجاورة للفندق ولا تكتشف الا بعد أيام ••

ويظن رجال الشرطة أن القتيل قد وقع من النافذة تحت تأثير السكر فلا يبحثون عن أي قاتل له !

أما بطل الرواية ، فيكتشف أنه قد ارتكب جريمة القتل دون أن يهتز أو يبالي •• وعندئذ يضطر الى أن يرى نفسه على حقيقتها •• أي على أنه مخلوق غريب لا يحس بأي رادع أو وازع من تلك التي تؤثر في غيره من الناس ••

* * *

وفي نيويورك ، تجمعه الظروف ببعض أعضـــاء أحد الأحزاب السياسية المتطرفة التي تطالب بالمساواة للزنوج ، لكي تحصل على تأييدهم لأغراضها ••

ويحاول أعضـــاء الحزب اســـتمالته الى مبادئهم ، باعتباره زنجيا مثقفا ، يعتقدون أنه يصلح لأن يكون داعية لهم بين الزنوج ••

ويرى هو في محاولة ضمه الى الحزب فرصة لاكتساب حماية ورعاية الحزب له ، فيتظاهر بأنه مستعد لمجاراة قادة الحزب فيما يريدون ••

ويشتبك أحد زعماء الحزب يوما في مشاجرة عنيفـــة مع رجل من أعداء الزنوج الذين يكرهون هذا الحزب ويحاربونه ، ويراهمـــا بطل الرواية وهما يتضاربان •• فيعن له فجأة أن يتخلص من كليهما ، لأن كلا

منهما يمثل فى نظره جانبا مختلفا من الرغبة الواحدة فى السـيطرة على الناس ، التى يكره هو أن تشمله ..

فيقتلهما فعلا ، ثم يتركهما فى أوضاع توحى بأن كلا منهما قد قتل الآخر !

ولا تجد سلطات التحقيق تفسيرا غير هذا لمقتلهما ! ..

ثم يثور بطل الرواية على زعيم آخر من زعماء الحزب بسبب غرور هذا الزعيم ، وظمئه الشديد الى التحكم فى مصائر الناس ..

ويجد الفرصة مواتية لقتله من غير أن يشك فيه أحد ، فلا يتردد فى انتهازها ..

وهكذا يرتكب أربع جرائم قتل خلال بضعة أيام ! ..

ويشك فيه قادة الحزب لأسباب غير الأسباب الحقيقيـة التى قتل اثنين من رجالهم من أجلها .. فيغتالونه ! ..

والنتيجة التى يصل اليها المؤلف من هذه الرواية غير العادية ، هى أن جميع القوانين والمبادىء والنظم التى تسود العالم حاليا ، لم تعد صالحة أو كافية .. بعد أن أعاد القرن العشرون الانسان الى وحشيته الأولى التى كان عليها قبل أن تهذبه الحضارات ..

فالتقدم العلمى والصناعى قد هدم جميع الأسس التى قامت عليهـا الحضارات الماضية ، وما حملته معها من معتقدات كانت بمثابة القيود التى كبلت وحشية الانسان ..

فعاد الانسان متوحشا كما كان منذ آلاف السنين ..

وهذه الوحشية التى يصاحبها عدم الايمان بأى شىء ، والتى لاتقف عند أى حد ، غير محصورة ـ فى رأى المؤلف ـ فى بطل روايته ، وانما هى موجودة فى كثيرين يتزايد عددهم يوما بعد يوم مع اتساع نطـاق المدنية الحديثة .

وكل ما فى الأمر أنها تنتظر الظروف المواتية لتظهر ، وتكشف عن استهزائها بكل قيمة وكل قانون ! ..

وصول.. ورحيل!

للكاتب المجرى : آرثر كويستلر

اشتهر الكاتب العالمى المجرى الأصل آرثر كويستلر ـ ضمن نواحى التفوق العدة التى اشتهر بها ـ بقدرته العظيمة على التحليل النفسانى ، وبراعته المنقطعة النظير فى تطبيق قواعد وأساليب هذا العلم الحديث على شخصيات رواياته ..

وقد قدم فى أكثر من رواية الدليل العملى على نفاذ بصيرته وبراعته الفائقة فى الغوص الى أعماق النفس البشرية ، والكشف عن الدوافع الخفية التى تحرك الناس وتوجه تصرفاتهم ، دون أن يعلموا عن حقيقتها شيئا بعقلهم الواعى فى كثير من الأحيان ..

وفسر بذلك كثيرا من الأعمال التى تبدو غامضة مجهولة السبب ، مثل اقدام بعض المتهمين فى ظروف معينة على الاعتراف بجرائم سياسية لم يرتكبوها برغم عدم تعرضهم لأى تعذيب أو ضغط مادى .. ومثل اندفاع بعض قادة الحركات السياسية فى تحطيم أقرب الناس اليهم ، دون أن يكون لذلك فى الظاهر أى سبب مفهوم ..

وقد بلغ قمة النجاح فى هذا النوع من الروايات القائم على التحليل النفسى فى روايته الشهيرة « ظلام عند الظهر » التى أعيد طبعها عدة مرات، وترجمت الى لغات كثيرة ، وحولت الى مسرحية ناجحة .. وحقق نجاحا كبيرا أيضا فى رواية أخرى من هذا النوع هى رواية « وصـــول .. ورحيل » التى كتبها بين يوليو سنة ١٩٤٢ ويوليو من العام التالى ، ابان اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية ..

ورواية « وصول .. ورحيل » هى قصة شاب فى الثالثة والعشرين

من عمره ، من احدى بلاد أوربا الوسطى ، يتمكن من الهرب فى أوائل أيام الحرب الأخيرة ــ بعد احتلال قوات المانيا لوطنه ــ الى احدى بلاد أوربا المحايدة ••

ولكنه يكون قد قاسى كثيرا قبل فراره من بلاده ، قبل الغزو الألمانى وبعده على السواء •

فقد كان ينتمى الى حركة سياسية سرية معادية للنازية ، وقضى فى السجن فترة طويلة فى أثناء دراسته الجامعية ، بسبب نشاطه السياسى بين زملائه الطلبة ، وتعرض لألوان من التعذيب الجسمانى تركت آثارا عميقة وباقية فى جسده وروحه معا ••

كما أنه دخل السجن مرة أخرى بعد الاحتلال النازى •• ولم يغادره الا قبل نجاحه فى الهرب من البلاد بفترة قصيرة ••

والجيل الجديد من أبناء وطنه ، يعده بطلا شجاعا من أبطاله ، ويحيطه بهالة كبيرة من الاعجاب والاحترام والتقدير ، لأنه لم يتخاذل أمام التعذيب الذى تعرض له فى السجن ، ولم يش بأى من زملائه فى المنظمة السرية التى كان منضما اليها ، برغم أنه كان يستطيع أن يتفادى الأذى البليغ الذى لحقه لو فعل ذلك ••

ولكنه يشعر بأنه لا يستحق أيا من هذه المشاعر ، لأنه كان قدفقد حماسته للحركة السياسية التى سجن من أجلها ، حتى قبل أن يدخل السجن ، ثم فقد ايمانه بها كلية بعد ذلك وخاب أمله فيها تماما •• وأصبح يحس أن الاعجاب الذى يوجه اليه ،لاحق له فيه ، ولا معنى له ! ••

غير أنه على الرغم من انفصاله عن الحركة السياسية المعادية للنازية ، وكفره بكل مبدأ سياسى نتيجة لخيبة أمله فى الحركة التى آمن بها من قبل •• يتحرق لهفة على الاشتراك فى المعركة ضد النازية ، بعد أن رأى بعينيه الأساليب الوحشية التى تلجأ اليها فى تنفيذ فلسفتها ، والطرق غير الانسانية التى تتبعها فى تصفية مختلف العناصر البشرية التى تسعى الى التخلص منها ••

ولما كانت بلاده قد استسلمت للاحتلال النازى ، ولم تنشأ فيها أية حركة مناهضة له ، وتولت الحكم فيها وزارة متعاونة تماما مــع سلطات الاحتلال النازية ، تساعدها فى تنفيذ سياستها وتطبيق نظريتهما الشاذة •• فقد سعى الى الفرار الى بلد محايد ، لكى يتطوع من هنـــاك فى الجيش البريطانى ، ويشترك معه فى محاربة النازيين ••

ولكن خيبة أمل جديدة تنتظره فى البلد المحايد ! ••

فبعد أن يخاطر بحياته مرارا لكى يصل اليها ، ويتحمل مالا حصر له من المتاعب فى الطريق ، يكتشف أن التطوع فى الجيش البريطانى ليس بالسهولة التى تصورها ! ••

فالقنصل البريطانى فى البلد المحايد يستقبله أولا فى برود شديد يكاد يجعله يندم على تفكيره فى التعـــاون مع الانجليز وعــلى احتماله ما احتمله فى سبيل ذلك •• ثم ينبئه بأنه لا يســتطيع أن يبت فى طلب تطوعه ، وانما عليه أن يحيله الى لندن وينتظر ردها ! ••

ويسأله الشاب عن المدة التى قد يستغرقها وصول هذا الرد ، فيجيبه القنصل بأنها لن تقل عن ستة أسابيع ••

فيكاد الشاب يجن ولا سيما أن ما كان معه من نقود لم يكن يكفيه لأكثر من أيام قليلة ••

ويتأثر القنصل لحال الشاب الصغير الذى تبدو عليه فى وضـــوح آثار تعذيبه القديم وآثار الارهاق الشديد الذى سببه له هربه من بلاده ، فيقول له فى حنان أبوى : لماذا لا تحاول الحصول على تأشيرة لدخـــول أمريكا ــ التى لم تكن قد اشتركت فى الحرب بعد ــ مثل غـــيرك من الهاربين من الاحتلال النازى ، بدلا من التفكير فى التطوع فى الجيش البريطانى •• ولا سيما أنه يبدو عليك انك قد أوفيت ما عليك لقضـــية الحرب وقمت بنصيب متوافر فيها ؟! ••

فتزداد خيبة أمل الشاب عمقا ، ويسارع الى الخروج من مكتب

القنصل بعد أن يلح عليه فى تحويل طلبه الى لندن واستعجال ردهـــا علیـــه ••

وتزداد حالته سوءا فى انتظار الرد •• فبالاضافة الى ما يعانيه من قلق نفسى ، فهو يضطر الى المبيت فى الحدائق العامة والى الاكتفاء بأكل كميات ضئيلة من الخبز وحده •• الى أن تكاد صحته تنهار كليا ••

وبينما هو على وشك أن يقع فريسة للمرض والضعف ، تلتقى به مصادفة طبيبة نفسانية من بلاده ، جاءت الى البلد المحايد قبله ، لتلجأ منها الى أمريكا ••

وبما أن هذه الطبيبة كانت صديقة حميمة لأسرته ، وتعرفه منـــذ مولده ، من ناحية •• وبما أنها ميسورة الحال نسبيا من ناحية أخرى ، وتمارس مهنتها بصورة غير رسمية بين مختلف جماعات اللاجئين فى البلد المحايد ، فى انتظار وصول الاذن لها بدخول امريكا •• فهى تصر على ان تساعده وتستضيفه فى بيتها ••

ثم تحصل له على معونة مالية من الهيئات المختصة باغاثة اللاجئين ، وتتفق معه على أن يبقى فى بيتها الى أن يجيئه الرد الذى ينتظره ، أوالى أن يجيئها هى الاذن بالسفر الى أمريكا ••

وتحاول فى أول الأمر مثل القنصل الانجليزى ، أن تسفه له فكرة التطوع فى الجيش البريطانى ، وأن تقنعه بمحاولة الهجرة الى أمريكا •• ولكنها تكف عن محاولاتها أمام عناده واصراره ••

وفى بيت الطبيبة يلتقى الشاب بعدد من اللاجئين الذين تدفقوا عـلى البلد المحايد من مختلف أقطار أوربا المحتلة ، ويقع فى غرام فتاة فرنسية صغيرة السن ، فقدت خطيبها وأهلها جميعا فى الحرب ، وجاءت الى البلد المحايد لتهاجر منه بدورها الى أمريكا وتبدأ فيها حياة جديدة ، بعيدا عن ذكريات الماضى الأليمة وأحوال الحاضر المضطربة ••

والفتاة لا تكترث به فى أول الأمر ، فقد حجرت مصائبها عواطفها وبلدت أحاسيسها ••

ولكنه يظل يطاردها بعواطفه الملتهبة الى أن تستجيب له فى النهاية ، بدافع من السأم من الحاجه وحده ..

غير أنها تشعر بميل قوى نحوه بعد ذلك ، ويعيشان معاً قصة غرام جميلة تستمر عشرة أيام ..

وفى اليوم الحادى عشر ، يذهب الى لقائها كالمعتاد فى الفندق الصغير الذى تقيم فيه ، ممنيا نفسه باستمرار الهناء الذى لم يعرف مثله من قبل فى حياته ، والذى أنساه آلامه كلها وخلقه من جديد ..

ولكنه يفاجأ بأنها رحلت ، تاركة له رسالة تقول له فيها انها كانت قد تلقت الاذن بالهجرة الى أمريكا منذ بضعة أسابيع ، وأنها كانت تنتظر فقط موعد سفر باخرتها ، وأنها لم تخبره بكل هذا من قبل لكيلا تفسد صفاء أيامه الأخيرة معها ..

ثم تقول له انها لم تشأ أن تستغل حبه لها فى التأثير عليه لحمله على تغيير رأيه فى مسألة التطوع فى الجيش الانجليزى ، أو لحمله على محاولة الهجرة الى أمريكا ، حتى يكون حراً تماما فى اختيار ما يريده ..

ولكنها تضيف أنها سوف تكون سعيدة لو استطاع أن يلحق بها فى أمريكا ..

ولا يكاد الشاب يصدق عينيه عندما يرى الرسالة ، ولا يتصور ان آماله جميعا التى استيقظت فجأة ، يمكن أن تنهار مرة واحدة .. فيصاب بصدمة عصبية عنيفة تنتهى بفقده القدرة على تحريك احدى ساقيه ..

وتأخذ الطبيبة فى معالجته نفسانيا بعد أن ينتهى علاجه العادى ، وتبذل جهدا جبارا فى اقناعه بأن شلل ساقه يعود الى أسباب نفسانية بحتة ، وليست له أية أسباب عضوية ..

وفى أثناء ذلك تجعله ينبش ماضيه كله ، ويستعرض أحلامه وتطورات تفكيره فى مختلف مراحل حياته ، لكى تجعله يتوصل بنفسه الى معرفة الدوافع الحقيقية التى كانت وراء كل عمل قام به ..

فتكشف له بذلك عن زيف مثاليته ، وتقنعه بأنها كانت مجرد وهم يتشبث به في عناد لا مبرر له .. وتثبت له أكثر من ذلك أن كل فدائى مثله يسعى بنفسه الى هلاكه ، انما هو أساسا مخلوق معقد نفسيا يسعى الى التكفير عن ذنوب خيالية يعتقد فى قرارة نفسه أنه ارتكبها وأنه مطالب بأن يعاقب نفسه عليها ، من غير أن يكون هنالك فى الواقع ما يستدعى ذلك ..

وتتوصل فى النهاية الى شفائه من نوبة الشلل ، بعد أن تكون قدعرت نفسه وعقله الباطن من كل المعتقدات والرواسب القديمة التى كانت عالقة بهما ، وبعد أن تكون قد أقنعته بأن جميع تضحياته السابقة لم تكن أكثر من أعمال متهورة أقدم عليها انسان مريض ، صمم على أن يحطم نفسه بنفسه بدافع من استسلامه لخيالاته وأوهامه ..

ويجد الشاب نفسه مضطرا لأن يوافقها على أن مخاطراته واحتماله للتعذيب لم يكن لهما ما يبررهما ، ولاسيما أن معظمها جرى بعد أن كان ايمانه القديم بالحركة السياسية التى اعتنقها فى صباه قد تبدد ، وبعد أن اتضح له أن جميع ما كانت تدعيه هذه الحركة من مبادىء سامية ومثل عليا ، لم تكن الا ستارا تختفى وراءه انتهازيتها ..

وتقنعه الطبيبة بعد ذلك ، بأن اصراره على التطوع فى الجيش البريطانى ومواصلة الحرب ضد النازية وحده ، ماهو الا استمرار للاتجاه الانتحارى القديم الذى سار فيه طول حياته بلا موجب حقيقى ، وليس الا اذعانا للنزعة المريضة التى نمت فى نفسه منذ طفولته والتى تدفعه دائما الى الانحياز الى الجانب الخاسر ..

ولا يقتنع الشاب بسهولة بما تكشف له عنه الطبيبة ، بل يحاول فى عناد أن يمنع نفسه من تصديق تفسيرها لأعمال ماضية ولهواجس نفسه ، ومن قبول الأدلة الدامغة التى تقدمها له ، فى أول الأمر ..

ولكنه فى النهاية لا يجد مناصا من الاعتراف بأن تحليلها لنفسيته كان صحيحا ، وبأنه قضى عمره كله وهو يفرض على نفسه عقوبات

لا يستحقها ، وأن اندفاعه وحماسته وتفانيه وتضحياته لم تكن الا جزءا من خطته اللاواعية لمحاســـبة نفسه عن ذنوب لم يقترفها •• وبأن جميع المبادىء التى توهم أنه اعتنقها فى الماضى ، ولم تكن غير وسيلة للزج بنفسه فى المخاطر ولجعل الضربات تنهال فوق رأسه ••

وبعد ذلك يشعر براحة نفسية عميقة ، وبأنه قد أصبح انســـانا آخر ••

***

وفى هذه الأثناء يكون قد تلقى رسالة من القنصلية البريطانية تنبئـه بموافقة لندن على طلب تطوعه ، ولكنه يهمل هذه الرسالة ويطلب تأشيرة لدخول أمريكا ، ليلحق هناك بحبيبته ويبدأ معها حياة جديدة ••

وقبل أن يجيئه الرد الأمريكى ، تتلقى الطبيبة تأشيرتهـــا ، فتسافر الى أمريكا قبله على أن يلحق بها بمجرد أن يتلقى الاذن بالهجرة ••

والاذن يصله بعد أيام قليلة فعلا ، ويبدأ فى الاستعداد للسفر وهو فى منتهى السعادة ••

ولكن حماسته للسفر تفتر تدريجيا باقتراب موعده ، ويحس بأن شيئا خفيا يشده الى ماضيه ويعمل على منعه من الهرب الى أمريكا ••

وهو يخشى هذا الاحساس ويدعو الله أن يعينه على الخلاص منه ، لكى يتمكن من تعويض مافاته فى الحياة ، والعيش فى هناء مع حبيبتـــه فى أمريكا ••

غير أن هذا الاحساس يظل يزداد قوة يوما بعد يوم ، حتى يصبح الشاب عاجزا عن مقاومته ، وان كان يعجز أيضا عن تفسيره ••

وفى يوم رحيل باخرته بالذات ، وبعد أن يكون قد استقل الباخرة فعلا •• يجد نفسه مضطرا الى الاستسلام للقـــوة الخفية التى تحـاول منعه من الفرار ، فيجرى هاربا من الباخرة فى اللحظة الأخـــيرة قبل

اقلاعها ، ويتوجه مباشرة الى القنصلية البريطانية لاتمام اجراءات السفر الى بريطانيا والانضمام الى قواتها المحاربة ••

وقد يبدو هذا التحول غريبا وغير قابل للتصديق ، وخصوصا بعد أن يكون الشاب قد اقتنع الى حد كبير بأن التضحية والفداء والمثالية هى كلمات جوفاء ، وبأنه لا معنى بالمرة لأن يخاطر بحياته طائعا مختارا فى سبيل أمور لا يؤمن بها فى قوة فى قرارة نفسه ••

ولكن الطريقة الفذة التى يتابع بها المؤلف تطور تفكير الشاب ، وتطور أحواله النفسية ، تجعل تصرفه الأخير منطقيا ومعقولا تماما •• وتقنع القارىء بأن الشاب لم يكن يسعه أن يفعل غير ما فعله ! ••

مائدة في محل "سيروز"

للكاتب الامريكي : بض شولبرج

في الساعة السادسة بعد الظهر ، يبدو محل « سيروز » ـ أشـــهر النوادي الليلية في هوليوود ـ مثل السيدة الجالسة امام مائدة زينتها ، والتي بدأت لتوها في الاستعداد للسهرة ••

فخدمه يأخذون في تلك الساعة في اعداد الموائد ، وبائعات السجائر يشرعن في استبدال ثيابهن العادية بملابس العمل المغريه ، والمغنيــــه الناشئة روزماري كلوني تبدأ تدريبها على غناء المقطوعات التي تقدمها في المساء ••

وفي مثل هذه الساعة ، دق جرس التليفون ذات يوم في محـــل « سيروز » وتلقت عاملة التليفون التي تتوهم أنها تشبه أفا جردنر ، طلبا لحجز مائدة لستة أشخاص ، باسم مستر ناتان •• على أن تكون المائدة التي تحجز له في العادة ••

ولم تكن عاملة التليفون قد جاءت الى هـــوليوود لتعمل في تلقي طلبات حجز الموائد •• فقد كانت تطمع ـ مثل كل من يهاجرون الى مدينة السينما ـ في أن تعمل في الأفلام ، وتحلم بأن تصبح نجمة ســينمائية مشهورة •• ولذلك كانت تكره عملها في ملهى « سيروز » الذي لم تلتحق به الا مضطرة ••

ولكنها في هذا اليوم أحست بأن المكالمة التي تلقتها ، قد قربتهــا قليلا من حلمها الكبير ••

فقد كان من بين ما تحلم به ، أن يلمحها ذات مساء أحد عمالقـــة السينما الذين يترددون أحيانا على محل « سيروز » فيبهره جمالها ويجدفيها

ضالته المنشودة .. وعندئذ يتقدم منها ليعرض عليها دورا هاما فى فيلمه القادم ، وبين يوم وليلة تتحول من عاملة تليفون مغمورة الى نجمه لامعة مشهورة ! ..

وما دام المنتج العظيم مستر ناتان قد قرر أن يمضى سهرته الليلة فى محل « سيروز » .. فلماذا لا تكون الليلة هى الفرصة الذهبية التى يبتسم لها الحظ فيها بعد طول عبوس ؟! ..

وانتزعت عاملة التليفون نفسها وهى مكرهة من حلمها الجميل ، لتبعث برسالة الى أندريه كبير الخدم فى الملهى ، تنبئه فيها بطلب الحجز

اما اندريه فقد كان من الممكن ان يكون كبير خدم مثاليا ، فقد كان يتمتع بجميع الصفات الدبلوماسية التى يتطلبها النجاح فى مهنته ، كما كان يؤدى عمله فى اتقان .. ولكن عيبه كان فى أنه اقام فى هوليوود مدة اطول مما ينبغى ! .. ومعنى ذلك انه لم يعد يرضى بان يكون كبير خدم ممتازا ، وانما أصبح يحلم بالعمل فى الأفلام ! ..

وكان طموح أندريه يتجه الى أن يصبح كاتبا سينمائيا .. وكان قد كتب بالفعل خلال السنوات الثلاث الماضية « سيناريو » بعنوان « اعترافات ساق فى هوليوود » كان واثقا من أنه لابد أن يحقق نجاحا ساحقا ، لو أتيح له أن يجد المنتج الذى يتولى اخراجه فى فيلم ..

وعندما تلقى أندريه طلب حجز المائدة لمستر ناتان ، رأى هو أيضا ـ مثل عاملة التليفون ـ احتمالا بالاقتراب من تحقيق حلمه فى هذا الطلب .. فأخذ يتصرف على هذا الاساس ! ..

قام الى الصالة ، واختار لمستر ناتان مائدة لا فى الصف الأول الذى يحيط بحلبة الرقص ، وانما فى الصف الثانى الذى يجىء وراءه ..

ولاحظ الساقى الذى يخدم موائد الصف الأول الذى يجلس فيه مستر ناتان فى العادة ، هذا الاختيار الغريب ، فاحتج لدى أندريه عليه .. ليس بدافع من أى شعور خاص بالمحبة أو الاحترام نحو مستر ناتان ، ولكن

لأن عملاق السينما كان مشهورا بين خدم الأماكن العامة بضـــــخامة « البقشيش الذى يدفعه ، أكثر مما كان مشهورا بأعماله السينمائية ! ..

غير أن أندريه لم يعبأ باحتجاجه ، وقال ان مستر ناتان يجب أن يقنع بالمائدة التى حجزها له فى الصف الثانى ، لأن جميع موائد الصف الأول محجوزه ! ..

وابتسم اندريه بينه وبين نفسه اعجابابمهارة الخطة التى أعدها .. فقد كان قرر منذ مدة طويلة أن أفضل من يتولى انتاج « السيناريو » الذى كتبه ، هو مستر ناتان ..

وكان اختياره لناتال طبيعيا ، فقد كان ناتان يعرفه منذ كان ســــاقيا عاديا فى مطعم « هنرى » منذ أيام السينما الصامتة ..

ولكنه كان يدرك أن معرفة ناتان الطويلة له ، لا يمكنها وحدها أن تحمل ناتان على الاهتمام بكتاباته ..

ولذلك قرر أن يخطو فى هذا المساء خطوة عملية فى طـريق اثارة اهتمام ناتان بالسيناريو الذى ألفه ..

ولقد كان يعرف أن ناتان يحب أن يجلس الىمائدةأمامية كلما جاء الى محل « سيروز » .. ولذلك تعمد أن يختار له فى هذا المساء مائدة فى الصف الثانى ..

وبنى خطته على أساس أن ما سوف يحدث بعد ذلك ، سوف يسير على النحو التالى :

سوف يغضب مستر ناتان ، ويحتج ويهدد ، ولكنه ـ أى أندريه ـ سوف يواجه ثورته بابتسامته التقليدية المؤدبة ، ويتمتم ببعض عبــــارات الاعتذار ، ويؤكد له أنه ما كان ليتردد فى تنفيذ رغباته لو كان يستطيـع أن يفعل شيئا ..

ويضطر مستر ناتان الى الجلوس مرغما الى المائدة التى اختارها له أندريه ..

ولكن فى اللحظة المناسبة ـ أى قبل أن تبدأ الاستعراضات التى يشرع الملهى فى تقديمها عند منتصف الليل مباشرة .. يكتشف أندريه فجأة ، أن فى امكانه أن يفعل شيئا من أجل ارضاء مستر ناتان .. فيطلب اليه فى أدب أن ينتقل الى مائدة فى الصف الاول ، يكون هو قد حجزها له سرا منذ البداية !

وعندئذ يهدأ غضب مستر ناتان ، ويخرج من حافظة نقوده ورقة مالية كبيرة ، ليكافىء بها أندريه على حرصه على خدمته ..

ولكن أندريه سوف يرفض قبول الورقة المالية ، وسوف يتظاهر بالدهشة والأسى ، كما لو كان مستر ناتان قد جرح كرامته اذ تصور أنه تحمس لخدمته لمجرد الطمع فى مكافأته ..

وسوف يرد عليه قائلا فى صوت متهدج قليلا ، ان أندريه يسعده أن تتاح له فرصة خدمة أصدقائه القدامى ، بلا مقابل ..

فيصر ناتان على أن يعطيه الورقة المالية .. وأمام الحاحه ، يخفض أندريه عينيه فى خجل ، ويقول له فى صوت منخفض :

ـ اذا كان مستر ناتان مصرا على مكافأة أندريه حقا ، فليتفضل اذن بقراءة « السيناريو » الذى كتبه ..

وراح أندريه يتفقد استعدادات المحل الأخيرة للسهرة .. وتفكيره كله محصور فى هذا المشهد الذى رتبه فى ذهنه !

وعندما حان أخيرا موعد حضور مستر ناتان وجماعته ، كان محل « سيروز » قد امتلأ بالزبائن ، واختلطت فيه أنغام الموسيقى بأصوات ضحكات رواد المحل وأحاديثهم ..

وتلفتت الأنظار الى عملاق السينما عند دخوله ، فمن عادة مشاهير هوليوود أن يبحلقوا فى بعضهم مثلما يبحلق فيهم أفراد الجمهور الذى تبهره شهرتهم .. على حين سار مستر ناتان بشعره الأبيض وقامته الضامرة فى خطوات واثقة وراء أندريه نحو مائدته ..

وفي أثناء مرور ناتان بين الموائد ، كان الجالسون اليها من ممثلين وممثلات ومخرجين ومصورين وغيرهم من العاملين فى السينما ، يحرصون على تحيته وعلى التقاء نظراتهم بنظراته ..

وكان هو يرد على تحية كل منهم بايماءة خفيفة أو كلمة أو ابتسامة ، يحرص فيها على الاحتفاظ بتوازن دقيق بين الكبرياء والمودة ..

وكانت تسير الى جانبه زوجته ليتا ، وهى شابة سمراء طويلة طاغية الحسن ، كانت ممثلة ناشئة منذ سنوات قليلة ، يتوقع لها كثيرون النجاح والشهرة .. ولكنها ضحت بفنها ومجدها من أجل الحب ، أو هذا على الأقل هو ما ذكرته مجلات السينما !

أما سكان هوليوود طوالو اللسان ، فقد قالوا يومها انها لم تفعل أكثر من انها استبدلت عملها السينمائي بعمل آخر ، أكثر ربحا وأمنا واستقرارا !

وكان مع ناتان وزوجته رجل وسيدة فى أواسط العمر ، لم يتمكن أحد من رواد « سيروز » من التعرف عليهما .. وشابة مجهولة فى السابعة عشرة من عمرها ذات جمال مثير .. والممثل الناشىء الوسيم بروس سبنسر الذي كان ناتان يعده لمنافسة كبار الممثلين الذين يؤدون دورالفتى الأول .

وقاد أندريه مستر ناتان ورفاقه الى المائدة المتواضعة التى اختارها لهم ، فتضايق مستر ناتان وقال له ان هذه المائدة ليست هى التى طلب حجزها ..

ولم تخفف اعتذارات أندريه المهذبة من غضب مستر ناتان ، فقد كانت أعصابه متوترة طوال ذلك اليوم ، وكان آخر ما يريده هو أن يلاقي مضايقات جديدة في سهرته ..

كان قد اصطدم بمضايقات كثيرة فى أثناء عمله فى النهار ، وكان يطمع فى أن يريح أعصابه فى المساء بقضاء سهرة خاصة وحده ، مع مخلوقة فيها صبا وحيوية وجدة مثل جينى روبنز هذه .. ولكن بدلا من أن تسير الأمور وفقا لما كان يتمناه ، ها هو يجد نفسه مع زوجته ومع صديقها الشاب ، ومع كارتر وزوجته اللذين يتهرب منهما منذ أشهر عدة ..

وعلاوة على هذا كله ، فقد كانت هناك مسـألة نيويورك تلك ، التى تشغله وتقلقه ..

وفى ضيق وتبرم ، طلب مستر ناتان زجاجة شمبانيا « كوردون روج» معبئة عام ١٩٣٥ .. ثم سرحت أفكاره مع أحداث ذلك العام ..

فى عام ١٩٣٥ كان قد أوشك على أن يفقد وظيفته ..

ان جميع هؤلاء الناس الذين يطمعون فى التقاط فتات موائده ، لايمكن أن يتصوروا أنه هو نفسه كان مهددا فى يوم من الأيام بضياع عمله ..

ولكنه يذكر جيدا أية أزمة طاحنة مرت به فى ذلك العام ، عندما ساد الذعر مدينة السينما واستولت البنوك على معظم استديوهاتها ، وأخذت شركات السينما الكبيرة تشهر افلاسها الواحدة تلو الأخرى ..

وتساءل بينه وبين نفسه ترى أين كان يكون اليوم ، لو أن الأزمة كانت طحنته عندئذ مثلما طحنت غيره ..

وتذكر أصحاب الأسماء التى كان لها تأثير السحر فى تلك الأيام فى مدينة السينما ، والذين أصبحوا نسيا منسيا ، ولو دخلوا الآن محل « سيروز » لما عرفهم أحد أو اكترث بالالتفات اليهم ..

وتصور كم كان يكون الأمر رهيبا ، بالنسبة له ، لو أنه دخل « سيروز » ولم يعبأ أحد بتحيته أو بالنظر اليه .. فعلى الرغم من أنه كان يتظاهر بالتذمر من الاستقبالات الحافلة التى يقابل بها فى كل مكان ، الا أنه كان يعلم فى قرارة نفسه أنه لابد أن يشعر بالضياع من غيرها ! ..

ولكن ناتان تذكر عندئذ أنه لا ينبغى أن يشغل نفسه بالأفكار المقلقة .. فطبيبه النفسانى قد أوصاه بألا يقلق نفسه ..

فنظر الى جينى وراح يتأمل فى نشوة ملامحها الفتية الجميلة ..

ثم رفع كأسه نحوها وهو يتساءل ترى ما الذى تفكر فيه ، وترى هل تقبل أن تحقق له رغباته ؟

ثم نقل نظراته الى كارتر وزوجته ، وهاله مدى التقـــدم في العمر الذى بدا عليهما ..

انه يتذكرهما وهما يبدوان فى عنفوان الشباب منذ ســـنوات قليلة فقط ، عندما كانا ينتميان الى طبقة الناجحين في هوليوود ..

ولكن سنوات الفشل ـ على قلتها ـ قد أحدثت أثرها فيهما ..

وسأل ناتان نفسه : ترى متى يفاتحنى كارتر في موضوع العمل الذى يريدنى أن ألحقه به ؟ .. وما الذى فى امكانى أن أفعله من أجل الفتـاة اللذيذة الصغيرة ؟ ..

وعلى الرغم من أنه كان يجهل الدور الذى يؤديه فى أحلام عاملة التليفون التى تشبه آفا جاردنر ، وفى أطماع ومشروعات أندريه كبـير الخدم ، الا أنه كان يحس أن « سيروز » أشبه بمجموعة شمسية يقـوم هو فيها مقام الشمس ، وتدور حوله فيها جميع الكواكب المحيطة به !

ونادى ناتان أندريه كبير الخدم ، وطلب منه أن ينبه عاملة التليفـون الى أنه ينتظر مكالمة خارجية هامة ..

ثم أخذ يجيل نظره فى الراقصين ، فرأى زوجته ليتا تدور فى رشاقة بين ذراعى بروس ، ولم يستطع أن ينكر بينه وبين نفســـه أن منظرهمـا وهما يرقصان معا كان منظرا بديعا .. ثم نقل نظره الى جينى وهو يتذكر فى شيء من السأم عشرات الفتيات الصغيرات من مثيلاتها اللواتى نظر اليهن النظرة نفسها من قبل .. وسألها وهو يبتسم فى رفق اذا كانت تحب أن ترقص معه ..

وكان ناتان يبدو رجلا عجوزا فى عينى جينى ، وكان بالاضـــافة الى ذلك ، رجلا عجوزا لا تكاد تعـــرفه .. وكانت تتخيل أن جميع من فى المكان لابد يقولون فيما بينهم وهم يرونهـــا معه : ها هو ناتان قد اصطاد واحدة جديدة ..

ولكنها كانت تحاول أن تبتسم ، وأن تبدو وكأنها فى قمة السعادة .. وكانت تقول لنفسها ان هذا هو دور يجب أن تتقن تمثيله اذا كانت تريد أن

تصبح ممثلة ناجحة ، والا فأية قيمةلها كممثلة ، اذا لم تستطع أن تتظاهر بأنها في منتهى النشوة وهي تراقص هذا الشيخ الفاني ؟ ..

أما قيمتها الحقيقية كممثلة ، فقد كان في وسع ناتان أن ينبئها بهـا لو أراد أن يكون صريحا معها .. فقد كان سبق له أن أبدى رأيه الصريح في تمثيلهـا بعد ظهر اليوم نفسه عندما شـاهد اللقطات التجريبية التي أخذت لها ..

لقد قال لمساعديه عندئذ ان جسمها مغر ووجها متين ، ولكن أطفـال المدارس الابتدائية يجيدون التمثيل أكثر منها !

وكان هذا هو ما ينبغي أن يقوله لهـا الآن .. ولكنه كان في حاجة دائمة لأن يكون محاطا بممثلاتها ، ولذلك فلم يكن يقول لهن رأيهالصريح فيهن قط ، وانما كان يعمل دائما على ابقاء آمالهن حيـة وأحلامهن متيقظة

وبعد أن انتهت الرقصة ، سأل ناتان جيني : هل أنت مسرورة ؟ ..

فردت عليه قائلة وهي تبتسم وعيناها تلمعان ، بأنها في قمة السرور

ولكنها كانت تحس في قرارة نفسها بأنهـا تجتاز مرة ثانية التجربة القاسية التي مرت بها في أثناء اختبارها أمام الكاميرا ..

وقال لها مستر ناتان وهو يبتسم مشجعا ، ان أقل ما ينبغي أن تفعله بعد أن رقصت معه وارتفعت الكلفة بينهما ، هو أن تكف عن مخاطبته باسم مستر ناتان ، وأن تناديه باسمه الأول ..

فقهقهت جيني ضاحكة كما لو كانت سمعت نكتة رائعة ، وحشـدت كل طموحها وراء ضحكها ليبدو وكأنه طبيعي وصادر من قلبها ..

ولكن قلبها في الحقيقة لم يكن معها ، وانما مع شاب صـغير يدعى بيل ماسون ، يعمل مساعد مصور في استديو مستر ناتان ، وكان خطيبهـا حتى بعد ظهر اليوم ..

وأخذت جيني تفكر كيف أنها كانت قد اتفقت مع بيل على قضـاء

هذه السهرة معه في مدينة الملاهي ، كعادتهما مساء كل سبت •• الى أن اتصل بها مستر ناتان تليفونيا بنفسه ، ليدعوها الى قضاء السهرة معه في « سيروز » ، لأن هناك موضوعا يريد أن يحدثها فيه ••

عندئذ لم تتردد لحظة في قبول دعوته ، برغم ارتباطها بموعد سابق مع خطيبها •• وشعرت بأن أبواب الجنة قد تفتحت لها •• فعلى الرغم من أنها لم تكن قد دخلت محل « سيروز » قط ، الا أنها كانت تتصوره في خيالها وكأنه فردوس ، آلهته منتجو السينما ، وملائكته مساعدوهم من مديرى الأعمال والمخرجين !

وبعد مرور بعض الوقت على حديثها التليفونى مع ناتان ، جاءها بيل ماسون وهو يعتذر عن تأخيره قليلا عن موعدهما •• فقالت له وهى تراقب تأثير كلامها عليه في وجهه : انها متأسفة ، ولكنها مضطرة الى الاعتذار عن قضاء السهرة معه ، لأنها يجب أن تقابل مستر ناتان ••

واستطردت قائلة انها ما كانت لتسمح لشىء بأن يلغى موعدها معه ، لولا أن مستقبلها كله قد يتوقف على اجتماعها برجل السينما العظيم ••

فرد عليها بيل قائلا انها ربما كانت تخدع نفسها ، ولكنها لا تستطيع أن تخدعه هو •• فقد حضر التجربة التى أجراها لها فى الاستديو ، ويرى من واجبه أن ينبئها بالحقيقة ، وهى أنها لم تنجح فيها بالمرة ••

فأجابته جينى قائلة فى غيظ : أظنك تفهم فى أمور السينما أكثر من مستر ناتان ، أليس كذلك ؟! •• ثم استطردت قائلة وهى تشعر بحقد عنيف على بيل وعلى مدينة الملاهى وعلى الدنيا بأسرها : ان مستر ناتان قال لى بنفسه أنه يريد أن يحتفظ بالمشاهد التى أخذت لى ، ليعيد النظر فيها فيما بعد ••

فسأل بيل فى سخرية مريرة : هل أنت واثقة من أن المشاهد هى التى يريد الاحتفاظ بها ، وليس شيئا آخر غيرها ؟! ••

وها هى الآن تحتسى الشمبانيا فى « سيروز » وتضحك لما يقوله مستر

ناتان •• ولكنها لا تستطيع أن تنسى ما فعلته ببيل ، ولا كيف صفعته على وجهه ردا على الكلمات المهينة التي وجهها اليها ، وردت اليه خاتم الخطبة وقالت له : انها لن تراه بعد اليوم ••

وبعد خروج بيل من غرفتها ظلت تبكي مدة ربع ساعة ، لانها كانت تحبه وتعرف أنها سوف تفتقده كثيرا •• ولكنها كفت عن البكاء بعد ذلك وأخذت تصلح زينتها استعدادا لمقابلة مستر ناتان •• فقد كانت جيني من مدمنات قراءة المجلات السينمائية ، وقراءتها المستمرة لهذه المجلات ، جعلتها تتصور أن التضحية بالسعادة الشخصية هي الثمن الذي لابد أن تدفعه كل ممثلة عظيمة ، في سبيل الشهرة والمجد !

أما ناتان ، فكان قد قال لزوجته عندما جاءت اليه في غرفته بعدالظهر لتسأله عن مشروعاته لذلك المساء :

ـ هنالك ممثلة جديدة صغيرة ، أود أن ألفت الأنظار اليها ، ولذلك فسوف آخذها الى « سيروز » الليلة •• وعلى هذا فنحن في حاجة الى رجل آخر لنستطيع الخروج ••

فردت عليه ليتا قائلة : قد نستطيع اصطحاب بروس معنا ، فقد سمعته يقول في النادي بعد الظهر انه غير مرتبط بشيء لهذا المساء ••

وكان ناتان يعلم أن بروس تحت تصرفهم ، فقد كان يعرف جيدا أن علاقة زوجته ببروس هي حديث هوليوود في تلك الأيام ••

وكان يفكر أحيانا في وضع حد لهذا الحديث ، ولكنه كان يدرك أن معنى ذلك هو قتل عصفورين بفضيحة صاخبة •• وهو لم يكن يريد ذلك لأن العصفورين كانا من ممتلكاته •• فأحدهما هو زوجته ، والآخر هو الممثل الذي يعده لمنافسة كبار النجوم ••

ولهذا رد على زوجته قائلا : سأتصل ببروس اذن •• وربما كان مما يفيد الفتاة من ناحية الدعاية ، أن يراها الناس في صحبة بروس ••

فقبلته زوجته قبلة خفيفة في خده ، وهي تقول لنفسها ان بروس

يتحرق لهفة على تمثيل دور البطولة فى فيلم ناتان الجديد •• وربما كانت الليلة هى الفرصة المناسبة لمحاولة اقناع ناتان باسناد هذا الدور اليه ••

وفكر ناتان فى أن خروج الأربعة وحدهم معا ، ربما أشار بوضوح فاضح الى حقيقة العلاقات التى تجمعهم •• ولذلك سعى الى المحافظة على المظاهر عن طريق ضم زوج آخر اليهم ••

ولكن بما أن الوقت كان متأخرا فانه لم يستطيع أن يدعو أحدا ممن كان يهمه أن يظهر معهم •• واضطر فى النهاية الى أن يتصل بكارتر وزوجته برغم أنه كان يتهرب منهما منذ أشهر ••

وكان كارتر فى وقت ما من مشاهير المخرجين فى هوليوود ، وكان شريكا لناتان فى كثير من الأعمال ••

ولكن ظهور الأفلام الناطقة جعله يتخلف تدريجيا ، الى أن أصبح لا يكاد يجد أى عمل يقوم به ••

وكان آخر فيلم أخرجه ، من أفلام رعاة البقر الرخيصة ، وكان ذلك منذ أكثر من عام •••

والعام الواحد من البطالة فى هوليوود ، يوازى على الأقل عشرة أعوام مماثلة فى أى مكان آخر !

وكان ناتان قد نسيه تماما خلال الأعوام التى ارتفع هو خلالها ، وانخفض كارتر •• الى أن تلقى منه رسالة منذ بضعة أشهر ، يحدثه فيها عن ذكرياتهما القديمة ، ويقترح أن يتناولا العشاء معا فى فرصة قريبة ليصلا ما بينهما من ود قديم ••

غير أن ناتان لم يرد على تلك الرسالة •• فقد كان يعرف ظروف كارتر ويعرف أنه مدين له بمد يد المساعدة اليه •• ولم يكن لديه أية رغبة فى وفاء ما عليه من دين نحو صديقه وشريكه القديم ••

ولكنه مع ذلك ظل يذكر رسالة كارتر تلك ، وواجبه فى أن يجتمع به

•• وأخيرا دعاه وزوجته الى قضاء السهرة معه ، عندما عجز عن العثــور على زوجين آخرين ••

وفى أثناء السهرة وبينما كان كارتر يراقص زوجته ، سألته اذا كان يعتقد ان دعوة ناتان لهما تعنى انه يفكر فى اسناد عمل ما اليه •• فأجابهــا بأنه لا يدرى ، ولكنه ينوى من ناحيته أن يفاتح ناتان فى الموضوع بمجرد أن تحين الفرصة المناسبة ••

وكانت ليتا قد قامت لترقص من جـــديد مع بروس ، وظلت جينى جالسة وحدها مع ناتان •• وكانت هذه هى اللحظة التى ترقبها منذ أول السهرة •• فســألته بمجرد أن أصـــبحا وحدهما عن رأيه فى الاختبار السينمائى الذى أجرى لها ••

فرد عليها ناتان قائلا فى دبلوماسية ، ان المشاهد التى أخذت لهــا قد ظلمتها ، لأن المصور لم يحسن توزيع الاضاءة فيها •• وأضاف أنه يعتقد بأن احتمالات نجاحها فى السينما كبيرة ••

فابتسمت جينى فى غبطة ، وأسكرتها كلماته أكثر من الشمبانيا التى كانت تحتسيها •• فمد ناتان يده اليها ، وأخذ يربت بها على يدها فى حركة كان يمكن أن تفسر على انها من قبيل العطف الأبوى ، لولا أنها طالت قليلا •• ولم تتوقف الا عند انتهاء الرقصة وعودة الراقصين الى المائدة ••

ونظر كارتر الى ساعته فى ضيق •• ان الوقت يمر بسرعة ، وها هى الساعة تقترب من منتصف الليل ، موعد ابتداء تقديم الاستعراضات •• واذا لم يتمكن من محادثة ناتان بشأن العمل قبل هذا الموعد ، فلن تتــاح له فرصة أخرى هذا المساء ••

فبمجرد بدء الاستعراضات سوف تنقطع الأحاديث ، وعند انتهــاء الاستعراضات سوف تكون السهرة قد انتهت ••

ولكن برغم لهفته على مفاتحة ناتان فى موضوع عمله ، فهو يجد نفسه عاجزا عن استجماع الجرأة الكافية لاثارة الموضوع ، ولاسيما أنه لا يجد من

ناتان أية بادرة تشجعه على ذلك •• فيستمر فى قلقه ينتظر اللحظةالتى قد تبدو مناسبة ••

وكانت ليتا أيضا تراقب زوجها فى لهفة ، وتسأل نفسها ترى متى يكون من المناسب أن تفاتح زوجها فى أمر الدور الذى يطمع فيه بروس فى فيلمه الجديد ••

وكان بروس أكثر لهفة واضطرابا منها ••

أما أندريه فكان يباشر عمله فى هدوء ظاهر •• ولكنه كان يعد الدقائق بينه وبين نفسه فى انتظار اللحظة التى يحدث فيها ناتان عن « السيناريو » الذى ألفه ••

***

ونادى ناتان كبير الخدم مرة أخرى ، وسأله فى قلق مكتوم اذا كان متيقنا من أنه لم يتلق أية مكالمة تليفونية ••

فأكد له أندريه أن ذلك لم يحدث ، وطمأنه الى أنه سيبلغه على الفور بمجرد أن تجىء المكالمة ••

فازداد عبوس ناتان ، وأمره بأن يسأل عاملة التليفون مرة أخرى ، لأن المكالمة التى ينتظرها قد تأخرت كثيرا عن الموعد الذى كان يتوقعها فيه •

ثم أحس ناتان بالغضب على نفسه ، لأنه لم يستطع تمالك أعصابه ، وأبدى علنا كل هذه اللهفة •• وراح يؤكد لنفسه أن ليس هنالك ما يدعو الى الاضطراب والقلق ، وأن المكالمة التى ينتظرها ما هى الا مكالمة أخرى مع نيويورك ، أجرى مثلها آلاف المرات فى حياته ••• ولم تكن محادثاته السابقة مع نيويورك تتناول موضوعات أقل أهمية من موضوع مكالمة الليلة ••

ولكن عندما جاءه أندريه جاريا ليبلغه بأن نيويورك قد طلبته ، تقلصت عضلات معدته خوفا ، واصطدم بالمائدة صدمة عنيفة وهو ينهض ، لشدة اضطرابه ••

واشارت عاملة التليفون الى الكشك الذى تنتظره فيه مكالمته ، وعلى شفتيها الابتسامة التى قضت السهرة كلها تتمرن على رسمها على وجهها ..

ولكن ناتان لم يلق نظرة واحدة عليها ، واندفع مسرعا الى الكشك وأغلق بابه بعنف وراءه ..

فقالت الفتاة لنفسها انها يجب ان تفكر بسرعة فى كلمات مثيرة للاهتمام تقولها له عند خروجه .. والا ضاعت عليها فرصتها الذهبية ، فستكون كارثة لو جاء ناتان وخرج دون أن يلتفت اليها ..

وبعد خمس دقائق ، رات باب الكشك الذى كان يتحدث منه ينفتح ، فوضعت على شفتيها من جديد ابتسامتها المصطنعة .. وسألته وهى ترجو ان يكون سؤالها بداية حديث طويل معه :

ـ هل كان الصوت واضحا يا مستر ناتان ؟ ..

فاجابها فى اقتضاب : نعم ، وشكرا .. ووضع امامها دولارا ومضى دون أن يرفع عينيه اليها ..

وعاد ناتان الى مائدته وهو يجر رجليه جرا ، فقد أحس بأن كل شيء فيه قد أصبح فجأة ثقيلا جدا .. جسمه أصبح أثقل من أن تحتمله رجلاه وعيناه أصبحتا أثقل من أن تحتملهما مآقيه ..

ولم يلتفت فى طريقه الى أحد من الذين كانوا يحاولون جذب انتباهه ..

وسألته زوجته اذا كان كل شيء على ما يرام .. فأجابها بقوله : نعم .. نعم .. كل شيء على ما يرام ..

ولكن صوته بدا غريبا عليه .. ووجده أقرب الى صوت كارتر منه الى صوته العادى ..

وأحس فجأة بعطف شديد على كارتر ، وتذكر كيف كان كارتر قد أقرضه مبلغا ضخما من المال عندما كان وضعه المالى مهددا وكيف اشتركا معا فى انتاج أفلام عدة ناجحة أيام السينما الصامتة ..

وتنبه من أفكاره على صوت كارتر وهو يقول له : أنا أعرف أننـــا لم نحضر هنا لنتحدث فى الأعمال ، ولكنك كنت دائما تثق بى ••

فقاطعه ناتان قائلا : طبعا •• طبعا ••

ثم ملأ له كأسه من جديد وهو يقول : فلنشرب معا نخب أيامنـــــا الماضية ••

ولاحظ أن يده كانت ترتعش وهو يصب الشمبانيا من الزجاجة •• وفى الوقت نفسه أحس بساق دقيقة ناعمة تتلمس طريقها فى حذر تحت المائدة لتستقر الى جوار ساقه وتضغط عليها ضغطات ذات معنى ••

وكانت الساق الناعمة هى ساق جينى ••

فعلى الرغم من أن جينى لم تكن قد عرفت أى رجل من قبل غير خطيبها السابق ، وعلى الرغم من أنها كانت ترتعد رعبا من فكرة استسلامها لناتان •• الا أن رعبها من قضاء حياتها وهى مجرد زوجة مغمورة لمساعد مصور فقير •• كان أكبر ! ••

ودفعها الرعب الأكبر والطموح المجنون فى أن تصبح نجمة لامعة ، الى الاذعان لفكرة الاتصال بناتان ••

وفتح بروس علبة السجائر الذهبية التى كانت ليتا قد أهدتها اليه فى عيد ميلاده ، وأشعل سيجارة ليستجمع شجاعته •• ثم قال لناتان فى صوت حاول أن يجعله هادئا وعاديا :

ـ على فكرة •• لقدأطلعتنى ليتا علىسيناريو فيلمك القادم •• ولاشك أن دور البطولة فيه دور هائل •• ترى من هو الممثل الذى تفكر فى اسناده اليـــه ؟ ••

فأجابه ناتان فى اقتضاب : أى ممثل فى هوليوود •• غيرك أنت !••

فنزل جوابه على بروس نزول الصاعقة •• وساد المائدة صمت ثقيل قطعته أخيرا ليتا بقولها :

ـ ولكن هذا الدور يكاد يكون قد ألف خصيصا لبروس وحده ..

فنظر اليها زوجها فى سخرية قاسية ، ورد عليها قائلا فى برود :

ـ لم يوجد أصلا أى دور يصلح بروس لتمثيـــله ! .. والسبب الوحيد الذى حال دون فصله من الشركة منذ زمن بعيد كان وجودى أنا فيها ! ..

وصمت لحظة استطرد قائلا بعدها :

ـ والآن أنا نفسى لم أعد موجودا فيها ! ..

فنظرت اليه زوجته فى خوف شديد وسألته :

ـ ماذا تعنى ؟ ..

فقال لها :

أعنى أنى قد خرجت .. انتهيت .. قضى على .. لقد طلبنى سكرتير مجلس ادارة الشركة من نيويورك الآن ، ليبلغنى بأن مجلس الادارة قد اتخذ قرارا اجماعيا بمطالبتى بالاستقالة ! ..

فسألته ليتا فى ذعر :

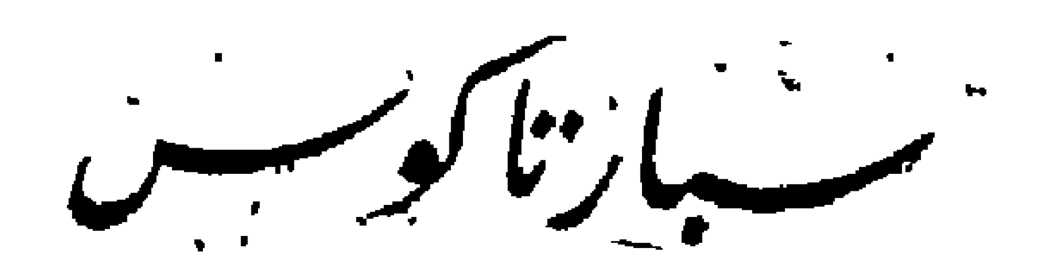
ـ وما الذى تنوى أن تفعله الآن ؟ ..

فلم يرد عليها ..

***

وعندئذ حان موعد تقديم الاستعراضات ، فظهرت المغنية النـــاشئة « روزمارى » كلونى .. وأخذت تغنى فى حرارة غير عادية ، واهتمامهـــا كله موجه الى مائدة ناتان دون غيرها .. لعل وعسى غناءها يعجبه ، فيقرر اظهارها فى أحد أفلامه ! ..

وكان أندريه يبتسم وهو يقول لنفسه : الآن جاءت اللحظة الحاسمة .. وآن أوان نقل مستر ناتان الى مائدة أمامية ! ..



للكاتب الأمريكي : هوارد فاست

في سنة ٧٤ قبل الميلاد ، قام عبيد الامبراطورية الرومانية بثورة ..

ولم تكن تلك أول مرة يثور فيها العبيد الذين كانوا ينتمون الى مختلف الامم الأوربية والاسيوية والافريقية التى استعبدها الرومان وضموها الى امبراطوريتهم .. فقد ثاروا اكثر من مرة قبل ذلك ، وفي أكثر من بلد من بلاد الامبراطورية الواسعة ..

ولكن روما كانت تنجح في كل مرة فى قمع ثوراتهم فور قيامها ، وفي سحق كل حركة تمرد وهي في مهدها .

غير أن ثورة عام ٧٤ قبل الميلاد لم تكن مثل الثورات التى سبقتها ..

فهذه الثورة استطاعت أن تصمد حوالى أربعة أعوام أمام جحافل روما ..

واستطاعت أن تبث رعبا حقيقيا في قلوب سادة الامبراطورية وقوادها وحكامها ..

وفي مراحل عدة من مراحلها ، كان يبدو أنها سوف تنجح في توجيه ضربة قاضية لقوة روما العسكرية ، وفي الحاق الهزيمة النهائية بجيوش الرومان الجرارة ..

فقد سيطر الثوار سيطرة فعلية على معظم أرجاء ايطاليا .. وكان كل شيء يشير الى انهم سوف يتمكنون من تقويض الامبراطورية الرومانية العظمى ، ومن القضاء نهائيا على الحكم الروماني الذى كان يمتد الى أكثر أرجاء العالم الذى كان معروفا في ذلك الوقت ..

وكان لتلك الثورة أحلام واسعة وآمال عظيمة ..

فعلى أنقاض الحكم الرومانى الظالم ، كانت تنوي أن تشيد نظاما جديدا مثاليا ، لا يكون فيه سادة ولا عبيد ، وانما يتساوي فيه جميع البشر وتسوده العدالة والحرية ..

ولذلك عدت تلك الثورة أول ثورة عظمى في التاريخ ، وأم الثورات التى تلتها جميعا ..

كما عد قائدها سبارتاكوس أول ثائر سعى الى تغيير نظام العالم بأسره وأول من عمل على اقامة نظام مثالى للبشرية بأجمعها ..

وقد عمد الرومان - بعد أن تمكنوا فى النهاية من سحق هذه الثورة - الى طمس جميع آثارها والى محو ذكراها من أذهان رعايا امبراطوريتهم ..

فقد كانوا يخشون حتى ذكرى هذه الثورة التى كاد العبيد فيها أن يطيحوا بأسيادهم ويدمروا دولتهم ونظامهم .

وكان كل ما كان يهمهم أن يبقى عالقا فى الأذهان ، هو ذكرى العقاب الرهيب الذى أنزلته روما بمن تمردوا عليها .. لكى تكون هذه الذكرى رادعة لكل من تسول له نفسه تحدى سلطتها فى المستقبل ..

ولذلك فقد أهملوا تسجيل أحداث السنوات الأربع التى عاشتها ثورة سبارتاكوس ..

والقليل الذى سمحوا بتسجيله ، جعلوه مزيفا مزورا لا ينقل صورة حقيقية لما وقع ، وانما يصوره مبتورا مشوها ، كما تريد وجهة نظر السلطة الرومانية له أن يبدو ..

ولكن مع ذلك ، فان روما بكل جبروتها وبطشها ، عجزت عن اقتلاع ذكرى هذه الثورة الكبرى من أذهان الشعوب التى كانت تستعبدها ..

وبرغم تزييفها للوقائع التاريخية ، وبرغم طمسها لمعظم المعلومات

المتعلقة بثورة سبارتاكوس ، فقد ظلت ذكرى هذه الثورة حية في ضمائر جميع المستضعفين ، وظلت مصدر وحي والهام للثائرين على الطغيان والظلم في جميع البلاد والأجيال ..

واذا كان كثير من تفصيلات ما دار خلال الأعوام الأربعة التى اشتعلت فيها الثورة قد ضاع نتيجة لعبث الرومان المتعمد به ، الأمر الذى جعل من الصعب جدا على المؤرخين أن يسجلوا وقائعها وأحداثها بدقة .. فان معانى هذه الثورة واهدافها واعمالها الرئيسية قد بقيت واضحة المعالم لتلهم كثيرا من الفنانين أعمالا فنية رائعة ..

***

وقد ألفت روايات عدة من ثورة سبارتاكوس هذه ، ولكن لا خلاف على أن أهمها الرواية التى ألفها الكاتب المجرى المعاصر العظيم آرثر كويستلر بعنوان « المبارزون » .. ورواية « سبارتاكوس » التى ألفها الكاتب الامريكى الكبير المعاصر هوارد فاست ..

وقد أخذ عن هذه الرواية الأخيرة موضوع فيلم أمريكى ضخم تكلف انتاجه ١٢ مليون دولار – وهو مبلغ لم تصل اليه تكاليف أى فيلم آخر – ووصفه كثير من النقاد الفنيين ، بأنه أعظم فيلم فى تاريخ السينما ..

والتاريخ لا يروى شيئا عن حياة سبارتاكوس قبل أن يقوم بثورته ، غير أنه كان ينتمى الى أحد شعوب البلقان التى استعبدها الرومان ، وأنه كان مملوكا لصاحب حلبة مبارزة فى مدينة (كابوا) الايطالية ..

ولكن هوارد فاست يصور فى روايته حياة سبارتاكوس فى المرحلة التى سبقت الثورة .. فيجعل سبارتاكوس عبدا بالوراثة ، أى من سلالة أب وجد من العبيد .. ويجعله يقاسى أبشع مصائر العبيد طوال الأعوام التى سبقت انتقاله الى ملكية صاحب حلبة المبارزة ..

فالعبيد فى تلك الأيام كانوا يقومون بجميع الأعمال الشاقة التى كانت تتطلبها الحياة فى الامبراطورية الرومانية ..

ولكن أسوأ تلك الأعمال ، كان الاشتغال فى المناجم ..

فعلاوة على أن العمل فى هذه المناجم كان مرهقا ومؤذيا للغاية ، فان الظروف التى كان يجرى فيها كانت تؤدى حتما الى وفاة من يقوم به ، بعد سنوات قليلة من ممارسته له ..

ولذلك كان تخصيص أى عبد لأعمال المناجم ، يكاد يكون بمثابة حكم بالاعدام عليه ..

وكانت أسوأ المناجم فى الامبراطورية الرومانية كلها ، هى مناجم صحراء النوبة التى كان الرومان يستخرجون منها المرمر والذهب ..

وفى رواية هوارد فاست ، ينقل سبارتاكوس الى هذه المناجم وهو فى الثالثة والعشرين من عمره ، بعد أن تبتاعه فى بلاد اليونان ، الشركة المشتغلة للمناجم ..

وهو يقضى بضعة أعوام تحت شمس صـــحراء النوبة المحرقة ، يقاسى أبأس ما يمكن أن يقاسيه انسان .. ثم فجأة يشتريه وكلاء صاحب حلبة المبارزة الايطالى ، وينقلونه الى مدينة كابوا ..

فصاحب حلبة المبارزة ، الذى يشترى العبيد لكى يقتل بعضهم بعضا أمام جماهير الرومان المتعطشة دائما الى منظر الدماء ، يعلم جيدا أن العبيد الذين يحولهم الى مبـــارزين ، ينبغى أن يكونـوا من نوع خاص من المخلوقات البشرية .. نوع ملىء بالحقد والمرارة واليأس ، ولكن متعلقـا بالحياة فى الوقت نفسه حتى اللحظة الأخيرة ..

والا فما الذى يجعله يستميت فى مبارزة زميل له ، ويحرص على قتله .. وهو يعلم أن الموت ينتظره هو أيضا فى مبارزة تالية ؟! ..

وأحسن من تنطبق عليهم هذه الصفات ، هم العبيد الذين عملوا بضعة أعوام فى المناجم ، ومع ذلك لم يموتوا ولم يتحطموا بفضل تشبثهم العنيد بالحياة برغم كل ما يقاسونه فيها ..

ولذلك فهو يكلف وكلاءه بأن يتخيروا له أصلب عبيد المناجم عودا ،

ثم يتولى هو تدريبهم على فنون المبارزة لكى يقدمهم بعد ذلك قرابين على مذبح شهوة الرومانيين الى رؤية الدماء وتناثر أشلاء القتلى ! ••

***

وفى كابوا ، يتعلم سبارتاكوس أصول المبارزة ، ويصبح من نجوم حلبة مالكه الايطالى ، الذين تتهافت الجماهير على مشاهدتهم ••

وبقاؤه على قيد الحياة ، مرهون بطبيعة الحال ، بتوفيقه فى قتل كل مبارز آخر يدخل معه الحلبة ! ••

وذات يوم •• يتمرد أحد المبارزين الزنوج على هذا الوضع غير الانسانى ، وبعد أن يدخل الحلبة مع مبارز آخر يرفض أن يشتبك معه ••

وعندما يجلده مراقب الحلبة بسوطه ليحثه على مقاتلة زميله ، يفقد صوابه ويطعن المراقب بسيفه ، ثم يهجم على المتفرجين ليشفى فيهم غليله •

ولكن قبل أن يصل الى أماكن جلوسهم ، يكون حراس الحلبة قد قذفوه برماحهم ، وأردوه قتيلا ••

ويستاء صاحب الحلبة كثيرا من هذا الحادث ، ويخشى أن تنتشر روح التمرد بين سائر المبارزين ، فينصرف المتفرجون عن حلبته ••

ولذلك فهو يأمر بتعليق جثة الزنجى القتيل فوق صليب على باب العنبر الذى يقيم فيه بقية زملائه ، لتكون بمثابة انذار صارم للجميع •• كما يأمر أيضا بصلب زنجيين آخرين من المبارزين ، لمجرد أنهما ينتميان الى جنس الزنجى الذى تمرد ••

ويثور المبارزون — وعددهم حوالى المائتين — لهذه المعاملة الوحشية •• وفى لحظة جنون يهجمون على حرسهم ومدربيهم بقيادة سبارتاكوس ، فيقتلونهم ويستولون على كل الأسلحة الموجودة فى الحلبة ••

ثم يهربون من الحلبة ، ومن المدينة كلها ، ومعهم بقية عبيد صاحب الحلبة من الرجال والنساء والاطفال ••

وتلحق حامية كابوا العسكرية بالعبيد المتمردين •• ولكن العبيد يتغلبون عليها — برغم تفوقها فى العدد والعدة — ويستولون على أسلحتها ، الأمر الذى يشجع كثيرا من عبيد كابوا والقرى والمزارع المجاورة على الانضمام اليهم ••

وفى يوم واحد ، يجد المبارزون أنفسهم على رأس جيش من العبيد قوامه عدة مئات ••

ويجدون أنهم لم ينجحوا فى استخلاص حريتهم فقط ، وانما انتصروا أيضا على كتيبة كاملة من قوات روما ، أكبر قوة عسكرية فى الوجود ••

ولكن نشوة انتصارهم لا تنسيهم حرج موقفهم ••

فهم يعلمون جيدا أن روما لن تتركهم وشأنهم ، وانما لابد أن تسير وراءهم قوات عسكرية كثيرة لتجعل منهم عبرة لسائر العبيد ••

وهم يعلمون أيضا أنهم لن يستطيعوا الاختباء من قوات روما ، أو الافلات منها ••

فمهما ابتعدوا عن روما وعن ايطاليا كلها ، فان يد روما الطويلة لابد أن تصل اليهم آخر الأمر ••

واذا فليس أمامهم الا أن يظلوا معا ، ويقاتلوا ويقاتلوا •• الى أن تبيدهم جيوش روما عن آخرهم فى النهاية •

وخير لهم على أية حال أن يموتوا وهم أحرار يحاربون مضطهديهم ، من أن يفروا لتصطادهم روما كالوحوش ، أو يستسلموا لتذبحهم روما ذبح الخراف ••

فمفروغ منه أن روما لن تسمح ببقاء واحد منهم على قيد الحياة ، بعد أن تجرءوا على تحدى سلطتها وقتلوا أسيادهم وحملوا السلاح ضد جنودها ••

والا فماذا يبقى من هيبة روما التى تحكم بها أمبراطوريتها المترامية الاطراف ؟! ..

***

غير أن سبارتاكوس يبعث فى المتمردين روحا جديدة غريبة ، ويملأ نفوسهم بالتفاؤل والثقة والأمل ، وينزع عنهم مشاعر التخاذل واليأس ..

فهو يسألهم فى ثقة تذهلهم : ولماذا يكون النصر النهائى لروما وليس لنا ؟ .. أليس عددنا ـ نحن العبيد ـ أضعاف أضعاف عدد الرومان ؟ .. لماذا لا ندعو سائر زملائنا من العبيد في كل مكان للانضمام الينا ، ونشكل منا جيشا أكبر وأقوى من كل جيوش روما ، ولماذا لا نقضى نهائيا على مبدأ تقسيم البشر الى عبيد وأسياد ؟! ..

ويبدو فى أول الأمر أن سبارتاكوس لا يبالغ فى تفاؤله .. فعشرات الألوف من العبيد ينضمون الى المتمردين خلال بضعة أيام .

وعندما يصل المتمردون الى سفح جبل فيزوف الذى يقررون أن يحتموا به مؤقتا ، يكون عدد القادرين على القتال منهم قد زاد على الخمسين ألفا ..

كل هذا وروما لا تزال تنظر بازدراء وتعال الى حركة التمرد ، وتظن أنها حركة لن يصعب عليها قمعها سريعا ، مثل سابقاتها من الثورات التى قام بها العبيد فى أكثر من مكان . .

غير أن هذه النظرة تتغير عندما ينجح العبيد فى سحق الجيش الذى تبعث به روما الى جبل فيزوف لابادتهم .. وتدرك روما أنها أمام ثورة لم تجرب مثلها من قبل ..

ويزداد قلق روما وخوفها ، عندما تجد نفسها عاجزة عن قمع ثورة العبيد أو حتى عن وقف اتساعها ، برغم الحملات المتتابعة التى ترسلها لمحاربة العبيد ..

وينتابها الهلع والذعر عندما يستولى جيش العبيد على مساحات شاسعة من الأراضى الايطالية ، ويبدو وكأنه يتأهب للزحف على روما نفسها ..

وهنا تجد نفسها مضطرة لحشد قواها كلها لمواجهة هـذا الخطر الداهم .. فتستدعى فرقها العسكرية من أسبانيا ومن فرنسا ومن أماكن أخرى من البلاد الخاضعة لها ، لتسييرها جميعا ضد جيش العبيد ..

***

ولكن ثورة سبارتاكوس تكون قد استنفدت طاقاتها فى هذه الأثناء .

وعلى الرغم من أن عشرات الآلاف من العبيد قد انضموا اليهـا ، الا أن الغالبية العظمى من عبيد الامبراطورية ظلت على ولائها لأسيادهـا ، مفضلة عيشها الذليل على خطر التمرد والثورة ..

وعلى الرغم من أن سبارتاكوس طبق نظرياته فى تحقيق المساواة بين الناس فى بعض المناطق التى احتلتها قواته خلال السنوات الأربع التى استمرت فيها الثورة ، الا أن بعض زملائه أنفسهم شوهوا سمعة نظام حكمه بما أقدموا عليه من أعمال الارهاب والسلب والنهب التى جعلت النـاس يبغضون جيش الثوار ..

وروح التضامن التى سادت جميع الثـائرين فى بداية حركتهم ، تراخت وتفككت .. وفى النهاية انقسموا فريقين ..

فلما ركزت روما قوتها كلها فى محاربة جيش سبارتاكوس آخـر الأمر ، كان قد أصبح عاجزا عن مواجهة هذه القوة بمن تبقوا معـه من الثـوار ..

فنجحت روما فى ابادة جيش العبيد ..

وقتلت قوات روما فى هذه المعركة الأخيرة أكثر من أربعين ألفا من الثوار من بينهم سبارتاكوس نفسه ..

واستولت على أكثر من ستة آلاف أسير ، علقتهم جميعا على الصلبان على طول طريق آبيـا ، وهو الطريق الرئيسى المؤدى الى روما ، لكى يراهم

الرائح والغادى ، ويتعلم من منظرهم أن روما لاترحم أعداءها ، وأنه لاتوجد قوة تستطيع تحديها على هذه الأرض ..

وبذلك قضت روما على آخر أثر مادى لثورة العبيد الكبرى .

ولكنها لم تقض على روحها التى ظلت تلهم المستضعفين القـــــوة والاقدام والأمل عبر القرون والأجيال .

الجليليون

للكاتب الأمريكي : فرانك سلوتر

لقد كان تاريخ المسيحية ـ مثل تاريخ الأديان الأخرى ـ مصدر وحى دائما لسيل متدفق من الروايات التى استمد مؤلفوها مادتها منه ..

ولكن على كثرة ما تزخر به المكتبة الغربية من روايات تدور حول تاريخ المسيحية ـ وخصوصا حول فترة بدء ظهورها ـ فان قليلة منها فقط هى التى أحرزت الذيوع الذى حققته روايات الكاتب الامريكى المعاصر فرانك سلوتر ، الذى نجح نجاحا ضخما فى تأليف هذا النوع من الروايات التاريخية ، وفى رسم صور تنبض بالحياة والواقعية للعصور التى جرت فيها أحداثها ، وللأماكن والظروف التى وقعت فيها هذه الاحداث ..

ومن أشهر رواياته ، قصة « الجليليون » التى ألفها عن مريم المجدلية .. الجسناء التى كانت من أوائل النساء اللواتى آمن بالمسيح ، والتى حماها يسوع من بطش الجماهير عندما ألبها عليها زعماء اليهود وأرادوا تحريضها على رجمها ، بتهمة أنها زانية ..

والذى تتضمنه الأناجيل عن مريم المجدلية قليل جدا ، لا يتعدى الذكر العابر ـ وكذلك ما تتضمنه كتب التاريخ ـ ولذلك فان جميع القصص التى نسجت حولها انما تقوم على الاستنتاج والخيال ، وليس على أى شىء آخر ..

ولذلك أيضا تشكلت فى أذهان الناس صور مختلفة متباينة لهذه الانسانة الغامضة ، لايمكن أن يعرف أحد مدى قربها من الحقيقة ، أو حتى اذا كانت هنالك أية علاقة بين هذه الصور وبين حقيقة مريم المجدلية على الاطلاق ..

وفرانك سلوتر يرسم صورة جديدة لمريم المجدليـــــة فى كتابه « الجليليون » تختلف فى معظم نواحيها عن الصور المألوفة لها ، وان كانت تلتزم مثل غيرها ــ بطبيعة الحال ــ المعلومات القليلة التى أوردتهــا الأناجيل عن المجدلية ..

ورواية سلوتر تبدأ فى اقليم الجليل الفلسطينى ، وهو الاقليم الذى شهد مولد دعوة المسيح ، والذى تقع فيه البلدة التى تنتسب اليها مريم ، والذي خرج منه معظم أبطال الرواية ، ولذلك أطلق عليها مؤلفهــا اسم « الجليليون » .

وفى بداية الرواية نرى مريم المجدلية تحترف الرقص والغناء فى مدن الجليل وقراها ، وهى لاتزال بعد دون العشرين من عمرها .. وتقيم مع رجل يونانى عجوز يدعى ديمتريوس ، تبناها منذ سنوات ، بعد أن أراد والدها بيعها كجارية ..

وديمتريوس هو الذى علمها الرقص والغناء ، فهو فنان قديم كان يشغل فى وقت ما منصــب مدير مسرح الاســـكندرية أعظم مسارح الامبراطورية الرومانيـــة فى تلك الأيام ولكنه اضــطر الى الفرار من الاسكندرية لأسباب سياسية ، فأقام فى الجليل وأمله الوحيد فى الحياة أن يعود من جديد الى الاسكندرية ويستعيد مكانته الفنية السابقة فيها .

وهو يطمع فى أن يحقق هذا الأمل بوساطة مريم ، فهو يعتقد أن لديها المواهب الكفيلة بجعلها ألمع نجوم مسرح الاسكندرية ، ويعدها لليوم الذي تغزو فيه المدينة العظيمة ..

ومما تكسبه مريم من الرقص والغناء فى اقليم الجليل ، يرجو الاثنان أن يتجمع لهما المال الكافى لسفرهما الى الاسكندرية مع فرقتهما الموسيقية .

وفى أحد الأيام وبينما مريم ترقص فى أحد ميادين مدينة طبرية ، رآها شابان وقع كلاهما فى غرامها منذ اللحظة الأولى التى شاهدا فيهــا حسنها الرائع وفتنتها الطاغية .

وكان أحد هذين الشابين طبيبا فقيرا شابا من أبناء بلدة مريم ،

يدعى يوسف ، ويطمع هو أيضا في السفر يوما الى الاسكندرية لمواصلة دراسته في جامعتها الكبيرة ..

وكان الآخر ضابطا رومانيا شابا يدعى جايوس ، ينتمى الى أسرة بيلاطس البنطى حاكم اقليم اليهودية المجاور لاقليم الجليل ، ويعمل قائدا لحرس قرينه الحاكم ..

ويتعرف بها الشابان عندما يغمى عليها بتأثير الاجهاد في أثناء الرقص، اذ يلتقطها جايوس قبل أن تقع على الأرض .. ثم يجرى لهـا يوسف الاسعافات اللازمة .. ويرافقها يوسف بعد ذلك في طريق عودتهـا الى بلدتها ..

ويبلغ من شدة استحواذ جمالها وذكائها وقوةشخصيتها على يوسف، أنه يقرر التخلى عن حلمه الأكبر في مواصلة تعليمه بالاسـكندرية ، لو رضيت مريم أن تتزوجه .. ويفاتحها في ذلك فعلا بعد أيام ، بعـد أن تكون علاقته بها قد توثقت ، فلا توافق ولا ترفض وانما تكرر ما سبق أن قالته له عن لهفتها العظيمة للذهاب الى الاسكندرية ، وتنبئه بأنها تحس بأنها لن تستريح ولن تهدأ الا بعد أن تحقق لنفسها المجد والثراء والشهرة، لتعوض بها ما قاسته في حياتها من حرمان ومهانة .. وأيضا لتكافىء مربيها على ما فعله من أجلها ، وهو الذى لولاه لكانت جارية تباع وتشترى ..

فيقرر يوسف أن ينتظر لعلها تغير رأيها ، وان كان لايعلق أملا كبيرا على ذلك لأنه يدرك قوة الطموح الذى يدفعها ، والذى يشعر هو بمثله ، ويعلم أن لاشىء يمكن أن يحوله عنه الا عمق العاطفة التى أحس بهـا نحو المجدلية ..

أما الضابط الرومانى الشاب فيتبع للوصول الى مريم طريقا آخر .. فهو يدعوها لاحياء حفلة ساهرة في قصره ، وفي نهاية السهرة يغتصبهـا بالقوة ..

وتتمكن مريم بعد ذلك من الفرار من القصر بمساعدة يوسف الذى يعلم بما جرى لها مصادفة ، وينقلها الى منزل بعض معارفه في قرية بعيدة،

لا يهتدى اليها فيها أعوان جايوس الذين يرسلهم للبحث عنها وإعادتها الى القصر ••

ولكنها تصاب بصدمة نفسية عنيفة بسبب التجربة القاسية التى تعرضت لها تلزمها الفراش مدة طويلة •

وفى هذه الأثناء تصدر الأوامر الى جايوس بالعودة الى روما ، فيكف عن البحث عن مريم رغم لهفته على استردادها ، ويعود وحده الى بلاده برغم أنه كان يتمنى أن يأخذها معه ••

وعندما تبرأ مريم من مرضها ، يكون أول ماتفكر فيه هو اغتيـــال جايوس انتقاما لما فعله بها •• وعندما تكتشف أنه قد رحل الى روما ، يستبد بها اليأس وتحاول أن تنتحر ، ولكن يوسف ينقذها وينقلها الى بيت أمه ، ويكرر لها عرض الزواج منها •• غير أنها ترفض فى اصرار هـذه المرة •

وذات يوم يضطر يوسف الى التغيب بضعة أيام عن البيت بحكم عمله •• وعندما يعود يتبين أن مريم قد هربت ، وأخذت معها كل المال الذى كان يدخره ليواصل به دراسته فى الاسكندرية ، لتستعين هى به فى السفر الى هناك مع مربيها ! ••

وتمر خمسة أعوام تنقطع فى أثنائها أخبار مريم تماما عن يوسف ، ويكون هو قد أحرز نجاحا كبيرا فى الحياة ، بعد أن انتقل الى القدس وأصبح من كبار الأطباء فيها ••

ولكن على الرغم من الثراء والنجاح اللذين حصل عليهما ، فهـــو لا يزال يحلم أحيانا بالسفر الى الاسكندرية وبالالتحاق بجامعتها •

وعندما يفاجأ ذات يوم بأحد التجار يحمل اليه مبلغا من المال يساوى تماما المبلغ الذى كانت مريم قد استولت عليه ، ويقول ان هذه النقود قد حولت اليه من الاسكندرية من شخص رفض ذكر اسمه •• يوقن أن مريم لاتزال تتذكره ، فيستيقظ حبه القديم لها ، ويقرر أن يسافر الى الاسكندرية فورا ••

وفى الاسكندرية يبحث عنها فى كل مكان يتصور أنه يمكن أن يجدها فيه ، ولكنه لا يصادف أحدا قد سمع باسمها ..

وأخيرا يأخذه أحد معارفه الى مسرح الاسكندرية ليشاهد بطلتـــه الاولى « فلامن » فيكتشف أن فلامن هى مريم ، وأن جمالها قد نضـــج واكتمل وأصبح شيئا لا يقاوم ، وأنها لم تصبح معبودة الجمـــاهير فى الاسكندرية فقط ، وانما ملكة المدينة غير المتوجة أيضا ، التى يتهافت العظماء وكبار الأغنياء على كسب ودها ..

ويعلم يوسف من ديمتريوس ومن أعضاء فرقة مريم الموسيقية أن اسم مريم ليس وحده الذى تغير منذ جاءت الى الاسكندرية ، وانما كل شيء فيها قد تغير أيضا ..

فهى لم تعد تلك الفتاة الطيبة المرحة التى عرفها فى الجليل ، بل أصـبحت امرأة قاسية يملأ الحقد قلبها ، ولا هم لها فى الحياة الا الانتقام من جايوس الذى اعتدى عليها ، فى شخص كل رومانى آخر يقع فى طريقها ..

فهى تستغل حسنها ومواهبها فى استمالة كبار الرومان ، وفى جعلهم يتنافسون بعنف عليها ، وتجردهم من ثرواتهم الواحد بعد الآخر ، ثم تنبذهم بلا رحمة ، دون أن تنيل أحدا منهم شيئا من نفسها ..

وعرف أن ضحاياها الذين فقدوا ثرواتهم ومناصبهم ومكانتهم بسببها يعدون بالعشرات ، وأن آخر المعجبين بها هو نبيل رومانى يشغل منصبا خطيرا وينفق عليها مبالغ طائلة ، الأمر الذى دفعه الى الاستدانة ووضعه فى مركز مالى حرج ..

ويلتقى يوسف بمريم أخيرا ، ويعرف منها أن كل ما سمعه صحيح .

ويفزعه ما يلاحظ من استئثار الحقد والرغبة فى الانتقام بكل تفكيرها فينصحها بالكف عن تعذيب نفسها وعن التعرض لغضب الرومان ، ويعرض عليها الزواج من جديد .. ولكنها تقول ان لحظة انتصـــارها النهائى التى طالما انتظرتها قد دنت ، وأن لا شيء يمكن أن يثنيها عن مواصلة انتقامهـــا حتى النهاية ..

وتوضح ما تعنيه بقولها ، انها علمت من صديقها الرومانى أن جايوس نفسه فى طريقه الى الاسكندرية ، وأنها تنتظره بفارغ الصبر لتصفى حسابها القديم معه ..

فيزداد فزع يوسف لسماع ما تقوله ، ويحذرها من مغبة ما تفكر فيه ولكنها لا تصغى اليه وتقول فى نشوة حقدها ان انتقامها من جايوس لن يكون انتقاما عاديا وانما سوف يهز الاسكندرية بأسرها ..

فيقرر يوسف أن يبقى فى الاسكندرية ، بدافع من اشفاقه على مريم ، ولعله يستطيع أن يساعدها اذا ما احتاجت اليه ..

ويصل جايوس الى الاسكندرية فعلا ، ويحضر صديق مريم الرومانى اليها فور وصوله ، فيتذكرها جايوس بمجرد رؤيتها ويلتهب غرامه القديم بها من جديد ..

فتستغل مريم عاطفته لتنفيذ انتقامها ، وتقنعه بالاشتراك معها فى تمثيل المسرحية الدينية التى تقدم فى كل عام فى الاحتفال الضخم الذى يقام بمناسبة عيد كبير الآلهة ، وتشترك فيه المدينة كلها .. وفى نيتها أن تغتاله فى أثناء التمثيل أمام الناس أجمعين ..

وتكاد مريم تنجح فى تنفيذ خطتها ، وتطعن جايوس بخنجر حقيقى فى أثناء التمثيل ، ولكنها لا تقتله .. وتتمكن من الفرار والاختباء بمساعدة يوسف ..

ولكن جايوس وصديقهـــا الرومانى يلحقان بهما .. ومقابل أن يوافقا على الافراج عن يوسف ، تتنازل لهما عن كل ثروتها ، وتوافق عــلى أن تصبح جارية لجايوس ..

ويعود يوسف الى القدس حزينا .. وبعد بضـــعة أشهر يسمع أن جايوس قد عين قائدا لقوات الرومان فى الجليل ، وأن مريم قد جاءت معه ، ولكنه لا يحاول أن يراها حتى لا يسبب لها المتاعب .

غير أن رسولا من قبلها يحضر اليه ليستدعيه الى عاصمة الجليل على

الفور ، فلا يتردد يوسف فى تلبية دعوتها •• ولدهشته يتبين انمريم قد طلبته لكى يعالج جايوس الذى وقع عن حصانه ثم حصلت له مضـــاعفات خطيرة ••

وتزداد دهشته عندما يراها فى قلق حقيقى على جايوس ، تصلى من أجله وتدعو له بالشفاء ••

ويكتشف يوسف أن مريم قدتبدلت مرةثانية ، فلم تعد الفتاةالمتحمسة الطموح المتكبرة التى عرفها فى أول الأمر ، ولا المرأة العنيفة المنتقمة التى التقى بها فى الاسكندرية ، وانما أصبحت انسانة هادئة وديعة مستقرة النفس مرتاحة البال ، ممتلئة طمأنينة وثقة ورضاء بالحياة ••

وتلاحظ هى دهشته لسلوكها ، فتنبئه بأن التغيير الذى طرأ عليهـا هو نتيجة تقبلها لتعاليم ذلك المبشر الجديد الذى ظهـــر فى الناصرة اخيرا والذى يدعى يسوع •• فمنذ سمعت بما يعظ به وهى بعد فى الاسكندرية أحست بأن النور قد دخل قلبها ، والسكينة ملأت نفسها لأول مرة فىعمرها •• وعرفت أنها قد اهتدت أخيرا الى الطريق الصحيح ••

وتضيف أنها منذ ذلك اليوم لم تعد تحس بأية كراهية نحو جايوس اذ اقتنعت بوصية المسيح بأن يحب المرء أعداءه ، كما لم تعد تحمل غيرالحب لجميع المخلوقات ••

وبعد أيام يموت جايوس ، فيجد زعماء يهود المنطقة فى موته فرصة للانتقام من مريم بعد أن أصبحت بلا مجير أو نصير ••

فقد كانوا يظنونها تعاشر باختيارها الضابط الرومانى عدو قومهـــا ويحقدون عليها لهذا السبب ولكنهم ما كانوا ليجرءوا على التعرض لهـا وهو على قيد الحياة •• أما وقد مات وأصبحت وحيدة ، وعادت لتعيش فى بيتها القديم فى بلدتها الأصلية ، فيمكنهم أن يفعلوا بها ما يشـــاء لهم الحقد !

وبالفعل أثار زعماء اليهود الدينيون أهل بلدتها عليها ، وجمعوا حشدا

كبيرا من الناس أمام بيتها ، وراحوا يرمونها بتهمة الزنا التى كانت عقوبتها عندهم الموت رجما ••

ولكن القدر كان يهيىء لها مصيرا آخر •• فبينما هى تواجه وحدها الجمهور الثائر ولعنات محرضيه ، مر ببلدتها المسيح وتلاميذه ، وتوقف ليتبين سبب التجمع الهائج الذى قابله ••

وكان زعماء اليهود يكرهون المسيح ويحاربون دعوته التى تهدد بنسف مكانتهم ، فوجدوا فى حضوره المفاجىء فرصة لاحراجه ، فطلبوا أن يحتكموا اليه فى أمر مريم ، لعلهم يورطونه فى تفسير خاطىء للشريعة الموسوية ، يتخذونه ذريعة لمهاجمته وتوجيه تهمة الكفر اليه ••

وقالوا له : « أيها المعلم •• ان هذه المرأة قد ارتكبت جريمة الزنا ، وأمرنا موسى بأن نرجم أمثالها •• فما هو رأيك فى الموضوع ؟ »

فأطرق يسوع لحظة ثم أجابهم قائلا : « من كان منكم بلا خطيئة ، فليرجمها بأول حجر » !

فلم يجرؤ أحد على مواصلة مهاجمة مريم بعد ما قاله المسيح •• وانفض الناس من حول بيتها ••

ولكنها لم تعد الى داخل البيت ثانية ، وظلت تتبع المسيح وتلاميذه حيثما ذهبوا ، وأقصى ما تبتغيه أن تستمع الى مواعظ يسوع وأن تكون فى خدمته وخدمة دعوته •• الى أن غادر هذه الأرض •

عندما تحتم على التقبيل أن يتوقف

للكاتب الانجليزى : كونستنتين فيتزجيبون

منذ زمن طويل جدا ، لم تختلف الآراء حول أية رواية ، مثلما اختلفت حول رواية « عندما تحتم على التقبيل أن يتوقف » !

وعلى الرغم من أنه لم يمض غير عام واحد على صدور الطبعة الأولى منها ، فقد وجه اليها من الاطراء ومن النقد ما يكفى لملء عشرات المجلدات الضخمة ، وأثارت من التعليقات والمناقشات والمعارك القلمية ما لم تثر مثله روايات كثيرة فى تاريخ الأدب العالمى كله !

ونتيجة لهذا ، أصبح لمؤلفها كونستنتين فيتزجيبون شهرة عالمية مدويه بين يوم وليلة .. مع أنه لم يكن يحتل غير مكانة متواضعة بين كتاب بريطانيا المعاصرين قبل تأليفها !

وسارع الناشرون الى اعادة طبع كتبه السابقة ، التى لم تكن قد لاقت من قبل غير قدر محدود جدا من الرواج !

وقد أخذ فيتزجيبون عنوان روايته من قصيدة للشاعر الانجليزى روبرت براونج ، يصف فيها الايام الاخيرة لجمهورية البندقية .. ويتساءل فيها ـ بعد أن يتحدث عن الانحلال الشامل الذى أصاب أهل البندقية ـ ما الذى تبقى لهم لكى يواجهوا به الكارثة ، عندما دهمهم الخطر ، وتحتم على التقبيل أن يتوقف ؟!

***

واختار فيتزجيبون هذا العنوان بالذات لروايته ، لأنها ـ مثل القصيدة ـ تصور نهاية دولة عجل بنهايتها ما أصاب أبناءها من انحلال ..

وهذه الدولة هى بريطانيا !

فحوادث رواية فيتزجيبون تدور في المستقبل .. بعد أعوام قليلة ربما لم تزد على العامين أو الثلاثة .. تكون بريطانيا خلالها قد بلغت الدرك الأسفل من الانحلال ، وينتهي بها مصيرها الى أن تصبح دولة شيوعية ثانوية تدور في فلك الاتحاد السوفيتي وتتلقى من موسكو التوجيه والارشاد !

وعملية انهيار بريطانيا — كما تصورها الرواية — تتم في سهولة ويسر مذهلين .. وفي سرعة تدير الرءوس !

فكل شيء قد مهد لهذه النتيجة قبل وقوعها .. ولم يعد ينقص بريطانيا — لكي تنتهي كدولة عظمى أو حتى كدولة مستقلة — غير بعض الاجراءات الصغيرة التي لا يثير تنفيذها أية ضجة ولا يتطلب أي مجهود كبير !

***

وبريطانيا التي يرسمها المؤلف في روايته — وكما يتصورها بعد أعوام قليلة — لا تختلف كثيرا عن بريطانيا الحالية .. وحتى الشخصيات العامة التي نراها في الرواية ، تكاد تكون صورا طبق الأصل من الشخصيات البريطانية المعروفة الآن ...

ويكاد الفرق الوحيد بين بريطانيا الحالية وبين بريطانيا المستقبلة ، كما تبدو في الرواية ، ينحصر في ناحيتين ..

الأولى .. هي ازدياد الانحلال الخلقي — الموجود فيها الآن على نطاق واسع — الى حد يصبح معه من الأمور المألوفة في لندن ، أن يمارس الرجال الشذوذ الجنسي علنا في الحدائق العامة ، وأن يتبادلوا العناق والقبلات الملتهبة في الشوارع وعلى مرأى من الناس .. وأن تسير بائعات الهوى في كل مكان وهن عاريات تماما الا من معاطفهن ، لكي يتسنى لهن عرض بضاعتهن على الزبائن في سهولة ، وممارسة مهنتهن فورا في مداخل العمارات وفي الحدائق وفي الشوارع الجانبية وفي أي مكان شبه مستتر عن الأنظار !

أما الناحية الثانية التي تختلف فيها بريطانيا الغد عن بريطانيا اليوم ، فهي اتساع الحركة الناهضة لاستخدام الأسلحة الذرية فيها ، وانتشار

نفوذها الى حد أنها أصبحت قوة جبارة تحظى بتأييد فريق كبير جدا من أبناء الشعب ..

ولكن هذه الحركة التى تضم صفوة قادة الرأى العام البريطانى وخيرة علماء بريطانيا وأبرز رجال الكنيسة فيها ، والتى يقف وراءها معظم أبناء الجيل الجديد ، وتقودها نخبة ممتازة من الرجال والنساء الذين يؤمنون حقا بالمثل العليا التى تقوم عليها الحركة ويتفانون فى خدمة مبادئها .. هذه الحركة يستغلها بعض الانتهازيين فى لباقة وحرص لخدمة أهداف الاتحاد السوفييتى ، وللقضاء على استقلال بريطانيا وسيادتها !

وفى أحد الأيام تعقد هذه الحركة اجتماعا شعبيا كبيرا فى ميدان « الطرف الأغر » يحضره عشرات الألوف من أنصارها ، ويخطب فيه أشخاص يكادون يكونون هم أنفسهم قادة الحركة الحاليين .

فأبرز الخطباء هو عالم جليل يشبه فى كل شيء الفيلسوف الكبير برتراند راسل الذى يتزعم فى الوقت الحاضر حركة مقاومة التسليح الذرى فى بريطانيا ..

وبقية الخطباء من الكتاب ورجال الكنيسة والصحفيين والفنانين وأعضاء مجلس العموم ، هم نسخ دقيقة من زملائه المعروفين فى هذه الحركة ..

ويتقرر فى هذا الاجتماع تسيير مظاهرة كبرى الى مبنى السفارة الامريكية فى لندن ، للاعراب عن احتجاج الشعب البريطانى على وجود قواعد الصواريخ الذرية الأمريكية فى بلاده ، وللمطالبة بازالة هذه القواعد .. فيتصدى رجال الشرطة لهذه المظاهرة ، ويعملون على تفريقها بالقوة .

ونتيجة لذلك تقع بعض الاصابات بين المتظاهرين .. فيزداد عطف الشعب على الحركة ، وكذلك استياؤه من الأمريكيين ..

وفى موسكو ، يعقد اجتماع هام فى اليوم نفسه بمناسبة وقوع هذا الحادث فى بريطانيا ، برياسة رئيس الوزراء السوفيتى الجديد كورنولوف ، – الذى يكاد يكون صورة طبق الأصل من مالنكوف – والذى يكون قد خلف خروشوف وأعاد أنظمة الحكم التى كانت متبعة أيام ستالين ..

وفى هذا الاجتماع ، يتقرر أن يواصل الاتحاد السوفيتي في الخفاء تأييده لحركة مقاومة التسليح الذرى في بريطانيا ،حتى من غيرأن يحس بهذا التأييد أعضاء الحركة أنفسهم ، وذلك بوساطة عملائه المتغلغلين فى هذه الحركة •• وأن يتبرأ منها فى العلن •• ويهاجمها أيضا ، اذا لزم الأمر ••

كما يتقرر أيضا أن يستغل الاتحاد السوفيتي نمو هذه الحركة في بريطانيا ، واصطدامها الأخير مع رجال الشرطة ، ليقدم على خطوة من شأنها دعم الحركة البريطانية من ناحية ، والدعاية للاتحاد السوفيتي فى العالم بأسره من ناحية أخرى ••

وهذه الخطوة هى أن يعلن عن عزمه على ازالة جميع قواعد الصواريخ الذرية الخاصة به في بولونيا ، كدليل عملى على صدق رغبته فى نزع السلاح •• وأن ينفذ ذلك فعلا فى بطء شديد ليستغل هذا العمل الى أقصى حد ولأطول مدة ممكنة فى نواحى الدعاية ••

وهو لا يقرر اتخاذ هذه الخطوة بطبيعة الحال ، الا بعد أن تثبت له تقارير خبرائه العسكريين أن هذه القواعد لا قيمة لها من الناحية العسكرية ، وأن قواعده الأخرى فى الاتحاد السوفيتي نفسه وفى ألمانيا الشرقية ، كفيلة بالقيام بدورها بعد ازالتها ••

ويشرع الاتحاد السوفيتي في فك قواعده فى بولونيا مثلما أعلن ، ويدعو جميع الدول الى ارسال بعثات تفتيشية من قبلها لتستوثق بنفسها من صدق ادعاءاته •• فيزيد هذا الاجراء من حماسة الشعب البريطانى لفكرة نزع السلاح وازالة القواعد •• ويلتف أكثر وأكثر حول الحركة المناهضة للأسلحة الذرية •

وتعلن هذه الحركة من جانبها أنه لم يعد هنالك أى مبرر على الاطلاق لتلكؤ بريطانيا فى ازالة القواعد الذرية والصاروخية من أراضيها بعد الآن ، وأنه أصبح من واجب الحكومة البريطانية أن تحذو حذو

الاتحاد السوفيتي على الفور •• وتطالب الشعب بأن يضغط على الحكومة لكي تقدم بلا ابطاء على هذه الخطوة ••

وفي هذه الأثناء ، يحين موعد الانتخابات العامة في بريطانيا التي يطمع حزب المحافظين الحاكم في أن يفوز فيها بالأغلبية ، مثلما فاز في الانتخابات الثلاثة الماضية ••

ولكن جماعة المناهضين لاستخدام الاسلحة الذرية ، تفوت عليه الفرصة ••

فهي تعلن أنها لن تؤيد الا المرشحين الذين يتعهدون مقدما بالعمل على ازالة القواعد الذرية والصاروخية من بريطانيا •• وتكون نتيجة ذلك فوز حزب العمال بأغلبية ضئيلة ، لأن عددا كبيرا من مرشحيه أعلنوا ولاءهم لمبادىء هذه الحركة ••

أما بقية مقاعد مجلس العموم ، فيفوز بها نواب مستقلون ومن حزبي المحافظين والأحرار •• ولكن معظمهم أيضا ممن ارتبطوا ببرنامج الحركة المناهضة للأسلحة الذرية ••

وازاء هذه النتيجة ، تنشأ أزمة في حزب العمال ••

فرئيس الحزب الذي أصبح من حقه أن يتولى رياسة الوزارة والذي يشبه في كل شيء جيتسكيل رئيس حزب العمال الحالي - كان قد أعلن مرارا - مثل جيتسكيل أيضا - عدم موافقته على تجريد بريطانيا من القواعد والأسلحة الذرية ••

فكيف يستطيع - والحالة هذه - أن يرأس حكومة مهمتها الأولى التي جاء بها الناخبون الى الحكم من أجلها ، هي تنفيذ سياسة لايؤمن بها وسبق له أن عارضها ! ••

ويرى بعض أعضاء مجلس ادارة الحزب أن الحل الوحيد لهذا الاشكال أن يتنحى رئيس الحزب عن رياسة الحزب والوزارة معا ،

لزعيم الجناح اليسارى فى الحزب الذى كان ينادى دائما بنزع الأسلحة والقواعد الذرية ..

ويرضخ الرئيس القديم لهذا الرأى .. ويقبل أيضا أن يشترك فى الحكومة الجديدة كوزير للداخلية ، محافظة على وحدة الحزب ، وامتثالا لواجب التضامن الحزبى ! ..

وأمام قبوله لهذا الحل ، يضطر الفريق الذى كان يؤيده فى الحزب ويتمسك برياسته ، الى أن يقبل على مضض هذا الحل أيضا ! ..

وهكذا يصبح رجال حركة نزع السلاح هم الذين يحكمون بريطانيا رسميا .. فى حين يتحكم فى الحركة نفسها من وراء ظهورهم ودون أن يدروا ، عملاء الاتحاد السوفيتى ! ..

وأول ما تفعله الحكومة البريطانية الجديدة ، هو أنها بطبيعة الحال تطلب من الأمريكيين الجلاء عن بريطانيا ، وازالة قواعدهم العسكرية منها .. ثم تشرع فى فك قواعد الصواريخ والأسلحة الذرية الخاصة بها ..

وهى تدعو الاتحاد السوفيتى لأن يوفد بعثة تفتيش الى بريطانيا ، للتأكد من جدية عملية ازالة القواعد .. مثلما كان هو قد فعل عندما فك قواعده فى بولونيا ..

ويكون قد تولى وزارة الخارجية فى الحكومة الجديدة ، شاب انتهازى طموح ، كان من نواب حزب المحافظين اللامعين فيما مضى ، ثم استقال منه أيام العدوان الثلاثى على مصر ..

وكان قد زعم يومئذ انه استقال احتجاجا على سياسة العدوان ، ولكنه فى الحقيقة لم يفعل ذلك الا لأنه ظن أن فشل العدوان سيقضى على مستقبل حزب المحافظين ، وأراد أن ينجو بنفسه قبل أن تغرق السفينة !.

وبعد مضى فترة مناسبة ، انضم الى حزب العمال .. ثم التحق بجماعة أعداء التسليح عندما تبين شعبيتها .. وبوساطة ذكائه وبراعته فى الخطابة

وحسن استغلاله لموضوع استقالته أيام عدوان عام ١٩٥٦ ، سرعان ما أصبح من أبرز أعضاء مجلس ادارة هذه الجماعة ..

وكان عملاء الاتحاد السوفيتي قد لمحوا منذ زمان بعيد انتهازية هذا الشاب ومواهبه ، وأدركوا احتمالات نجاحه .. وقدروا أنه قد ينفعهم يوما .. فأحاطوه بعدد من رجالهم ونسائهم ـ من ناحية ـ وراحوا من ناحية أخرى يساعدونه في بناء مستقبله السياسى ..

فلما أصبح وزيرا للخارجية ، كان من الطبيعى أن يختار مساعديه الشخصيين ومستشاريه الخصوصيين من بين هؤلاء العملاء ..

ويصبح هذا الشـاب أقوى أعضـاء الوزارة .. وتتطلع أنظاره الى رياسة الحكومة ..

وفى أحد الاجتماعات الأولى لمجلس الوزراء الجديد ، يقول وزير الخارجية ـ بوحى من مستشاريه عملاء السوفييت ـ انه يجب تطهير لندن من البغايا ، ومن عصابات الأحداث التى انتشرت فيها ، ومن مثيرى الشغب ضد الملونين .. ويقترح اجراء حركة اعتقالات واسعة النطاق بين هذه العناصر الضارة بالمجتمع ..

ولكى يصبح ذلك ممكنا ، يقترح استصدار قانون جديد ، يمنح وزير الداخلية بموجبه سلطات استثنائية ..

ويتبنى مجلس الوزراء هذا الاقتراح .. وبعد أن تتم موافقـــة البرلمان على القانون الجديد ، يتبين أن قوة الشرطة بنظامها القديم ، تعجز عن القيام بأعباء المهمات الجديدة التى أريد تكليفها بها ، فيقترح وزير الخارجية اعادة تنظيم قوات الشرطة .. ويرشح لهذه المهمة وللاشراف على جميع الاجراءات الجديدة ، رجلا ايرلنديا من معارفه يقول ان له خبرة كبيرة بمثل هذه الأمور ، بحكم اشتغاله فيما مضى فى المستعمرات التى كانت لبريطانيا ..

ويوافق مجلس الوزراء على هذا الاقتراح أيضا .. فيتولى المنصب

الجديد الرجل الايرلندى ، الذى هو فى الوقت نفسه كبيرعملاء السوفييت فى بريطانيا ..

وهكذا يصبح للعملاء سيطرة تامة على وزارةالداخلية البريطانية .. بالاضافة الى سيطرتهم على وزارة الخارجية التىكانوا يمارسونها عنطريق سيطرتهم على وزيرها الشاب ، واستغلالهم لطموحه فى أن يصبح رئيسا للوزارة ..

وتدعو موسكو رئيس الوزارة البريطانية الجديد لزيارتها ، ويقبل الدعوة ..

ولكنه يموت بالسكتة القلبية ليلة وصولهالى موسكو ، لكثرة مايضطر الى شربه من أنخاب ..

ويعين وزير خارجيته الشاب خلفا له ..

وبعد ذلك تتوالى الأحداث فى سرعة عجيبة ..

فالعملاء هم الذين يصبحون الحكام الفعليين لبريطانيا ..

وقبل أن يتبين رئيس الوزراء الجديد الشاب انه لم يعد أكثر من اداة فى أيديهم ، يكون قد أصبح عاجزا تماما عن فعل أى شىء ..

فحملة الاعتقالات التى كان المفروض أن تقتصر على البغايا والمجرمين ، كانت قد امتدت الى جميع العناصر التى كان يمكن أن تقاوم استيلاء السوفييت وعملائهم على بريطانيا ..

وجميع السلطات كانت قد تركزت فى أيدى العملاء .. بمساعدة أعضاء بعثة التفتيش السوفيتية التى كانت قد جاءت فى الأصل لتتفقد عملية فك القواعد ، ثم بقيت فى بريطانيا وأصبحت هى التى تسيطر على كل شىء ..

وقبل أن يستطيع رئيس الوزراء الثورة على هذا الوضع ..يعتقله عملاء السوفييت ويرغمونه على توقيع رسالة موجهة الى رئيس الحكومة السوفيتية .. يطلب منه فيها ارسال قوات سوفيتية على وجه السرعة الى

بريطانيا ، لمساعدة حكومتها الشرعية فى قمع حركة تمرد دبرها الأمريكان، بمساعدة بعض العناصر الفاشستية فى الجيش البريطانى .

وبعد ذلك بساعات ، تكون الطائرات السوفيتية قد نقلت ست فرق من جنود المظلات الى بريطانيا ..

ويصحو الشعب البريطانى فى اليوم التالى ليجد بلاده تعج بالجنود السوفييت .. وليسمع لأول مرة عن المؤامرة المزعـــومة التى تطلبت استدعاء هؤلاء الجنود ..

كما يسمع أن الجنود السوفييت ـ وان كانوا قد تمكنوا من قمع حركة التمرد فى مهدها ، وتوصلوا الى تجريد القوات البريطانية المشتركة فى المؤامرة من سلاحها ـ الا أنهم لم يستطيعوا انقاذ حياة رئيس الوزراء نفسه ، اذ كان المتآمرون قد تمكنوا من اغتياله قبل وصول النجدة التى طلبها ! ..

ويتولى عملاء السوفييت الحكم رســـميا فى بريطانيا .. فى ظل حماية القوات السوفيتية ..

وترحل الأسرة المالكة الى كندا ..

وعندما تتلقى الأمم المتحدة بعد ذلك اقتراحا من أمريكا بمناقشـة ما أسمته العدوان السوفييتى على بريطانيا .. يقف المندوب البريطانى ليحتج بشدة على هذا الاقتراح الذى يصفه بأنه محاولة سافرة للتدخل فى الشئون البريطانية الداخلية ..

ويقف بعده مندوب الاتحاد السوفيتى ليكيل الشـــتائم لأمريكا ، ويذكرها ويذكر الأمم المتحدة بأن بلاده لم تفعل الا ماسبق لأمريكا نفسها أن فعلته فى عام ١٩٥٨ عندما أرسلت قواتها الى لبنان بناء على طلب من حكومته الشرعية !!

وبعد ذلك ببضعة أسابيع ، أذاع رئيس وزراء الجمهورية الشعبية

البريطانية الجديدة ، بيانا تحدث فيه عن الاجراءات الحازمة التى اتخذتها حكومته لاعادة تنظيم الاقتصاد البريطانى على أسس سليمة .

واستطرد قائلا : « بما أنه من غير المعقول أن نحاول اطعام خمسين مليون نسمة فى جزيرة لا تكفى مواردها الطبيعية أكثر من نصف هـــذا العدد ، فقد تفضلت حكومة الاتحاد السوفيتى ووضعت تحت تصرفنـــا مساحات واسعة من الأراضى البكر الواقعة فى جنوب سيبريا ، وسوف ننقل اليها عددا كبيرا من أبناء الشعب البريطانى » !!

***

وقد هلل اليمينيون لهذا الكتاب ، وقالوا انه نذير هام ينبه الى ماسوف يحدث فى بريطانيا وغيرها ، اذا انقادت لدعوة السلام التى يغذيهـــا السوفييت ، واندفعت فى سذاجة فى طريق مقاومة التسليح الذرى ..

على حين هاجم اليساريون على اختلاف نزعاتهم الكتاب ، ووصفه بعضهم بأنه ليس أكثر من منشور دعاية أمريكى !

ولكن الذين مدحوا الكتاب ، والذين هاجموه أيضا .. قد اتفقوا جميعا على أنه مكتوب بأسلوب أخاذ ، وبراعة فائقة !!

اكثر مما أستحق !

للكاتبة الامريكية : ليليان روث

هل تذكرون ليليان روث ، المغنية الأمريكية التى اشتهرت بأحداث حياتها المثيرة اكثر مما اشتهرت بما قدمته من أغان وألحان ؟! ..

لقد شاهدت القاهرة منذ سنوات قليلة قصة حياة هذه المغنية فى فيلم قامت بدور البطولة فيه الممثلة العظيمة سوزان هيوارد ولاقى نجاحا كبيرا فى كل مكان ، وكان اسمه : « سأبكى غدا » .. وكان هذا الفيلم مأخوذا من الكتاب الذى يحمل الاسم نفسه ، والذى سجلت فيه ليليان روث قصة حياتها فى صراحة تامة مذهلة ..

وكان كتاب « سأبكى غدا » قد لاقى رواجامنقطع النظير ، وترجم الى لغات عدة ، ودر على مؤلفته أرباحا طائلة ..

ويبدو أنها وقد ذاقت الطعم الحلو لهذا النجاح وللمكاسب الضخمة التى جاءت معه ، لم تستطع مقاومة اغراء القيــام بمحاولة تأليف ثانية ، فأصدرت أخيرا كتابا جديدا أسمته : « أكثر مما أستحق » ..

***

وكانت ليليان روث قد روت فى كتابها الأول كيف احترفت الغنـاء والرقص والتمثيل منذ طفولتها ، وكيف أحرزت نجاحا كبيرا على المسارح الاستعراضية وفى النوادى الليلية قبل أن تبلغ سن العشرين .. فارتفع أجرها الى أرقام خيالية ، وبدأت شركات الانتاج السينمائى فى هوليوود تتبارى فى التعاقد معها ، وأظهرتها فعلا فى عدد من الأفلام ..

ثم قصت كيف انزلقت قدمها الىهاويةالكحولية .. فلم تصبحسكيرة مدمنة فقط ، وانما وقعت فريسة لذلك الداء الغامض الذى يسمى

« الكحولية » والذى لا يستطيع المصابون به الكف لحظة واحـدة عن احتساء الخمر ••

ووصفت كيف انهارت مكانتها الفنية نتيجة لادمانها الشراب ، وكيف انهارت أعصابها أيضا ، ثم كيف انهارت قواها العقلية فى النهاية ، ودخلت احدى مستشفيات المجانين ••

وتحدثت عن العذاب الأليم الذى تعرضـــت له فى تلك الفترة من حياتها ــ فترة اصابتها بداء الكحولية ــ وعن البؤس والذل والمهانة التى صاحبتها فى كل خطوة من خطواتها فى هذه الأثناء ••

فذكرت فى صراحة تامة كيف أعرض عنها المنتجون وأصحـاب المسارح الذين كانوا يتعاملون معها ، وكيف اضطرت بعد ذلك الى العمل فى الحانات الحقيرة وفى أحط الأوساط •• الى أن أصبحت عاجزة حتى عن العمل فى هذه الأماكن فى النهاية ، فباتت تتسول أو تبيع جسدها لتحصل على ما تتحرق اليه بصفة دائمة من شراب ••

وسردت قصة الأزواج الأربعة الذين اقترنت بهم خلال فترة الست عشرة سنة التى قضتهــا فى أسر الكحولية ، والذين حاول بعضهم أن يستغلها ماديا وأن يستثمر شهرتها وضعفها •• وكان رابعهم يضربها ضربا مبرحا مما أدى الى التعجيل بفقدها عقلها فى آخر الأمر ••

ثم تحدثت عن معجزة شفائها بعد ذلك ، من الجنون أولا ثم من ادمان الخمر ••

وقصت كيف تعرفت بزوجها الخامس والأخير ، الذى كان مريضا بدائها نفسه من قبل ، ثم شفى منه وساعدها على أن تتغلب بدورها عليه •

وبذلك انتهى كتاب « سأبكى غدا » الذى بيعت منه ــ فى مختلف الطبعات واللغات ــ مليون نسخة على الأقل ••

أما الكتاب الآخر : « أكثر مما أستـــحق » فهى تتحدث فيه عن المرحلة التى تبعت افلاتها من الكابوس المخيف الذى عاشت فيه ••

وهي تسرد أولا المصاعب الضخمة التي صادفتها في طريق انتصارها على الظمأ المضني للخمر الذي يحترق به مرضى الكحولية في كل آن .. وكيف كادت مقاومتها لهذا الظمأ تتهاوى أكثر من مرة ، كلما تراكمت عليها المتاعب واشتد عبوس الحياة ..

وتشرح كيف احتمت بالدين والايمان العميق من هـــذا الخطر ، وكيف تعاونت مع زوجها على الابتعاد كلية عن الخمر ..

وهي تقول ان اصابة زوجها في الماضي بمرضها نفسه ـ وتحطيم حياته هو الآخر وضياع ثروته للسبب نفســه ـ كان له أثر كبـير في مساعدة كليهما في معركته ضد الكحولية ..

فقد جعلتهما الظروف المتشابهة مدركين تماما لما يعانيه كل منهما ، وللخطر الرهيب الذي يتربص بهما والذي لابد أن يقضي عليهما تماما لو عادا الى الشراب ..

فاستمد كل منهما من ضعف الآخر ومن اشفاقه عليه ، قوة مكنتهما من الصمود في وجه اغراء العودة الى الخمر .

ثم تتحدث ليليان روث بعد ذلك عن الجهود التي بذلتها لاستعادة مكانتها الفنية القديمة ولتحقيق النجاح من جديد في دنيا الغناء والتمثيل والرقص ..

وقد بدأت معركتها العملية هذه قبل ظهور كتابها « سأبكي غدا » وقبل انتاج الفيلم المأخوذ عنه .. ولذلك كانت في حاجة مادية ومعنوية شديدة الى العمل والى النجاح ، لكي تتمكن من مواجهة طلبات الحياة من ناحية ، ولكي تسترد ثقتها في نفسها من ناحية أخرى ..

ولكن أصحاب المسارح وسماسرة الفنـانين كانوا يســخرون لمن محاولاتها للعودة ، بعد أن تقدم بها العمر وأصبحت في عامها السادس والثلاثين ، وبعد أن كانت قد انقطعت مدة طويلة عن العمل الفني وأصبح الناس ينظرون اليها على أنها مجرد حطام بشري دمرته الخمر واستنزفت قواه التصرفات الحمقاء ..

وكان بعضهم يقول لها بصراحة أن لا أمل لها بالمرة فى استعادة اهتمام الجماهير بها ، أو فى الحصول على أية فرصة ـ مهما كانت هزيلة ـ للعمل ، وينصحها بأن تبحث عن مورد آخر للرزق ..

غير أنها لم تتخاذل أمام هذا الصد وهذا الاحتقار ، ولم تستسلم لخيبة الأمل أو اليأس ، وظلت تواصل التدريب الشاق على الغناء والتمثيل والرقص ، وتعمل بلا كلل على اجادة أدائها ، وتسعى فى اصرار للحصول على أية فرصة لتقديم مواهبها .. الى أن نجحت أخيرا فى توقيع عقد متواضع للعمل فى احد النوادى الليلية الصغيرة المغمورة ، بأجر زهيد .

ومن هناك ظلت تواصل محاولاتها المرهقة لكسب الجمهور والنقاد الى صفها .. الى أن استطاعت بفضل مثابرتها وانكبابها الدائم على تحسين عملها ، أن ترتقى سلم النجاح مرة أخرى ، وأن تصبح من جديد من النجوم اللامعة التى تتقاضى أعلى الأجور ، ويتنافس أصحاب الأعمال على الاتفاق معها ..

ولم يقتصر نجاحها على بلادها وحدها ، بل أصبحت العروض تنهال عليها من أوربا وكندا وأمريكا الجنوبية ..

وأصبح أجرها الأسبوعى فى المسرح الذى تعمل به يصل الى عشرة آلاف من الدولارات ، عدا ما تكسبه من أسطواناتها ومن الظهور فى التليفزيون ..

وساعدها الرواج الكبير الذى لاقاه كتابها الأول ، والدعاية الضخمة التى نشرها تصوير قصة حياتها فى السينما ، على بلوغ القمة بسرعة ، وعلى أن تصبح فى طليعة نجوم الفن الاستعراضى المحبوبين ، بعد أن اقتربت من عامها الخمسين ! .

وأحاطها النجاح بهالة من التقدير أذهلتها وبعثت فيها الحيرة ، كما ألقت عليها تبعات وجدت حملها شاقا عليها ..

فنجاحها فى قهر داء الكحولية ، حفز غيرها من المصابين بهذا الداء

الى أن يحذوا حذوها ، فراحوا يتطلعون اليها على أنها رائدة وزعيمة لهم، ويطالبونها بالتوجيه والمساعدة والارشاد ! ..

وغيرهم أيضا من ضحايا الأمراض المستعصية الأخرى ، رأوا فى معجزة شفائها واستردادها لقواهـــا العقلية ، أملا جديدا ينير الطريق أمامهم .. فأخذوا يطمعون فى أن تمدهم بالتشجيع والمواساة والتأييد !.

ونجاحها من جديد فى دنيا الفن ، وهى التى اقتربت من الشيخوخة، وأنهت حياتها العملية فى شبابها بالفشل الذريع ـ هذا النجاح الباهر شحذ همم الفنانين الناشئين وغذى طموحهم ، فراحوا بدورهم يسألونها النصيحة والمعونة والتشجيع ! ..

ووجدت هى فى كل هذه المشاعر ـ مشاعر الاعجاب والثقة والتقدير ـ أكثر بكثير مما تستحقه ..

كما وجدت أن ما غمرها به زوجها من حب وعطف ، هو أكثر مما تستحقه أيضا ..

فصاغت من احساسها هذا عنوان كتابها الجديد ..

بخصوص امرأة خاطئة !

للكاتب الأمريكي : بن هيكت

ان هوليوود التى لا يتجاوز عدد سكانها المائتي ألف نسمة ، هي أشهر مدينة في العالم .. ولها بريق خاص لا يتوافر لأية مدينة أخرى.

ففي هذه المدينة الصغيرة تصنع الأفلام التى تعرض في العالم كله ، وتسطع النجوم التى يصل بريقها الى كل مكان على الأرض ..

وفيها تتحقق الأحلام بشكل خيالي .. فقد يدخلها اليوم انسان مغمور معدم ، لم يسمع به أحد ولا يملك شيئا على الاطلاق .. فيصبح اسمه في الغد على كل لسان ، ويصير بين يوم وليلة من أغنى الأغنياء !

وهي « أرض الميعاد » التي يتطلع اليها الطامعون في المجد والثراء والشهرة ، كما أنها كعبة الممثلين والمؤلفين والفنانين والفنيين من كل نوع ..

وقد أغدقت هوليوود ثروات طائلة على عدد كبير من كتاب أمريكا وأوربا الذين حولت أعمالهم الأدبية الى أفلام ، أو كلفتهم بكتابة قصص سينمائية لها ..

ومن الكتاب الذين جمعوا الملايين من وراء العمل في هوليوود ، الكاتب الأمريكي المعروف بن هيكت الذى يكتب لهوليوود منذ عام ١٩٢٠ ، والذى يعد أشهر كتاب القصة السينمائية ــ السيناريو ــ في العالم ..

غير أن صلة بن هيكت الوثيقة بهوليوود ، لم تمنعه من أن يسخر منها سخرية لاذعة في قصة شهيرة له كتبها عن مدينة السينما ، وأسماها « بخصوص امرأة خاطئة » !

وقد كتب هذه القصة بلسان مؤلف يعيش ويعمل فى هوليوود .. وراويتها يبدأ حديثه بقوله : ان هوليوود تشـــهد فى كل عام أو عامين ، غازيا جديدا ، يمسكها من ذيلها ويلفها حول رأسه .. فتتحطم أعصاب كثيرين من الناس العاملين فيها ، وتمتلىء المصحات المحيطة بها ، بالمرضى والناقهين ! ..

ويضيف أن هذه هى قصة واحدة من هؤلاء الغزاة .. كان من نتيجة دخولها مدينة السينما أن اضطر عدد من أقوى شخصيات المدينة الى اللجوء الى المصحات ، وفى مقدمتهم جيروم كوب مدير شركة « امباير » أكبر الشركات السـينمائية فى هوليوود ، والرجل الذى يطلق عليه لقب « ملك السينما » ..

ويستطرد الراوية قائلا : ولكن قبل أن أقص عليكم قصة هـذه الغازية التى كانت تدعى ديزى مارتشر ، ينبغى أن أوضح لكم أولا بعض الأمور المتعلقة بعاصمة السينما وسوف أقصر حديثى على النواحى التى تتصل بقصة ديزى وحدها ، والتى تبين كيف أمكن لهذه المخلوقة أن تغزو هوليوود ..

***

ان النجم السينمائى يتقاضى فى هوليوود ما بين المائة والمائة والخمسين ألف دولار عن الفيلم الواحد الذى لا تزيد مـدة اخراجه عن عشرة أسابيع فى المتوسط ..

فاذا كان يعمل ثمانى ساعات يوميا خلال هذه المدة ، فمعنى ذلك أنه يتقاضى ما بين خمسة وسبعة دولارات عن كل دقيقة من أوقات العمل ، التى تضيع ثلاثة أرباعها فى العادة بين نوبات السـكر أو الغضب أو الكسل أو « الدلع » التى تنتاب الممثل أو الممثلة ، وتعطل سير العمل ..

وكبار الكتاب والمخرجين يتقاضون مبالغ خيالية أيضا .. وكذلك كل من يقوم بأى عمل متصـل بالفيلم ، بما فى ذلك مدير الانتاج الذى لا يعمل فى الحقيقة شيئا ! .

والأسـباب التى أدت الى حصـولنا ــ نحن العاملين فى السينما ــ

على هذه الأجور العالية جدا ، مقابل الأعمال التافهة التي تؤديها كثيرا .. ولكني لن أتحدث الا عن سبب واحد منها ، لأن الأسباب الأخرى ليس لها علاقة مباشرة بديزي مارتشر .

وهذا السبب هو وجود من يسمى بالوكيل الفني !

فوجود من يؤدى هذه المهمة ، هو فى مقدمة العوامل التى أدت الى ارتفاع أجور العاملين فى الحقل السينمائى فى هوليوود ، على هذا النحو الخرافى !.

وقد ظهـــر « الوكيل الفنى » على مسرح الأحداث فى هوليوود منذ أكثر من ثلاثين عاما .. وكان السبب الأول لظهوره هو أمية معظم نجوم تلك الأيام ، الذين كانوا يحتاجون بسبب جهلهم الى من يتـولون محاسبة الشركات السينمائية بالنيابة عنهم ، ويكونون بمثابة سكرتيرين خصوصيين لهم فى الوقت نفسه ..

غير أن عمل الوكيل الفنى لم يظل مقصورا على هـــذه الحدود المتواضعة .. فمع مرور الأيام لم يعد الوكيل ينوب عن نجم واحد فقط ، وانما أصبحت له مجموعة من الزبائن ..

ولم يعد يتولى محاسبة الشركات فقط ، وانما أصبح هـو الذى يتفاوض معها بالنيابة عن الممثلين والكتاب ومختلف الفنانين الذين يعهدون اليه بمباشرة شئونهم الادارية ، فأصبح هو همزة الوصل بين شركات الانتاج وبين جميع من تتعامل معهم ..

وبذلك صار من العناصر ذات الاهمية الكبيرة فى صناعة السينما .

ولأنه يتقاضى نســـبة مئوية من الأجور التى يحصل عليها لزبائنـه .. فمصلحته بطبيعة الحال تقتضى رفع هـــذه الأجـور الى أقصى حد ممكن ..

ولأن كبار المنتجين فى هوليوود يقيسون عظمتهم الشخصية بضخامة المبالغ التى يستطيعون انفاقها على أفلامهم ، فقد سهلت عليه هذه النزعـــة مهمتـه !

واليه وحده — في الحقيقة — يعود الفضل في اكتشاف هذه النزعة لدى المنتجين ، وفي تنميتها والنفخ فيها بصفة مستمرة !

.

والوكيل الفني الذي أتعامل أنا معه هو أورلاندو هيجنز •• وقد بدأت علاقتي العملية به من عشرين عاما ، أي منذ بدأ يحترف هذه المهنة •• ولكن علاقتي الشخصية به كانت أقدم من ذلك بكثير ، فقد كنا صديقين منذ الطفولة ••

وذات يوم كنت أزوره في مكتبه عندما رن جرس التليفون ، وأبلغته احدى سكرتيراته الست أن آنسة تدعى ديزى مارتشر تطلب محادثته ••

فسأل من تكون هذه الآنسة •• وعندما عرف أنها مؤلفة قصص ، رفض أن يحادثها ، فلم يكن قد سمع بهذا الاسم من قبل ، وهو لم يعد يتعامل الا مع الأسماء اللامعة ••

ولكن خلال الساعة التالية ، ظلت ديزى مارتشر تطلبه بمعدل مرة كل دقيقتين ، الى أن توسلت اليه سكرتيرته في النهاية أن يتحدث اليها ، ولو لمجرد اراحة أعصابهن على الأقل •• فوافق أخيرا ، ورد على ديزى مارتشر ••

قالت له ديزى انها كانت تود أن تتحدث اليه من قبل ، ولكن اصابتها بالزكام منعتها من ذلك •• أما الآن وقد شفيت ، فقد كان أول ما فعلته هو الاتصال به ••

فرد عليها قائلا في سخرية لاذعة : أشكرك على اهتمامك بطمأنتي على أحوالك الصحية !

فتجاهلت ديزى سخريته كلية ، وسألته عما تم بشأن القصة التي أرسلتها اليه منذ أسبوعين •• فسألها أية قصة هذه •• فقالت له انها قصة اسمها « امرأة خاطئة » وأنها في دهشة كيف لم يتم بيع هذه القصة حتى الآن ، مع أنها أعظم قصة سينمائية كتبت في تاريخ هوليوود كله ••

وظن هيجنز أن التي تحدثه مجنونة أو ثملة ، فأخذ يسخر منها

.. ولكنها لم تسمح له بالاستمرار في ذلك طويلا ، فوبخته على وقاحته ، ثم أنهت المحادثة في غضب ..

وتضايق هو من ناحيته ، فاستدعى مديرة مكتبه وأمرها بأن تبحث عن قصة « امرأة خاطئة » وتردها على الفور الى مؤلفتها ، وطلب منها الا تسمح في المستقبل ببقاء انتاج المجانين والسكارى في مكتبه !

***

وتناولنا الغداء معا في ذلك اليوم ، وعدت بعد الظهر معه الى مكتبه

وعند دخولنا المكتب الفخم ، أبلغته مديرة مكتبه أن فريدى بلو قد طلبه في غيابه .. فبدا الاهتمام الشديد على وجه هيجنز ، وطلب منها أن تطلب له بلو على الفور ..

فبلو هذا هو أحد مساعدى جيروم كوب مدير شركة « امباير » .. وعلى الرغم من أنه ليس من كبار مساعدى رجل السينما العظيم ، فان اتصاله بهيجنز ينطوى مع ذلك على أهمية كبيرة ..

ورأيت علامات الدهشة البالغة ترتسم على وجه هيجنز في أثناء حديثه مع بلو ، وسمعته يقول في حماسة مصطنعة : انها بالفعل صاحبة موهبة فذة ، وقد اكتشفت أنا منذ اللحظة الأولى عبقريتها ..

ثم أنهى المكالمة قائلا لبلو انه سوف يطلبه مرة ثانية بمجرد أن يتصل بالمؤلفة .. ووضع سماعة التليفون وهو يتمتم في ذهول عبارات تنم عن أعظم الاستغراب والدهشة !

والتفت بعـــد ذلك الى مديرة مكتبه وطلب منها في غيظ مكتوم أن تطلب له بالتليفون المؤلفة السكيرة المجنونة .. فقالت له مس فلانيجان التى تعلمت من طول اشتغالها كمديرة لمكتبه كيف تفهم ما تعنيه عباراته الغامضة : أظنك تقصد الآنسة ديزى مارتشر ؟

فصرخ فيها قائلا : طبعا ! .. ثم التفت الى ليقول : تصـــور ! .. ان شركة « امباير » تريد شراء قصة « امرأة خاطئة » ! .. هل هناك ما يمكن أن يكون أعجب من ذلك ؟!

وتركته بعد ذلك وعدت الى الفندق الذى أقيم فيه •• وبعد منتصف الليل بقليل ، نوجئت به يقتحم على غرفتى ليقول لى انه فى ورطة !•• فقد عجز حتى الآن عن العثور على ديزى مارتشر ، برغم ان سكرتيراته جميعا لم يفعلن شيئا منذ عودته الى المكتب بعد الغداء حتى منتصف الليل، غير البحث عنها فى كل مكان فى هوليوود !

وأنبأنى بأنه يجب أن يجد هذه المؤلفة المعتوهة سريعا لأن شركة « امباير » أبدت اهتماما عظيما بقصتها ، فقد عاود فريدى بلو الاتصال به فى المساء ليبلغه أن الشركة راغبة فى اتمام الاتفاق بشأن هذه القصة بأسرع ما يمكن •• كما اتصل به أيضا مايك ديفلين ، الساعد الأيمن لجيروم كوب ، للغرض نفسه •

فأثارت حماسة رجال شركة « امباير » للقصة فضولى ، وقلت لهيجنز أننى أود أن أقرأها •• فأجابنى بقوله انه هو أيضا أصبح متلهفا على قراءتها ، ولكن المكتب لم يتلق الا نسخة واحدة منها ، هى التى أرسلت الى شركة « امباير » ••

واستطرد قائلا ان هذه النسخة اليتيمة قد وصلت الى شركة « امباير » بطريق الخطأ ، اذ لابد أن أحد موظفى المكتب قد أرسلها اليها بدلا من شىء آخر ، وأضاف أنه سوف يجرى تحقيقا دقيقا فى الموضوع، ويفصل المسئولين عن هذه الغلطة ، لأنه لا يمكن أن يسمح بوقوع مثل هذه الأخطاء فى عمله ••

فقلت مازحا : انه موقف شائق ، يبين كيف تتخطى العبقرية العقبات والحواجز ، وتصل الى الهدف برغم العراقيل التى يضعها فى طريقها الوكيل الفنى ! ••

فقال : ان الموضوع ليس فيه عبقرية أو نبوغ ، وكل ما فى الأمر هو أن جيروم كوب قد فقد عقله !

فسألته : وما علاقة كوب بالموضوع ؟ ••

فقال : لقد قرأ هو القصة ، اذ يبدو أن الأخطاء تلد أخطاء أخرى ،

فمنلما وصلت هذه القصة الى الشركة عن طريق الغلط ، وصلت عن هذا الطريق أيضا الى مكتب كوب نفسه ، ووجدها مصادفة أمامه عـــلى مكتبه ، فقرأها .. ولابد أن عنوانها السخيف هو الذى أثار اعجابه !

وكان شيئا عجيبا حقا أن يقرأ كوب هذه القصة أو أية قصة غيرها .. فليس من عادة ملك السينما أن يقرأ أية قصة أو أن يشغل نفسه بأية ناحية من نواحى نشاط الشركة ، تاركا كل هذا لجيش المساعدين الذى يحيط به ، ومكتفيا بتوبيخ هؤلاء المساعدين اذا ارتكب أى منهم أقل هفوة

أما هو فلم يكن فى استطاعة أحد أن يوجه اليه أى لوم أو تأنيب ، والسبب بسيط وهو أنه لا يؤدى أى عمل على الاطلاق بنفسه ، ولا يتحمل طبعا لذلك مسئولية أى أمر !

ولكن أحدا مع ذلك لا يشك فى عبقريته ، فيكفى للتدليل عليهـا ثراؤه ونفوذه اللذان يزدادان يوما بعد يوم !

وقال لى هيجنز مرة ثانية : ان كوب قد قرأ هذه القصة بنفسه ، وجن بها .. ولذلك فانى أراهن على أنها لابد أن تكون قصـــــة بالغة السخافة !

وكنت قد تلقيت قبل حضور هيجنز لزيارتى ، دعوة عاجلة للذهاب على الفور الى الاستديو الذى يجرى فيه اخراج قصتى الأخيرة ، فقد قرر المنتج فجأة أن نهاية القصة يجب أن تتغير وبعث فى استدعائى على عجل لكى أتفق معه ومع المخرج على شكل النهاية الجديدة .. فنزل هيجنز معى .. وعند خروجنا من باب الفندق ، وجدنا أمامنا جيروم كوب واقفا فى انتظار سيارته وحوله عدد من رجال حاشيته ، فملك السينما لايتحرك من أى مكان الى آخر الا ومعه عدد من كبار مساعديه ومن صغارهم ! -

وما أن لمح ملك الســـــينما هيجنز حتى تهللت أساريره ، وناداه ليقول له انه على الرغم من انه قد ورط الشركة فى الماضى فى شراء بضاعة مغشوشة كثيرة ، الا أنه قد كفر أخيرا عن جميع ذنوبه السابقة بارساله تلك القصة الجديدة اليها .

فقال له هيجنز وابتسامة نفاق كبيرة تعلو شفتيه : انك تعنى قصة « امرأة خاطئة » طبعا ..

فرد عليه كوب قائلا : انى سوف أكون صريحا معك يا هيجنز .. لقد قرأت هذه القصة بنفسى على الرغم من كثرة مشاغلى ، ولا أخفى عليك أنى أعتقد أنها رائعة وأنها سوف تصبح من أنجح الأفلام التى أخرجناها .. وقد قررت أن أصورها كما هى دون احداث أى تغيير فيها ، وأن أحشد لها عددا ضخما من النجوم بحيث لا يشترك فى تمثيل أى دور من أدوارها الا كبار ممثلاتنا وممثلينا ..

واستطرد ملك السينما يعرب عن اعجابه العظيم بالقصة ، ويقول انها قصة غرامية لا مثيل لها ، فى جرأتها وعمقها .. وفى النهاية قال لهيجنز فى لهجة صارمة انه يريد أن يتم بيع هذه القصة له قبل ظهـــر الغد ، وأضاف انه يحذره من اللجوء الى ألاعيبه المعروفة ، فلو ســمع أنه حاول الاتصال بأية شركة أخرى بشأن هذه القصة ، فسوف يحطمه حتما ويضع حدا لوجوده فى هوليوود ..

فأقسم هيجنز على أنه لم يفكر يوما فى استخدام أية ألاعيب مع كوب ، وقال ان السبب الوحيد الذى منعه من اتمام الاتفاق بشأن هــذه القصة اليوم ، هو موقف التعنت الذى تتخذه المؤلفة ..

فسأله كوب عما يعنيه ..

فقال هيجنز انها تطلب ثمنا غير معقول لقصتها ، وانه عجز تماما عن زحزحتها عن موقفها برغم الجهد الكبير الذى بذله ..

فصاح فيه كوب : ما هو المبلغ الذى تريده ؟ ..

فقال هيجنز : انها تطلب خمسة وسبعين ألف دولار ، وفى رأيى أنه لا توجد قصة على الأرض تستحق هذا المبلغ ..

غير أن كوب قاطعه قائلا انه يوافق على دفع هذا المبلغ .. واستدار وصعد الى سيارته !

وبعد ظهر اليوم التالى ، كنت قد فرغت من اجراء التعديل المطلوب فى نهاية قصتى فتوجهت الى مكتب هيجنز لأرى ماذا تم فى الصفقة الوهمية التى اخترعها لملك السينما •• فوجدت المكتب فى حالة نشاط غير عادى ، ووجدت هيجنز يقطع حجرته الخاصة جيئة وذهابا فى عصبية شديدة ••

واستقبلنى بقوله انه لم ينم لحظة واحدة منذ الأمس ، ولم يتمكن حتى الآن من العثور على ديزى مارتشر •• فلا نقابة المؤلفين تعرف عنها شيئا ، ولا أحد على الاطلاق يبدو أنه سمع باسمها ••

وأضاف أنه قد اضطر أخيرا الى تكليف أحد المكاتب التى تقوم بأعمال البوليس السرى بمساعدته فى البحث عنها ••

وبينما هو يشكو لى حيرته وحرج موقفه ، أبلغته مديرة مكتبه أن جيروم كوب يطلب محادثته ، فأمسك بسماعة التليفون فى هلع ، وأخذ يقسم لملك السينما أنه بذل كل ما فى وسعه لاقناع ديزى مارتشر ببيع قصتها ، ولكنه لم يتوصل الى أية نتيجة معها ، فهى لم تعد تكتفى بالمبلغ الذى طلبته من قبل وانما أصبحت تصر على أن تحصل أيضا على نسبة من أرباح الفيلم •• وأضاف انه شخصيا لا يمكن أن يوافق على مثل هذا الاستغلال الفاحش !

ويبدو أن كوب طلب منه أن يحضر اليه المؤلفة ليتفاوض معها مباشرة ، فقد سمعته يقول له انه حاول اقناع ديزى مارتشر بكل وسيلة بالاجتماع بملك السينما ، ولكنها مصممة على ألا تلتقى بأحد من رجال الشركة حتى ولا بالمدير نفسه ••

وأضاف أنه لا يجد تفسيرا لذلك الا الشذوذ المعروف عمن يحترفون الكتابة ! ••

وصمت هيجنز برهة كان يستمع خلالها الى ما يقوله كوب ، ثم

عاد يؤكد له انه سوف يتصل به ثانية بمجرد أن ينقل الى المؤلفه كلامه ويعرف ردها عليه ، ويعده بأنه لابد أن يقنع ديزى مارتشر ، بالاتفاق معة في القريب العاجل .

ووضع هيجنز السماعة بعد ذلك ، وقال لى وكأنه لا يستطيع تصديق ما سمعه ان كوب قد أبلغه أنه مستعد لدفع مائة ألف دولار ثمنا للقصة ، وأنه لن يتأخر عن رفع هذا المبلغ أيضا ، اذا تطلب الأمر ذلك !

فسألته : والى متى تظن أنك تستطيع الاستمرار فى هذه الخدعة ؟..

فأجابنى فى وجوم بأنه لا يدرى .. ثم تهللت أساريره فجأة وقال انه قد طرأت له فكرة يمكن أن تعينه على العتور على تلك المؤلفة اللعينة .. وطلب فريدى بلو فى التليفون ، ورجاه أن يبلغ الصحف أن الشركة قد تعاقدت مع مؤلفة جديدة تدعى ديزى مارتشر على شراء أول قصة كتبتها .. وظل به الى أن أقنعه بأن هذا الاجراء سوف ييسر التعاقد الفعلى بين الشركة وبينها ، على أساس أن رؤية اسمها منشورا فى الصحف لأول مرة ، سوف يفتح شهية المؤلفة الى الشهرة ويغريها بالاسراع فى اتمام الاتفاق مع الشركة .

وفى الصباح التالى ، ذكرت جميع صحف هوليوود أن شركة « امباير » تستعد لانتاج فيلم ضخم بعنوان « امرأة خاطئة » رصدت له ميزانية هائلة وخصصت له أشهر نجوم السينما ، وبعد أن أسهبت فى اطراء نبوغ جيروم كوب ومواهبه العظيمة فى تقديم الروائع السينمائية ، ذكرت أن مؤلفة هذا الفيلم هى كاتبة ناشئة تدعى ديزى مارتشر ..

وبعد الظهر ، ذهبت مرة أخرى الى مكتب هيجنز وسألته اذا كانت المؤلفة قد ظهرت أخيرا بعد ما نشرته الصحف ، فقال لى انها لم تظهر ، وان رأيه الخاص هو أنها لابد قد ماتت ! ..

ولما رآنى أبتسم فى سخرية من رأيه الخاص هذا ، راح يدافع

عنه في حرارة قائلا ان حديثه التليفوني مع ديزى مارتشر أقنعه بأنها من مدمنى الشراب ، فقد كانت فى حالة سكر واضح ، والمدمنون معرضون دائما للنوبات المفاجئة .. ثم انها قالت يومها انها كانت مصابة بالزكام ، ولابد أن الزكام قد تطور الى انفلونزا ثم الى نزلة رئوية قضت عليها .

ولكى يثبت صحة نظريته ، التفت الى مس فلانيجان وطلب منها أن تجيئه بأعمدة الوفيات التى نشرت فى الصحف خلال الأيام الأربعة الأخيرة ! ..

وفى هذه الأثناء طلبه جيروم كوب بالتليفون فلم يرد عليه ، وأمر السكرتيرة التى تلقت المكالمة بأن تبلغ ملك السينما بأنه لا يستطيع الرد على التليفون لأنه فى اجتماع خاص مع الآنسة ديزى مارتشر !

ولم تسفر مراجعة كشوف الوفيات عن العثور على اسم ديزى مارتشر .. فعاد هيجنز يضرب أخماسا فى اسداس ، ويتخبط فى بحر عميق من القلق والحيرة .. وبينما هو يفكر فى يأس فى الكذبة الجديدةالتى ينبغى عليه أن يقولها لكوب ، دخلت علينا احدى سكرتيراته فجأة ، لتبليغه فى لهجة من يعلن أخطر الأنباء أن هناك آنسة تدعى ديزىمارتشر تطلب مقابلته !

فصرخ فيها قائلا : وماذا تنتظرين لادخالها ؟! ..

ولكن قبل أن تخرج السكرتيرة ، رأينا باب المكتب ينفتح فى بطء وتردد ، فتسمرت أنظارنا به فى ترقب متوتر ، على حين صاح هيجنز فى حماسة : تفضلى ... تفضلى ..

وازاء هذا التشجيع ، انفتح الباب على آخره ، ودخلت منه طفلة صغيرة فى حوالى التاسعة من عمرها يعلو وجهها العبوس وتوجه الينا نظرات صارمة .. فصرخ فيها هيجنز فى غضب : من أنت وماذا تفعلين هنا ؟!

فردت عليه قائلة فى صوت هادىء : أنا الآنسة مارتشر ! ..

فقال لها هيجنز في لطف : أرجوك أن تطلبي من والدتك أن تدخل فورا ..

فقالت له الطفلة ان أمها لم تحضر معها ، وأن لا داعي لحضور الأم أصلا ، لأنها هي التي تتعامل مع مكتب هيجنز ، وليس أمها !

ففغر هيجنز فمه دهشة ، وسألها وهو لا يكاد يسيطر على أعصابه : أتريدين أن تقولي أنك أنت ديزي مارتشر ؟!

فقالت الطفلة في لهجة تنم عن دهشتها لغبائه : طبعا ! ..

فعاد يسألها في غيظ وسخرية : ولعلك أنت أيضا مؤلفة « امرأة خاطئة » ؟!

فردت عليه قائلة في هدوء : نعم ، أنا المؤلفة ! ..

فقفز هيجنز من مكتبه ، وأخذ ينبهها في غضب الى أن الأطفال المؤدبين لا ينبغي أن يكذبوا ولا أن يحاولوا انتحال شخصيات غيرهم .. ولكن الطفلة لم تفهم سبب غضبه ولا اتهامه لها بالكذب ، وظلت تؤكد في براءة انها هي ديزي مارتشر وانها هي أيضا مؤلفة القصة .

وازاء اصرارها على موقفها ، لم يعرف هيجنز ما الذي يصنعه ... وفي النهاية طلب من الطفلة أن تأخذنا الى منزلها ، ليعرف من أهلها حقيقة الحكاية ..

فقادتنا الطفلة الى منزل متواضع قالت انه بيتها ، وقدمتنا هناك الى سيدة بدينة قالت انها أمها ..

وأكدت لنا الأم أن طفلتها الوحيدة « الشقية » ــ على حد تعبيرها ــ هي التي ألفت قصة « امرأة خاطئة » وحدها ، ولم يساعدها أحد في هذا العمل ، وأنها هي ــ أي الأم ــ لم تفعل شيئا في القصة غير تصحيح بعض أغلاط الاملاء !

وأمام هذا التأكيد لم يسع هيجنز الا أن يصدق أن الطفلة هي المؤلفة التي طال بحثه عنها .. فاحتفى بالأم وعرض عليها أن تتنازل له

عن وصايتها على بنتها لمدة عام ــ فقــد كان والد الطفلة ميتا ــ وأن تعطيه توكيلا شاملا عن نفسها ، مقابل أن يدفع لها مائة وعشرين ألف دولار يخصم منها نسبة عشرة فى المائة هى عمولته القانونية ، وعشرة فى المائة أخرى لتغطية نفقات ديزى خلال العام ..

واستطرد قائلا أنه ينوى أن يبقى ديزى بعيدا عن الأنظار خلال بضعة أسابيع ، وأن يستضيفها فى منزله حيث لن تقابل أحدا غير أخته التى سوف تتولى العناية بها ..

وأضاف أن أمها تستطيع أن تزورها هناك كلما أرادت ، بشرط ألا تطلع أحدا على مكان وجودها .

وأرادت الأم أن تعرف لماذا يريد هيجنز اتخاذ كل هذه الاجراءات الشاذة ، فقال لها بصراحة ان شركة « امباير » تنوى أن تنفق عدة ملايين من الدولارات على اخراج قصة « امرأة خاطئة » فى السينما ، وتعتزم تقديمها للجمهور على أساس أنها أجرأ قصة غرامية عرفتها الشاشة .. ولو عرف الناس أن مؤلفة هذه القصة « الجريئة » ، هى طفلة فى التاسعة من عمرها ، فلن يؤدى ذلك الى افلاس شركة « امباير » فقط ، ولكن الى اصابة صناعة السينما كلها بضربة موجعة أيضا ..

واستطرد قائلا انه هو نفسه يخاطر مخاطرة كبيرة بالاقدام على هذا الاتفاق ، فلو أن شركة « امباير » عرفت حقيقة المؤلفة ، فلن يتردد جيروم كوب فى ذبحه بالمعنى الحرفى لهذه الكلمة ! ..

وبعد أخذ ورد طويلين ، وافقت الأم على اقتراح هيجنز ، ووقعت له الأوراق التى أعدها ، وأمرت بنتها بأن تذهب معنا وأن تعامل هيجنز من الآن فصاعدا كما لو كان عمها ..

فعدنا الى المكتب ومعنا ديزى ، لنجد أن كوب قد طلب هيجنز عدة مرات بالتليفون فى أثناء غيابه ، فأمر هيجنز مديرة مكتبه بأن تحبس نفسها مع الطفلة فى غرفة الاجتماعات الملحقة بمكتبه ، ثم اتصل بملك السينما وزف اليه بشرى توصله الى اقناع ديزى مارتشر بالتعاقد معه ..

واستطرد قائلا ان المبلغ الذى رضيت به المؤلفة أخيرا هـو مائه وعشرون ألف دولار تتقاضاه كله عند توقيع العقد ، وليس على دفعات كالعادة المتبعة •• وأنه هو الذى سيوقع العقد بالنيابة عنها بعد أن حصل منها على توكيل رسمى ، لأنها مصرة على عدم مقابلة أحـد من رجال السينما ••

وبعد أن وافق كوب على جميع هذه الشروط ، واتفق مع هيجنز على أن يتم توقيع العقد فى صباح الغد ، قال له هيجنز ان ضـميره لن يرتاح الا اذا أبلغه رأيه الصريح فى هذه الصفقة ، ورأيه الصريح هـو أن قصة « امرأة خاطئة » قصة تافهة وأن أفكار مؤلفتها هى أفكار طفلة صغيرة أو مخلوقة معتوهة ، وأنه لا ينبغى لشركة «امباير» أن تخرجها ••

فقاطعه كوب ليقول له فى غضب انه لايفهم شيئا فى موضوع قصص السينما ، وأنه شخصيا مقتنع بعظمة هذه القصة وروعتها ، وأنه لم يتمالك دموعه فى أثناء قراءتها ! ••

فرد عليه هيجنز قائلا : على أية حال ، أردت أن تعـرف رأيى بصراحة قبل أن آخذ أموالك ، لكيلا تتهمنى فى المستقبل بأنى خدعتك !

* * *

وبموجب أية قاعدة من قواعد المنطق ، كان من غير المعقول أن يظل موضوع ديزى سرا لمدة طويلة ، ولا سيما أن مكتب هيجنز يضم حـوالى الثلاثين موظفا وموظفة ، وأن مقر شركة « امباير » لا يبعد أكثر من كيلو مترين عن هذا المكتب •• ولكن قواعدالمنطق جميعا لاتسرى عـلى هوليوود ، فهى تعيش على منطق خاص بها لا سبيل الى وصفه أو تحديده، لأنه منطق دائم التقلب والتبدل ، وليس له أية قواعد أو أسس ثابتة ••

وهكذا ظل موضوع ديزى سرا برغم أن المنطق العادى كان يقتضى افتضاحه •• وكان السـبب الأول فى توفيق هيجنز فى اخفاء حقيقـة هذا الموضوع هو أن هوليوود لا تصدق شيئا بالمرة ! ••

فهوليوود تعرف أنها مدينة الكذب ، وأن الكذب هو غـذاء أهلها

اليومى .. ولذلك فان أحدا لا يصدق ما يسمعه فيها ، وان صدقه العـالم بأسره ! ..

فعشرات من مكاتب الدعاية التابعة لشركات السينما فى هـوليوود تعمل خلال أربع وعشرين ساعة يوميا ، على نشر الأكاذيب المختلفة .. ولذلك فانه لا يوجد ما يمكن أن يثير دهشة سكان هذه المدينة العجيبة ، ولا يوجد خبر يمكن أن تقتنع بصدقه ! ..

وكان هنالك سبب آخر ساعد على ابقاء موضوع ديزى سرا ، وهو أن ملوك السينما فى هوليوود يعيشون فى أبراج عاجية ، ولا يختلطـون الا نادرا برعاياهم .. ونادرا ما يوجد بين رجال حاشيتهم من يجرؤ على نقل الأخبار السيئة اليهم . فالمعروف أنهم لا يحبون سماع غـير المديح والاطراء والأخبار الطيبة ، ولذلك فانهم قلما يسمعون غيرها ! ..

* *

وأصبحت ديزى تقيم مع هيجنز فى منزله تحت رعاية أخته وعدد من الخدم ، وتحضر معه يوميا الى المكتب لتواصل هناك نشاطها الادبى ! ..

لقد أصرت على أن جو المنزل لا يساعدها على الكتابة ، فوافق هيجنز على قدومها الى المكتب ، بشرط أن تبقى وحدها فى غرفة الاجتماعات ، ولا تغادرها الا معه عندما يحين موعد العودة الى المنزل ..

أما شركة « امباير » فقد شرعت فى الاستعداد لتصوير القصة بمجرد أن تم توقيع عقد شرائها ، وتولى جيروم كوب بنفسه الاشراف على انتاج الفيلم الضخم الذى قرر أن يقدمه لجمهور السينما .. وصاحبت ذلك بطبيعة الحال حملة دعاية عملاقة أشادت فى الدرجة الأولى بعبقرية جيروم كوب وعددت مآثره على صناعة السينما ، وهللت للنجوم الذين اختارهم للظهور فى الرواية الرائعة التى اكتشف هو نبوغ مؤلفتها ! ..

وتغنى عدد من كبار الصحفيين والنقاد الذين يتناولون سرا أجورا ضخمة من جيروم كوب بعبقرية المؤلفة الجديدة التى اكتشفها سـاحر السينما ، ولم يتردد بعضهم فى تشبيهها ببلزاك وبرنارد شو ودستويفسكى !

* *

واضطررت الى مغادرة هوليوود لبضعة أسابيع لأعمال خاصة .. وعند

عودتي مررت بمكتب هيجنز فوجدته مطمئنا كل الاطمئنان الى عدم افتضاح مؤامرته ، وقال لى وهو يضحك ان ديزى لاتسبب له أية متاعب ، فهى تقضى اليوم كله وهى تكتب قصة سخيفة جديدة فى غرفة الاجتماعات بعنوان « بحر من الدماء » تدور حوادثها بين القراصنة ويقتل فيها عشرات الآلاف من الأشخاص فى سلسلة متصلة من المعارك البحرية ! ..

واستطرد قائلا انها لاتشكو أيضا من الوحدة ، لأن صبيا فى مثل سنها من أصدقائها يزورها فى المكتب يوميا بناء على طلبها ، بعد أن استدعته لتستشيره فى بعض النقط الفنية الخاصة بالقصة الجديدة ، باعتباره — فى رأيها — خبيرا فى شئون البحار والقراصنة ! ..

وتم تصوير فيلم « امرأة خاطئة » وشاهده فى عرض خاص رجال شركة « امباير » ورجال الصحافة الفنية وعدد من كبار الشخصيات فى هوليوود .. وكانت قصته تدور حول فتاة ظلت تتنقل بين عدد ضخم من العشاق الى أن التقت أخيرا بشاب بسيط فتح عينيها على الحب الصحيح فأقلعت عن سلوكها السابق وتزوجته ! ..

وأيقن جيروم كوب بعد أن شاهد تحفته كاملة أنه قد قدم عملا جديدا رائعا للسينما ، وقرر أن يعرض الفيلم بعد شهرين ، فى أسبوع عيد الميلاد .

* *

ومر حوالى الأسبوع على ذلك .. ثم فوجئت ذات صباح بجرس التليفون يوقظنى من نومى ، وصوت هيجنز يدعونى فى الحاح وقلق أن أذهب الى مكتبه فورا ..

وهناك وجدته فى حالة هياج شديد ، ومعه مديرة مكتبه وديزى مارتشر وصديقها الطفل .. وتبين أن سبب غضبه هو أن نسخة من قصة ديزى الجديدة « بحر من الدماء » قد أرسلت دون علمه الى مكتب جيروم كوب فى ظرف من ظروف مكتبه كتب عليه من الخارج اسم مؤلفته المفضلة لاغرائه بفتحه .. كما تبين أن كوب قد فتح الظرف فعلا بنفسه وقرأ

القصة السخيفه التى احتوى عليها ، فاستشاط غضبا واتصل بهيجنز ليطلب منه تفسيرا لهذا الحادث ..

وفوجىء هيجنز بمكالمة كوب ، وحاول أن يقنعه بأنه لاعلاقة له بالموضوع ، وبأن الأمر لا يخرج عن كونه « مقلبا » وضيعا دبره أحـــد الحاقدين على ديزى مارتشر بقصد الاساءة الى سمعتها ومكانتها الأدبية .. ثم جمع الطفلين ومديرة مكتبه ليعرف من منهم هو المسئول عن هـــذه الفضيحة ، ومن هو الذى أرسل نسخة القصة الى ملك السينما .

وأكدت له مديرة المكتب أنها لم تغفل مراقبة ديزى لحظة واحدة ، وأن الطفلة لذلك لايمكن أن تكون هى الجانية ..

وأنكر الولد مسئوليته عن الحادث فى أول الأمر ، ثم اضطر الى الاعتراف أخيرا بأنه هو الذى أرسل النسخة بتحريض من ديزى ، بعد أن قام بتهريبها من المكتب سرا ! ..

وفقد هيجنز سيطرته على نفسه عند سماع هذه الاعترافات ،فأمسك بالولد وأخذ يضربه ، على حين أخذت ديزى تصرخ وتحاول انقاذه من بين يديه ..

وحال صراخها وبكاء الولد دون سماعنا لباب المكتب وهو يفتح ،ولم نتنبه لدخول أحد الى المكتب الا عندما سمعنا صوت جيروم كوب يسأل هيجنز فى استنكار ودهشة عما يفعله هذان الطفلان فى مكتبه ، ولمـــاذا يضربهما بكل هذا الغل وكل هذه الحرقة ..

فالتفتنا الى ناحية الصوت لنرى كوب واقفا بالباب وحوله عدد من رجاله ، وبيده نسخة « بحر من الدماء » التى أرسلت اليه ..

وحاول هيجنز أن يسترد بسرعة هدوء أعصابه وسيطرته على نفسه، وقال ان هذين الطفلين « الشقيين » هما ولدا أخته ، وأنه كان يداعبهمـــا فقط ولا يضربهما .. وطلب من مس فلانيجان أن تخرج بالطفلين من المكتب .. ولكن ديزى قالت انها لن تخرج من هنا الا بعد أن تأخذ جميـع

أوراقها ، لأنها لم تعد تحب هيجنز ولا تريد أن تتعامل معه في المستقبل ..

وخشي هيجنز أن تتمادى ديزى في الحديث أكثر من ذلك ، فتجاهلها وسأل كوب عن سبب تشريفه لمكتبه ..

فقال ملك السينما وهو يلوح بقصة « بحر من الدماء » انه جاء الى هنا لكي يبحث بنفسه عن الشخص السافل الذى كتب هذه القصة الحقيرة وأرسلها اليه .

وهنا أدركت ديزى أن القصة التي يحملها كوب هي قصتها ، فهجمت عليه وحاولت أخذها منه وهي تقول له : أعطني قصتي .. انكم جميعا غير جديرين بها ! ..

فاتسعت عينا كوب دهشة وسألها اذا كانت هي حقا مؤلفة هذه القصة ، فقالت له انها هي المؤلفة وانها هي أيضا مؤلفة « امرأة خاطئة » فتجمع حولها مساعدو كوب وأخذوا يستجوبونها في دقة .. وتبينوا من ردودها على أسئلتهم أن ما تقوله صحيح ، وأنها هي فعلا ديزى مارتشر ..

ولم يجد هيجنز فائدة من الانكار ، فقال ان هذه هي الحقيقة ، وأنه بذل من ناحيته كل ما في وسعه لاثناء كوب عن شراء « امرأة خاطئة » .. فأخرسه كوب بصرخة هائلة ، وقال له انه سوف يسلمه الى الشرطة فورا بتهمة الغش والخداع الاجرامى .. وهجم عليه على نحو خيل الى معه أنه ينوى أن يضربه ..

ولكنه لم يفعل وانما امتقع لونه فجأة ، ووضع يده على صدره ، فانتاب الذعر مساعديه ، وسارعوا الى اسعافه .. وعندما استرد هدوءه أخيرا أقنعه رجاله بأن ابلاغ الشرطة لن يعود بغير الضرر على الشركة لأن الفيلم قد تم صنعه وأصبح معدا للعرض ، وأن أفضل حل هو الاستمرار في اخفاء حقيقة المؤلفة ..

فذهبنا جميعا الى مكتب كوب ، وهناك أصر كوب على نقل الوصاية على الطفلة من هيجنز اليه ، ليضمن بقاء أمرها سرا .. فاستدعيت أم الطفلة

ووافقت على ذلك ، بعد أن أغراها كوب بمبلغ كبير من المال ووعدها بأن يخصص منزلا ريفيا مستقلا لاقامة بنتها •

غير أن الطفلة خلقت اشكالا جديدا ، عندما رفضت أن تطيع أوامر أمها وتقبل وصاية كوب عليها ، فقد كانت تحقد عليه بسبب مهاجمته لقصتها الثانية •• فتبرع هيجنز بايجاد الحل لهذه المشكلة الجديدة ، واقترح أن يتعهد كوب بشراء قصة « بحر من الدماء » وكذلك كل ماسوف تكتبه ديزى فى المستقبل •• وقال أن الشركة لن تخسر شيئا من وراء ذلك ، لأنها قد جعلت لاسم ديزى مارتشر دويا هائلا ، وبذلك ضمنت النجاح لكل فيلم تنتجه فى المستقبل ويحمل اسمها ••

فاضطر كوب الى الموافقة على هذا الحل الذى ضمن لهيجنز عشرة فى المائة من كل مبلغ تتقاضاه ديزى فى المستقبل ، على اعتبار انه سوف يظل هو وكيلها الفنى •• كما ضمن أيضا رضاء ديزى وسكوتها ! ••

وسافرت ديزى بعد ذلك الى المنزل الريفى الذى أعده لها جيروم كوب •• وسافر جيروم كوب الى احدى المصحات ليسترد صحته التى أتلفتها مغامرته المرهقة مع ديزى مارتشر ! ••

وصحب معه الى المصحة بطبيعة الحال جميع أفراد حاشيته ، الذين أقنعوه بأن عبقريته وحدها هى التى أنقذت الموقف ، وبأنه صنع ما يشبه المعجزة اذ حول التفاهة التى كتبتها بنت صغيرة الى قصة سينمائية رائعة !

وأكد له صواب رأى مساعديه ، النجاح الساحق الذى حققه فيلم « امرأة خاطئة » •• فقد ربح فى فترة قصيرة عدة ملايين من الدولارات ، وفاز بجائزة « الأوسكار » ! ••

نهاية الحكاية

للكاتب الانجليزى : جراهام جرين

سئل الكاتب الانجليزى الكبير سومرست موم مؤخرا عمن هو أعظم كتاب القصة فى بريطانيا فى الوقت الحاضر فى رأيه .. فأجاب بلا تردد: انه جراهام جرين ..

ولا شك أن كثيرين جدا من النقاد والقراء يشاركون سومرست موم رأيه .

ولا شك أيضا أن مؤلفات جراهام جرين الهامة مثل « الامريكى الهادىء » و « الرجل الثالث » و « رجلنا فى هافانا » وغيرها ، لم تضعه فى طليعة كتاب بريطانيا وحدها ، وانما فى صف أعظم كتاب القصة المعاصرين فى العالم كله .

ومن رواياته التى أثارت اهتماما كبيرا فى الأوساط الأدبية العالمية ، رواية « نهاية الحكاية » التى نشرها منذ سنوات قليلة ، وأعيد طبعها مرات كثيرة ..

وهى رواية تعكس شغف جراهام جرين العظيم بالموضوعات الدينية، واشتغاله الدائم بالتفكير فيها .

وقد كان من نتائج اهتمام جرين بشئون الدين والمسائل الروحية أنه جعلها محورا لعدد من مؤلفاته .

كما أنه تحول فى رجولته عن المذهب البروتستانتى الذى ولد عليه ، الى المذهب الكاثوليكى ..

و « نهاية الحكاية » مكتوبة بصيغة المتكلم .. وبطلها يبدأ روايتها

بقوله : انه يسجل قصة بغض وكراهية •• قصة بغضه وكراهيته الشديدين لهنرى مايلز ولزوجته سارة ••

ولكننا لا نلبث ان نكتشف ان ما يسميه بغضا وكراهية انما هو فى الواقع حب عنيف طاغ يحمله لسارة زوجة هنرى ، ولا يستطيع الافلات من تاثيره الساحق عليه لحظة واحدة ••

وهو يوهم نفسه بأن حبه العظيم لها قد انقلب الى مقت شديد ، لأنها قطعت كل صلة لها به منذ حوالى العــــامين واختفت تماما من حياته بعد أن كانت تبادله الحب الآثم •• ولأنه لم يستطع أن ينساها طوال هذه المدة ، أو يحد من شعوره المدمر بالغيرة عليها ، واللهفة على استعادة حبها ••

***

وعند بداية الرواية فى عام ١٩٤٦ – حين يكون قد مر حوالى العامين على بطلها موريس دون أن يلتقى بسارة مرة واحدة – نراه يسير ذات ليلة ممطرة فى الحديقة العامة الواسعة التى تفصل منزله عن منزل حبيبته فى لندن ، وفى نيته أن يتناول كأسا فى الحانة القريبة ••

وفجأة ، يجد أمامه هنرى زوج سارة ••

ويقول موريس انه كان فى امكانه أن يتجاهل هنرى ، ولا سيما أن هنرى لم يتبينه فى الظلام ، ولكنه أحس بقوة خفية تدفعه لأن يكلمه برغم بغضه له وغيرته منه ، فأوقفه وحياه ودعاه لأن يشرب كأسا معه ••

فقبل هنرى وأخذ يسأله فى مودة عن أحواله وعن سبب انقطاعه الطويل عن زيارته ••

فأجابه موريس بأن انهماكه فى تأليف كتاب جديد هو الذى أبعده عن أصدقائه ••

ثم سأله عن أحوال سارة وهو يتمنى أن يسمع انهــا تعيسة أو مريضة أو تحتضر ، لأنه كان يتصور أن لاشىء فى الوجود يمكن أن يخفف عذابه ويشفى غليله مثل أن يعرف أن سارة تتعذب •• وأن لاشىء

يمكن أن يخلصه من أسر التفكير المتواصل فيها ، غير أن تموت هي وتختفي من الدنيا كلها ..

ويجيبه هنري بأن سارة بخير ، وانهـــا الآن في زيارة لاحدى صديقاتها ..

فيقول موريس لنفسه وهو يحس بأن حقده عليها يكاد يخنقه ، بل لابد أنها مع عشيقها الجديد ، مثلما كانت تكون معي على حين كنت تظن أنت أيها المغفل انها في زيارة صديقتها ! ..

وبعد أن يشربا بضعة كئوس معاً في الحانة ، يدعو هنري موريس الى مواصلة الشراب في بيته ، لأن هناك مشكلة تشغله ويود أن يحدثه عنها.. ولكن عندما يصلان الى البيت يبدو عليه أنه لا يعرف كيف يبدأ الحديث ، فيلح عليه موريس بأن يفتح له قلبه ..

وأخيرا يتغلب هنري على تردده ، ويقول ان سلوك سارة في المدة الأخيرة يثير قلقه وشكوكه وحيرته ، وأنه لذلك سر لرؤيته لأنه صديق العائلة الوحيد الحميم الذى لايتحرج من الحديث عن شئونه الخاصة أمامه في صراحة تامة . .

ثم يسأل هنري في براءة تثير سخرية الآخر وتلهب كراهيته ، اذا كان يعتقد أنه من الممكن أن تسلك سارة سلوكا غير قويم أو تتخـــذ لها في السر صديقا . .

فيجيبه موريس قائلا ان سارة بشر على اية حال ، ويمكن ان تقع مثل غيرها فريسة للضعف البشرى .

وعندما يبلغه هنري بأن القلق وصل به الى حد التفكير في تكليف أحد مكاتب التحريات الخاصة بمراقبة سارة ومعرفة جميع حركاتهـــا وسكناتها .. يتحمس موريس للفكرة ، ويشجعه على تنفيذها .. ثم يتطوع بأن يتولى هو بدلا منه ، الاتصال بمكتب التحريات الخاصة لكي يعفيــه من حرج الظهور بمظهر الزوج غير الواثق في زوجته ..

ولكن هنري يعود ويستبشع الفكرة ، ويقول ان شكوكه كلها قد تكون راجعه الى تعب اعصابه هو وليس الى اى شيء آخر .. ويرجو صديقه أن ينسى الموضوع كلية .

ويأخذ موريس فى المرابطة أمام منزلها كل مساء لايام عدة بعد تلك الليلة ، على أمل ان يراها تخرج فيلتقى بها كما لو كان الأمر مصادفة ، ولا يفكر الا فيها طوال ايامه ولياليه .. ولكن المصادفة التى ينتظرها لا تتحقق أبدا ..

وأخيرا يتكاتف حبه لها وحقده وغيرته عليها وشكه فى سلوكها وظمؤه الى الانتقام منها وتدمير حياتها .. تتكاتف هذه المشاعر جميعا فى حمله على التوجه الى أحد مكاتب التحريات الخاصة ، وتكليفه بمراقبة سارة .

***

ولا يكف موريس بعد ذلك عن استعراض علاقته القديمة بسارة بينه وبين نفسه ..

فهو يذكر كيف تعرف بها وبزوجها لأول مرة قبل نشوب الحرب بمدة قصيرة فى عام ١٩٣٩ .. ويذكر كيف أن جمالها وذكاءها بهراه منذ اللحظة الأولى التى وقعت فيها عيناه عليها .

ويذكر كيف نشأت العلاقة الغرامية بينهما فى سهولة بعد ذلك ، وكأنما كان كل منهما يعرف أنه مقدر له أن يقع فى حب الآخر ..وكيف أتاح له اعفاؤه من التجنيد بسبب عاهة قديمة فى قدمه ، أن يبقى قريبا من سارة طوال مدة الحرب ..

ثم يذكر كيف اشتد ولعه بسارة الى حد أنه أصبح يتمنى لو تركت هنرى وأصبحت له وحده ، وكيف كانت ترفض دائما تحقيق رغبته هذه على الرغم من عدم حبها لزوجها ، وذلك لأنها كانت تعرف مقدار حب هنرى لها ومقدار الألم الذى ستسببه له لو تركته ..

ويذكر أيضا كيف كان يشعر بغيرة عنيفة من ماضيها بعد أن حدثته عن مغامراتها الغرامية السابقة ..

ويذكر كيف استمرت علاقتهما خمسة أعوام كاملة ، كانت هى أسعد أيام حياته برغم كل ما احتوته من غيرة وقلق .. وكيف انتهت هذه السعادة فجأة دون سابق انذار ..

ففى آخر مرة التقى فيها بسارة ، كانت تمثل دور العاشقة المتيمة التى تبادله أحد العـــواطف وأعمق الغرام .. ثم اختفت بعد ذلك كلية من حياته ، وتنكرت لكل ماكان بينهما من قبل ..

فأيقن أنها كانت تخدعه في ذلك اللقاء الأخير ، وتضمر الغدر له.. ولم يشك فى أنها تركته لتتفرغ لعشيق جديد ، وأنها نسيت كل وعودها له ..

ولأنه لم يستطيع أن ينسى مثلها أو أن يلهى نفسه بأية علاقة جديدة ، ولأنه أصبح يعيش فى عذاب مقيم ، فقد أقنع نفسه بأنه بات يكرهها وبأن تفكيره الدائم فيها مبعثه الحقد ..

وهو يستعيد فى ذهنه المرة تلو المرة تفاصيل لقائه الأخير بهـــا ، وكأنما يتلذذ بالألم الذى تثيره فيه تلك الذكرى .. فيذكر كيف قضيا ساعات طويلة معاً فى غرفة نومه فى هناء تام الى أن أفزعهما اهتزاز المنزل اهتزازا عنيفا بسبب انفجار كان من نوع جديد عليهما ، وهو ســـقوط الصواريخ الألمانية على لندن لأول مرة .

ويذكر كيف اقترح عليها ان ينزلا الى المخبأ ، وكيف قالت انهـــا تخشى أن تكون صاحبة المنزل هناك .. فنزل هو ليتيقن خـــلوه وتركها وحدها فى السرير ..

ولكنه ما كاد يبلغ الباب الخارجى حتى حدث انفجار رماه أرضـــا وقذف بالباب فوقه ، فغاب عن وعيه فترة ، ثم استيقظ وعاد الى غرفة النوم ليجدها راكعة تصلى وقد كادت تموت من شدة الخوف ..

ويذكر في حنق وغيظ كيف غسلت له الجروح التي كان قد اصيب بها ، في حنان ادرك فيما بعد انه كان مصطنعا ، وكيف عادت الى منزلها بعد ذلك مباشرة دون أن تقول له كلمة واحدة يفهم منها أنها قررت أن تضع حدا لعلاقتها به ..

ويذكر كيف انتظر مكالمتها التليفونية المعتادة في اليوم التالى ، فلم تتصل به .. وعندما سأل هو عنها تليفونيا بعد ذلك ، علم أنها قد غادرت لندن الى الريف ..

وعندما بعث اليها برسالة على عنوانها في الريف ، لم ترد عليه .. ثم تجاهلته تماما عند عودتها الى لندن بعد بضعة أسابيع ..

وقد قضى العامين اللذين مرا على لقائهما الأخير وهو يتحرق على فرصة للانتقام منها بسبب غدرها به وهجرها له .. وها هي الفرصة قد جاءته أخيرا بشكوى زوجها من تصرفاتها ، وتنبهه أخيرا الى خيانتها له..

***

وينتظر موريس بصبر نافد تقارير مكتب التحريات الخاصة ويوطد علاقته بالموظف الذى عهد اليه المكتب بمراقبة سارة ليحثه على القيام بمهمته بنشاط !

وأخيرا يتمكن هذا الموظف من أن يسرق له مذكرات سارة الخاصة التي تحتفظ بها في غرفة نومها ، فيفرح كثيرا لهذا النجاح الذى يظنه كفيلا بفضح أسرار سارة وبالكشف عن العلاقات الآثمة التي أنشأتها بعد أن نبذته ..

ولكنه يفاجأ بأن ما ترويه المذكرات يختلف تماما عما كان يتوقعه .

فهو يكتشف أولا أن سارة كانت تحبه حقا أيام علاقتهما ، وأنها كانت صادقة في قولها انه الرجل الوحيد الذى انفتح قلبها له ..

ثم يكتشف أن شيئا غريبا قد حدث في آخر لقاء بينهما ، كان هو الذى فرق بينه وبينها ، وليس أي غرام جديد وقعت هي فيه ..

فهى تسجل فى مذكراتها أنها شعرت بالخوف عليـــه عندما وقع الانفجار الجديد بعد نزوله الى المخبأ فغادرت غرفة النوم ونزلت وراءه ..

وعنــد مدخل البيت وجدته ممددا والباب فوقـه ، فظنت أنه قـــد مات ..

فاستولى عليها فزع هائل جعلها تعود جارية الى الغرفة وترتمى على الأرض مبتهلة الى الله أن يعيد اليه الحياة ..

وأقسمت اذا استجاب الله الى دعائها ، ألا تعود الى ارتكاب الاثم معه قط ..

فلما تبينت أنه لم يمت ، اعتبرت نفسها مطالبة بالمحافظة على قسمها .. فابتعدت عنه برغم أن كل جارحة فيها كانت تشدها اليه ..

***

وعندما اشتد حنينها اليه بعد ذلك ، فكرت فى أن تتحلل من قسمها .. وأرادت أن تستمد ما يشجعها على هذا من غير المؤمنين بالدين ..

فأخذت تتردد سرا على رجل اشتهر بالحاده بدعوته الى نبذ الدين

وكانت هذه الزيارات السرية هى التى أثارت شكوك زوجها ..

ولكن أحاديثها مع داعية الالحاد ، دعمت ايمانها بدلا من أن تزعزعه وجعلتها تصر على الالتزام بقسمها ، برغم ما يفرضه عليها ذلك من عذاب .

ويكاد موريس يطير فرحا عندما يطلع على ما جاء فى المذكرات ويعرف أن سارة لاتزال تحبه ..

ولكن فرحته لا تطول اذ يكتشف عندما يتصل بها تليفونيا أنهـــا مصممة على الاستمرار فى مقاطعته ، وترفض أن تقابله ..

وعندما يبلغها أنه سوف يحضر اليها فى منزلها ليقابلها ســواء شاءت ذلك أم أبته ، تهدده بأنها سوف تغادر المنزل لو جاء اليه ، على الرغم من أنها مريضة وعلى الرغم من رداءة الطقس ..

ولكنه لا يعبأ بتهديدها ، ويتوجه جارياً الى منزلها ، فيصل اليه بعد خروجها منه بلحظات ..

ويلمحها من بعيد سائرة تحت الثلج المتساقط ، فيتبعها الى أن تدخل احدى الكنائس ، ولا يتركها الا بعد أن يجعلها تعده بأن تتصل به بمجرد أن تشفى من المرض الذى تشكو منه ..

ولكنها لا تشفى أبدا ، اذ تزداد حالتها سوء بسبب تعرضها للبرد .. وبعد أيام قليلة ، تموت ..

ويظل موريس وحيدا ليحول كل بغضه وكراهيته الى الايمـــان الذى تبين انه كان غريمه الحقيقى وأنه هو الذى سلبه سارة وأبعدهـــا عنه ..

ولكن هل يوجد ما هو أقرب الى الحب ، من الكراهية والبغض ؟!

الكبالا

للكاتب الأمريكى : ثورنتون وايلدر

تعد رواية « جسر سان لويس رى » التى ألفها الكاتب الأمريكى ثورنتون وايلدر منذ حوالى ربع قرن ، من أشهر الأعمال القصصية فى الأدب العالمى المعاصر •• وقد فاز وايلدر بجائزة «بوليتزر» ـ أهم الجوائز الأدبية فى أمريكا ـ عن هذه الرواية ، وأصبح بعد نشرها من أبرز كتاب بلاده ••

وفاز وايلدر بجائزة « بوليتزر » مرة أخرى عن مسرحيته الشهيرة « بلدتنا » التى كانت غريبة فى فكرتها وفى أسلوبها المسرحى ••

ومن يومها تميز كل ماكتبه من روايات ومسرحيات بالغرابة التامه وبالخروج عن المألوف ••

ومن أشهر أعماله ـ ومن أكثرها غرابة فى الوقت نفسه ـ رواية « الكبالا » التى ملأها بالرموز الغامضة والحوادث الشاذة والشخصيات الخيالية التى لا يمكن أن يكون لها مثيلاتها فى الواقع ، والتى أراد أن يرمز بها الى الذين لا تزال بقايا الوثنية راسبة فى أعماقهم ، على الرغم من انهزام الوثنية أمام الأديان منذ آلاف السنين ! ••

والشخصيات التى رسمها لترمز الى المتخلفين من عصور الوثنية ، ترمز فى الوقت نفسه أيضا الى الرجعيين من كل نوع ••

فالوثنية فى هذه الرواية لا ترمز الى عبادة الأصنام القديمة وحدها التى كان الناس يتخذون منها آلهة فى العصور الغابرة ، وانما الى عبادة جميع الأصنام التى يصنعها البشر ويجعلونها هدفا للتقديس ! ••

والرواية تصور صراع هذه الشخصية الوثنية اليائس ضد جميع أسس الحضارة العصرية ، واصرارها على أن تخوض في عناد معركة أخيرة خاسرة من أجل استبقاء معتقداتها الدراسية التي لم يعد لها مكان في عالم اليوم ..

***

وقد اختار وايلدر روما لتكون مسرحا لحوادث روايته ، ربما لأنها تحمل اسم « المدينة الخالدة » وتصلح تبعا لذلك لأن تكون رمزا لكل مدينة في كل زمان ومكان .. وجعل أبطال روايته يؤلفون فيما بينهم طائفة خاصة تجمعهم وحدهم دون سائر الناس ، وتعزلهم عن الآخرين ..

فهم لا يختلطون بأحد غريب مطلقا .. وعلى الرغم من انه لاتوجد أية رابطة رسمية تضمهم ، ولا أية أهداف واضحة محدودة المعالم توجه نشاطهم ، فان الناس يطلقون على مجموعهم اسم « الكبالا » .. وهو اسم جمعية سرية قديمة ، كان أعضاؤها يتهمون بممارسة السحر ! ..

وسبب هذه التسمية ـ التي يستخدمها المؤلف أيضا كرمز ـ هو أن أهالي روما يحسون بأن لأعضاء هذه الجماعة الغامضة نفوذا سحريا يمتد الى جميع نواحي الحياة السياسية والدينية والاجتماعية في بلدهم ، ويؤثر على نحو خفي في مجرى الأحداث ! ..

***

ولكل عضو من أعضاء « الكبالا » اهتمامه الخاص .. وان كانوا جميعا يشتركون في صفة التمسك الهستيري بواحدة أو أكثر من الأفكار أو العادات أو التقاليد المندثرة المتحجرة ، مهما كلف الامر ! ..

فاحدى أعضاء هذه الجماعة ـ مثلا ـ وهي وارثة فرنسية واسعة الثراء ، تؤمن بأن جميع مصائب العالم وكوارثه ، تعود الى انصراف الناس عن الدين ، وعن المذهب الكاثوليكي بالذات !

وتؤمن وفقا لذلك بأن كل عمل اصلاحي يجب أن يتجه أولا الى تثبيت دعائم الكاثوليكية ، واعادة ما كان لها من قوة من قبل ..

وعلاوة على ذلك ، فهى تعتقد أنها يجب أن تضع حياتها وثروتهـــا العريضة كلها فى خدمة هذا المبدأ ، وفى محاربة النظريات التى لا تتمشى معه !

وهى تعتقد أيضا أن نفوذ الكنيسة قد ضعف فى العالم نتيجة لاهتزاز النظام الملكى .. وأن ظهور الجمهوريات قد فتح الباب للالحاد والمبادىء الهدامة التى تتألف – فى رأيها – من كل فكرة متحررة ، وكل رأى يتعارض مع تعاليم الدين ، وفقا لفهمها الخاص لتعاليم الدين !

وأوربا – المعقل التقليدى القديم للكاثوليكية – لا يمكن أن تعـــود فى رأيها الى وضعها القديم ، ولا يمكن أن ينصلح حالها ، الا اذا عادت الملكية الى فرنسا باعتبارها أقوى الدول الكاثوليكية وأهمها فى أوربا !

بل أكثر من ذلك ، فهى تؤمن بوجوب اعادة الحق الالهى الى الملوك .. أى أن ينظر الناس من جديد الى الملوك على أنهم جالسون على عروشـهم بأمر الله ، فلا يفكرون تبعا لذلك فى عصـــيان أمرهم أو فى التمرد على سلطتهم ..

فذلك وحده – فى نظرها – هو الطريق الى نشر الطمأنينة وضـمان الاستقرار !

والوسيلة التى تطمع فى أن يتحقق ذلك بوساطتهـــا ، هى أن تتبنى الكنيسة الكاثوليكية هذا المبدأ ، وتجعله من بين تعاليمها الرسمية التى تفرضها على أتباعها ..

وآمالها فى تحقيق كل ما تصبو اليه ، وفى أن تستعيد الكنيسة الكاثوليكية سلطتها القديمة ومجدها الغابر ، وفى أن ينعم العالم تبعا لذلك بالهناء والهدوء والرخاء .. هذه الآمال تتركز جميعا فى شـــخص كاردينال معروف ، ترجو أن يتم على يديه كل ما تعتقد أنه ينبغى أن يكون ..

فهى من ناحية تعتقد – بلامبرر ! – أن هذا الكاردينال يشاركها آراءها ويؤمن بها مثلها ، ولذلك تنتظر منه أن يعمل على نصرة المبادىء ، التى تظن أنه يتحمس لها ..

ومن ناحية ثانية ترى أن هذا الكاردينال ـ بحكم تاريخه الحافل ومكانته الكبيرة فى دوائر الفاتيكان ـ هو أصلح من يقود حملة جديدة جبارة لاعادة الناس الى حظيرة الايمان الصحيح ، ولتوجيه الكنيسة الكاثوليكية نحو الطريق الكفيل بتثبيت مجدها وكفالة السيادة الشاملة لرسالتها .

ولذلك فهى لا تكف عن الالحاح عليه فى وجوب أن يؤلف كتابا يدعو الناس فيه الى الالتفاف حول الكنيسة ، ويفند فيه حملات الملحدين ويكشف عن ضعف حججهم ويرد كيدهم ..

كما لا تنقطع عن مطالبته باستخدام نفوذه فى الفاتيكان ، لجعل آراءها جزء من سياسة الفاتيكان الرسمية !

وفضلا عن ذلك فهى لا تتردد فى اجابة كل طلب يتقدم به أى قسيس كاثوليكى اليها ، الأمر الذى جعلها فريسة سهلة لعدد كبير من المحتالين والمستغلين ..

فقد كان يكفى أن يجيئها أى مدع زاعما أنه يعمل فى التبشير فى أية منطقة بعيدة من العالم ، أو أى نصاب قائلا انه يحتاج الى مال لتنفيذ مشروعات من شأنها خدمة القضية الكاثوليكية .. لكى تعطى أيا منهم كل ما يريد ..

وأمام تفريطها المتهور فى أموالها ، وازاء الحاحها المستمر عليه لكى يقوم بأعمال كان فى قرارة نفسه يسخر منها ويدرك سخافة التفكير فيها .. رأى الكاردينال أن من واجبه أن يبصرها بحقائق الحياة وأن ينبهها الى ما هى فيه من ضلال ..

ولكنه ما كاد يحاول أن يفتح عينيها على أخطائها ، حتى جن جنونها .. وأيقنت أن الكاردينال الذى وثقت به وجعلته معقد آمالها ، ليس الا الشيطان نفسه متنكرا فى صورة أحد رجال الدين .. فلم تتردد فى اطلاق الرصاص عليه !

ومع أن الكاردينال لم يصب بسوء من جراء فعلتها ، الا أنها قررت

بعدهـا اعتزال العـــالم ، واعتكفت نهائيا فى احد قصورها النائية فى الريف !

ومن بين أعضاء « الكبالا » سيدة أخرى من عائلة عريقة جارعليها الزمان ولكنها لا تزال تعتقد أنها بحكم أصلها أفضل من الناس أجمعين !

ولهذه السيدة ابن في سن المراهقة ، ترجو أن يستعيد أمجاد أسرته وتربيه كما لو كان من أبناء الملوك ..

ومن بين معتقداتها أن ابنها لا ينبغى له أن يتصل بالنساء اللواتى لسن من طبقته - في إنتظار أن يتزوج احدى النبيلات - فتحيطه برقـــابة صارمة ، وتثير اهتمامه بالرياضة لتحويله عن الاهتمام بالنساء !

ولكن الكبت غير الطبيعي الذى تفرضه عليه ، يؤدى به الى الفتك بشقيقته ذات ليلة .. وقبل أن يطلع عليه النهار ، يكون قد إنتحر تكفيرا عن جريمته المنكرة ..

وتؤمن سيدة ثالثة من أعضـــــاء « الكبالا » بالحب المثـــالى الذى تغنى به الشعراء القدماء .. وتتوهم أنها وقعت فى غرام شاب أمريكى ، فتطارده بعواطفها المثالية وأوهامها الخرافية الى أن تثير حقده عليها وتحيل حياته الى جحيم ، فلا يجد مجالا للخلاص منها فى النهاية الا بالفرار من ايطاليا كلها ..

فتقاطع الناس جميعا بعد ذلك ، وتظل تجتر مرارة خيبة أملهـــا الى أن تموت !

وتتوالى الرموز بعد ذلك ، مسجلة هزائم عبدة الأوثان من مختلف الأنواع .. الى أن ينتهى الكتاب ، تاركا قارئه فريسة لعواطف متباينة ، هى مزيج من الحيرة والدهشة ، والسخط والاعجاب !!

الريح لا تعرف القراءة !

للكاتب الانجليزي : ريتشارد ميسون

تقول احدى القصائد اليابانية :

« على الرغم من أنه يكتب على اللافتات : لا تقطفوا هذه الزهور .

فان ذلك لا يجدى مع الريح لأن الريح لا تعرف القراءة » !

ومن هذه الأبيات ، أخذ الكاتب الانجليزى ريتشارد ميسون عنوان روايته الناجحة « الريح لا تعرف القراءة » ..

والريح فيها ترمز الى القدر ، الذى لا يجدى معه شيء !

ورواية ميسون هذه ـ مثل روايته الأخرى الممتازة « عالم سوزى وونج » ـ ترسم صورة شائقة للقاء مثير بين الشرق والغرب ..

والشرق فى هذه الرواية تمثله فتاة رقيقة جميلة من اليابان ..

والغرب يمثله شاب وسيم طيب من بريطانيا ..

وحوادث الرواية تدور فى الهند فى أثناء الحرب الأخيرة .

***

فبطل الرواية هو طيار انجليزى يصاب بجروح فى أثناء معركة بورما ، ثم يتاح له بعد ذلك أن يفر الى الهند عبر الأدغال الكثيفة التى تفصلها عن بورما ..

وبما أن الأمراض التى يصاب بها فى أثناء الفترة التى قضاها فى الأدغال ، تجعله غير صالح للعودة الى الطيران الحربى ، من ناحية .. وبما أنه مثقف ويجيد أكثر من لغة أجنبية من ناحية أخرى ..

فان القيادة البريطانية فى الهند تقرر أن تلحقه بمدرسة خاصة لتعليم اللغه اليابانية فى بومباى ، يتولى طلبتها بعد تخرجهم مهمة استجواب اليابانيين الذين يقعون فى الأسر ..

ويفرح الطيار بهذا القرار الذى يعفيه من العودة الى الميدان ، ويقبل على دراسة اليابانية فى حماسة كبيرة مع الضباط الآخرين الذين يتعلمون معه ..

ويدير هذه المدرسة ضابط مخابرات بريطانى كبير ، كان قد أقام مدة طويلة فى اليابان قبل الحرب ، وتعلم لغتها ..

ويقوم بالتدريس فيها عدد من اليابانيين المدنيين الذين كانوا موجودين فى الهند عند نشوب الحرب ، فاعتقلوا .. ثم خيروا بعد ذلك بين البقاء فى المعتقل وبين تدريس لغتهم للضباط الانجليز ، فلم يمانعوا فى القيام بهذه المهمة .

وذات يوم يعلن مدير المدرسةأن معلمة جديدة سوف تنضم الى هيئة التدريس ، ويقول انها وصلت لتوها من بريطانيا خصيصا للالتحاق بالعمل فى المدرسة ، وأنها تحمل اسما صينيا مستعارا تفاديا للاشكالات التى لابد أن تنشأ لو عرف الناس أنها يابانية ..

ويظن الضباط الطلبة أن المدرسة الجديدة لابد أن تكون عجوزا شمطاء ، ولكنهم يفاجأون فى اليوم التالى باكتشاف أنها شابة باهرةالجمال طاغية الفتنة .. فتتضاعف حماستهم لتعلم اللغة اليابانية !

ويحاول بعضهم أن يتودد اليها بطبيعة الحال ، ولكنها تصدهم جميعا فى رفق .. الا بطل الرواية الذى تعجب به من اللحظة الاولى مثلما يعجب هو بها ..

فعندما ينتظر موعد خروجها من المدرسة يوما ، ثم يتظاهر بأنه التقى بها مصادفة فى الطريق ، ويعرض عليها أن يوصلها الى الفندق الذى تقيم فيه ، تقبل دعوته .. وقبل أن يفترقا يكونان قد اتفقا على موعد لقاء آخر !

ويتكرر التقاء الشابين بعيدا عن المدرسة ، وسرعان ما تنشأ بينهما مودة قوية ، لا تلبث أن تتطور الى حب عنيف !

وتقول الفتاة للشاب انها تخشى أن تفقد حبه لو أطلعته على قصتها .. ولكنه يؤكد لها أن لا شيء في الوجود يستطيع أن يقضي على حبه لها ، ويظل يلح عليها الى أن تذكر له ماضي حياتها كله ..

فتخبره بأنها كانت وحيدة والديها الثريين ، وأنها ظلت تعيش معهما في اليابان الى ما قبل الحرب بفترة قصيرة ..

ثم أراد والدها أن يزوجها من عريس لم تكن هي تريده فرفضت وغضب أبوها وأصبحت أمها تبكي بلا انقطاع .. فظنت هي أن أمها تبكي لاستيائها من رفضها ، ولكنها علمت بعد ذلك أن أمها كانت تبكي حزنا عليها ، وان كانت لا تملك – بحكم التقاليد اليابانية – أن تعارض قرار الأب ..

وأمام دموع أمها التي لم تكن تعرف حقيقة سببها ، وثورة والدها المحافظ ، قبلت اخيرا أن تجتمع بالرجل الذي اختاره لها والدها ، والذي لم تكن تشعر نحوه بغير النفور ..

فأصبح الرجل يتردد كثيرا على منزل أسرتها ..

ولكنه بدلا من أن يتودد اليها ويستميلها اليه تدريجيا ، انتهز فرصة وجودها وحدها ذات يوم ، واغتصبها ! ..

فأصيبت بانهيار عصبي خطير .. وأدرك والدها أخيرا أنه ظلمها فأخذها مع أمها الى بريطانيا ليبعدها عن المحيط الذي تلقت فيه الصدمة التي أضرت كثيرا بصحتها ..

وأحبت هي بريطانيا كثيرا ، الى حد أنها لم تشأ أن تعود مع والديها الى وطنها عندما لاحت في الأفق نذر الحرب ..

وأمام اصرارها وضعف صحتها ، وافق والدها على أن تظل في

لندن في رعاية أحد أصدقائه من اللوردات الانجليز ، على حين عاد مع أمها الى اليابان ..

وعندما قامت الحرب بعد ذلك ، حماها نفوذ صديق أبيها اللورد من الاعتقال .. وظلت تقيم في كنفه الى أن طلبت منه السلطات البريطانية أن يبعث بها الى الهند لتعمل في تدريس اللغة اليابانية ، فجاءت ..

وبعد أن تنتهي الفتاة من سرد قصتها ، تسأل الشاب في حزن حقيقي اذا كان لا يزال يستطيع أن يحبها بعد آن علم بتجربتها مع الرجل الياباني .. فيعجب لسذاجتها وبراءتها ويقول لها صادقا ، ان حبه لها قد زاد ولم ينقص بعد أن ألم بتجربتها القاسية التي لا يمكن أن تكون هي مسئولة عنها ، ولم تجن منها غير الألم والعذاب ..

ولكي يبرهن لها على صدق كلامه ، يعرض عليها أن يتزوجها فورا ، ولكنها ترفض رفضا قاطعا وتطالبه بأن يكتفي مثلها بما هما فيه من هناء ويحمد القدر عليه ، وبأن يدعو الله معها أن يطيل في سعادتهما أطول مدة ممكنة ..

وكلما فاتحها من جديد في موضوع الزواج ، كانت تكرر الرفض وتقول له ان كل ما تتمناه هو ألا يكف عن حبها ، ولو لمدة قصيرة أخرى ..

وكان موقفها هذا يحيره كثيرا ، ولا سيما أنه كان يحس بأنها تحبه في جنون مثلما يحبها ، ولا ترفض له طلبا قط ..

غير أنه لم يلبث أن أدرك أن حرصها على سعادته ومستقبله هو الذي يدفعها الى رفض الاقتران به ..

ففضلا عن ظروف الحرب التي تهدد بالتفريق بينهما في أية لحظة ، وتجعل من زواجه منها عبئا ثقيلا عليه ، هنالك أيضا اعتبارات أخرى كثيرة تجعل اقترانه بها في غير مصلحته ..

فهنالك الاختلاف الكبير بين بيئتيهما فهذا سوف يظل عقبة في طريق نجاح زواجهما حتى بعد أن تنتهي الحرب ..

فلو أخذها معه الى بلاده ، فسوف تعيش حياتها كلها معرضـــه لسوء معاملة مواطنيه الذين لن يفهموها أو يقدروها ، وهو أمر لا بد أن يؤلمه ..

كما أنها سوف تعرضه هو لمقاطعة معارفه وأهله له ، ولانســداد أبواب التقدم فى وجهه ..

وسوف تكون طباعها وعاداتها ولهجتهـــا الغريبة ، مصدر حرج دائم له ..

ولو ذهب معها الى اليابان .. فكيف يعيش هناك ، وعن أى طريق يكسب رزقه ؟ ..

وهذا عدا أن استقبال اليابانيين له ، لن يكون بأية حال أحسن من استقبال مواطنيه لها ، لو أصبحت زوجته ..

ولكنه كان مستعدا لتحدى جميع هذه الاعتبارات القوية ، ولاحتمال أية نتيجة يؤدى اليها زواجه منها ، بعد أن أصبح لا يتصور أنه يستطيع أن يعيش من غيرها ..

فقرر أن يرجىء الحديث فى موضـــوع الزواج ما دامت الحرب قائمة ومصيره فيها غير معروف ، عـــلى أن يعود اليه بمجرد انتهــاء الحرب ..

وحينئذ يجبر الفتاة اجبارا على قبـــوله زوجا ، مادامت هى الأخرى تحبه ..

***

ويمضى الحبيبان حوالى العام فى نشوة غامرة وسعادة دافقـــة .. الى أن تنتهى الدورة الدراسية ويتقرر تصفية المدرسة ..

فعندئذ يضطران الى الافتراق ، اذ تنقل هى الى نيودلهى لتقـــرأ من محطة الاذاعة فيها نشرات الأخبار باللغة اليابانية ..

ويبقى هو في بومباى مع بقية زملائه في انتظار توزيعهم على المناطق التى تحتاج القيادة العسكرية الى مترجمين فيها ..

وعلى الرغم من أنهما كانا يتوقعان دائما هذه اللحظة ، فان ذلك لم يخفف من ألم وقعها على الحبيبين ..

وقبل أن يفترقا تعاهدا على أن يظل كل منهما يحاول الاتصال بالآخر في كل فرصة تسنح له الى أن تسمح الظروف باجتماعهما مرة أخرى ..

وبعد أيام ، تصدر اليه الأوامر بالانتقال الى جبهة القتال على حدود بورما .. ولكن قبل سفره تصل اليه رسالة من بعض صديقات حبيبته ، فيفهم منها أنها تعانى مرضا ما منذ مدة ، مع أنها لم تكن قد ذكرت له قط أنها مريضة ..

وعندئذ فقط يتذكر أنها كانت تصاب بنوبات صداع قاسية في بعض الاحيان ، وأنها كانت تحول انتباهه عن آلامها في تلك الحالات باصطناع النوم أو بأية طريقة أخرى ..

ويدرك أنه كان لا يلاحظ ما تقاسيه لاستغراقه في الاستمتاع بسعادته الخصة .. فيغمره شعور عميق بالذنب واحساس ممض بالقلق يضاعفان ما هو فيه من تعاسة لابتعاد حبيبته عنه ..

ولا يكاد يصل الى جبهة القتال حتى يقع أسيرا في يد اليابانيين ، فيكاد يموت يأسا عندما يدرك أن الاتصال بحبيبته قد أصبح مستحيلا ، وأنها ربما تكون في خطر شديد ، قد يكون وجوده معها وحده ، كافيا لدرئه عنها .

ويدفعه هذا اليأس الى القيام بمحاولة جنونية للهرب ، تنجح بما يشبه المعجزة ..

وبعد أيام قليلة يجد نفسه ممددا على سرير في أحد مستشفيات الميدان البريطانية .. فيستجمع قواه المنهارة ، ويتسلل هاربا الى نيودلهى

للاطمئنان على حبيبته ، ضاربا عرض الحائط بجميع التعليمات والنظم العسكرية ..

وعندما يصل الى نيودلهى ، يكتشف أن حبيبته قد نقلت الى المستشفى لاستئصال ورم سرطانى ينمو منذ حوالى العامين فى مخها ..

فيدرك أخيرا السبب الأساسى لرفضها الزواج منه ، ولدعائها المتواصل ألا يكف عن حبها لمدة قصيرة أخرى ..

فقد كانت تعلم أنها لابد أن تموت قريبا .. وكان كل ما تطمع فيه هو أن تظل متمتعة بحبه حتى نهاية عمرها ..

ويسرع الى المستشفى ، ويعلم أن العملية قد نجحت ، فيظن أن القدر قد رأف به واستمع الى دعائه ...

ولكن بعد ساعات قليلة تموت الفتاة ..

فالقدر ـ مثل الريح ـ لا يعرف القراءة ..

ولا تؤثر رغبات البشر فى اتجاهاته !

فهرس

هيئة قناة السويس

مقارنة عامة لحركة الملاحة

	الربع الثالث من عام ١٩٦١	الربع الثالث من عام ١٩٦٢	الفرق
عدد السفن العابرة	٤٣٧٦	٤٦٥٧	+٢٨١
		آلاف الأطنان	
الحمولة الكلية	٦٠٨١٣	٦٦٧١٢	+٥٨٩٩
« الصافية	٤٦٤١٩	٥١٠٥١	+٤٦٣٢
حمولة البضائع	٤٢٣٧٠	٤٦٥٠٣	+٤١٣٣
إيرادات الملاحة (جنيه مصرى)	١٢٥٧٨٣١٣	١٣٧٧٤٣٦٧	+١١٩٦٠٥٤

العدد والحمولة الصافية حسب اتجاه العبور

	العـــدد			الحمولة الصـــافية		
	الربع الثالث ١٩٦١	الربع الثالث ١٩٦٢	الفرق	الربع الثالث ١٩٦١	الربع الثالث ١٩٦٢	الفرق
					آلاف الأطنان	
شمال / جنوب	٢٢٢١	٢٣٢٥	+١٠٤	٢٣٦٧٤	٢٥٨٣٢	+٢١٥٨
جنوب / شمال	٢١٥٥	٢٣٣٢	+١٧٧	٢٢٧٤٥	٢٥٢١٩	+٢٤٧٤
المجموع	٤٣٧٦	٤٦٥٧	+٢٨١	٤٦٤١٩	٥١٠٥١	+٤٦٣٢

(١) تشمل ٢٧ ناقلة حمولتها الصافية ٢٥٣٢٠٣ أطنان محملة بضائع خلاف المواد البترولية .

(٢) تشمل ١٥ ناقلة حمولتها الصافية ١٦١٨١١ طنا محملة بضائع خلاف المواد البترولية

الحمولة الصافية حسب أنواع السفن

	الربع الثالث من عام ١٩٦١			الربع الثالث من عام ١٩٦٢		
	شمال/جنوب	جنوب/شمال	المجموع	شمال/جنوب	جنوب/شمال	المجموع
	آلاف الأطنان					
سفن تجارية محملة						
سفن بريد	١٤٩٧	٩٨٧	٢٤٨٤	١٠٤٨	٧٢٧	٢٢٧٥
ناقلات	٩٠١	١٦١٦٢	١٧٠٦٣	١٠٠٠	١٨٣٢٦	١٩٣٢٦
أخرى	٤٧٤٩	٤٦٤٣	٩٣٩٢	٤٦٨٧	٥٢٧٠	٩٩٥٧
المجموع	٧١٤٧	٢١٧٩٢	٢٨٩٣٩	٧٢٣٥	٢٤٣٢٣	٣١٥٥٨
سفن فارغة						
ناقلات	١٦٣٤١	٤١٢	١٦٧٥٣	١٨٣٧٦	٢٧٢	١٨٦٤٨
أخرى	١١٣	٤٨٦	٥٩٩	١٥٦	٦٠٣	٧٥٩
المجموع	١٦٤٥٤	٨٩٨	١٧٣٥٢	١٨٥٣٢	٨٧٥	١٩٤٠٧
سفن حربية	٧٣	٥٥	١٢٨	٦٥	٢١	٨٦
المجموع	٢٣٦٧٤	٢٢٧٤٥	٤٦٤١٩	٢٥٨٣٢	٢٥٢١٩	٥١٠٥١

تقسيم العدد والحمولة الصافية بين الناقلات والسفن الأخرى

	العـدد			الحمولة الصافية		
	الربع الثالث ١٩٦١	الربع الثالث ١٩٦٢	الفرق	الربع الثالث ١٩٦١	الربع الثالث ١٩٦٢	الفرق
				آلاف الأطنان		
الناقلات	٢٢٦٧	٢٤٩٩	+ ٢٣٢	٣٣٨١٦	٣٧٩٧٤	+ ٤١٥٨
السفن الأخرى	٢١٠٩	٢١٥٨	+ ٤٩	١٢٦٠٣	١٣٠٧٧	+ ٤٧٤
المجموع	٤٣٧٦	٤٦٥٧	+ ٢٨١	٤٦٤١٩	٥١٠٥١	+ ٤٦٣٢

عبرت القناة خلال الربع الثالث من العام الحالى ٤٦٥٧ سفينة، مجموع حمولتها الصافية ٥١ ٠٥١ ٠٠٠ ، ومتوسط يومى قدره ٥٠٫٦ سفينة مقابل ٤٣٧٦ سفينة مجموع حمولتها الصافية ٤٦٫٤١٩٫٠٠٠ طن ، ومتوسط يومى قدره ٤٧٫٦ سفينة خلال الربع الثالث من العام الماضى .

وكان من بين السفن التى عبرت خلال الربع الحالى ٢٤٩٩ ناقلة حمولتها الصافية ٣٧٫٩٧٤٫٠٠٠ طن ، بمتوسط يومى قدره ٢٧٫٢ ناقلة مقابل ٢٢٦٧ ناقلة مجموع حمولتها الصافية ٣٣٨١٦٠٠٠ طن ومتوسط يومى قدره ٢٤٫٧ ناقلة وذلك خلال الربع الثالث من عام ١٩٦١ ، وبذلك يكون عدد السفن الاخرى العابرة خلال الربع الحالى عدا الناقلات ٢١٥٨ سفينة حمولتها الصافية ١٣٫٠٧٧٫٠٠٠ طن ، بمتوسط يومى قدره ٢٣٫٤ سفينة مقابل ٢١٠٩ سفينة حمولتها الصافية ١٢٫٦٠٣٫٠٠٠ طن ومتوسط يومى قدره ٢٢٫٩ سفينة .



مطابع الدار القومية

١٥٢ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤



الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تلفون ٤٠٧٥٣ / ٤١٠١٢
٤٠٥٨٨ / ٤٠٨١٤



العدد ١٨٣ الثمن ١٥ قرش